الموعود

11

جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ

كانون الثاني ٢٠٢١م

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

نظرات في دعاء العهد

السيد علاء الدين السيد عبد الصاحب الموسوي

دخالة البشر في تعجيل فرج الإمام المنتظر عليه السلام

الشيخ كاظم القره غولي

المختصر من إقامة الحُجَة على من أنكر ولادة الحُجَة عليه السلام

الشيخ جاسم الوائلي

آيات في القائم عليه السلام

السيد باسم الصائغ

الأبواب والسفراء

موقعهم من العقيدة ودورهم في دولة أهل البيت عليهم السلام

الشيخ حسن الكاشاني

السيدة نرجس عليها السلام - شبهات وردود

الشيخ علي الفياض

أخبار المهديين بين النفي والإثبات

السيد زين العابدين المقدس الغريفي

علم الإمام المهدي عليه السلام بوقت ظهوره

مرتضى علي الحلي

مراجعة مصادر كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي رحمه الله

محمد المسعودي - ترجمة: السيد جلال الموسوي

الموعود

مجلة علمية تخصّصية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

المشرف العام

السيّد محمّد القبانچي

رئيس التحرير

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني

الأستاذ حسن محمد حسن الطريفي

التصميم

شبكة المحسن لخدمات التصميم

عدد النسخ

٥٠٠ نسخة

الناشر

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الهيأة الاستشارية

السيّد أحمد الاشكوري

الشيخ نزار آل سنبل

السيّد ضياء الخبّاز

الشيخ علي آل محسن

الموعود

الموعود
مجلة علمية تخصّصية نصف سنوية
تصدر عن مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

قواعد النشر في مجلَّة الموعود

١- تنشر المجلَّة الأبحاث العلمية الرصينة المختصّة بعقيدة الموعود عجل الله فرجه.

٢- الأفضل أن تكون البحوث مطبوعة، على أن لا تقلّ كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة أو (١٥) صفحة (A4).

٣- أن تحتوي الصفحة الأُولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين، وجهة العمل والعنوان، ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وُجِد.

٤- يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

٥- أن تُرفَق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلّة للمرّة الأولى.

٦- أن لا يكون البحث قد نُشِرَ سابقاً.

٧- لا تُعَبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.

٨- يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

٩- تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواءً أنُشِرت أم لم تُنشَر.

١٠- يُمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشِرَ فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١١- تُرسَل البحوث للمجلَّة، أو تُسلَّم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:

العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.

رقم الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

ALMAUOOD

تمهيدنا
مقولة (عجَّل اللّه فرجه الشريف)
والشعور بالانتماء

رئيس التحرير

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمىٰ﴾ (طه: ١٢٤).

- وجود التراث في كل أمة يعبر عن أصالتها، والأُمم الحية تسعىٰ دائماً لضبط مخرجات تراثها وتنقيته اعتماداً علىٰ الضرورات والمبادئ.

- المصادر المعرفية للبشرية مختلفة باختلاف التراث، ومن بين أهم مصادر المعرفة لدىٰ البشر جميعاً المفاهيم الدينية وجزء وافر منها المفاهيم المرتبطة بعالم الغيب.

- من خصوصيات الدين الإسلامي أنه يختزن في منظومته المعرفية قسطاً وافراً من المفاهيم الغيبية، ويتعاطىٰ معها ضمن آليات محددة ودقيقة، أنشأت مبتنيات فكرية لا يمكن إسدال الستار عليها أو التغافل عنها جراء تصريح من شخص أو جرَّة قلم من آخر.

- وكذلك من أروع ما يتمتع به النظام المعرفي الإسلامي تعامله اللّيّن في الحوار، قال تعالىٰ: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً﴾ (طه: ٤٤)، وقال تعالىٰ: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ونَظَـرُهُ للآخـر بمنظـار التكافـؤ في الحـوار، قـال تعـالىٰ: ﴿وَإِنَّـا أَوْ إِيَّاكُـمْ لَعَـلىٰ هُـدىً أَوْ فِي ضَـلالٍ مُبِـينٍ﴾ (سبأ: ٢٤)، فيلحـظ نفسـه في بـاب الحـوار - مـع جزمه بأنـه الحـق - مكافئـاً للآخـر.

- إلّا أننـا نجـد في العـادة أن نقّـاد الديـن لا يقدمـون البديـل وأن مـا يقومـون بـه هـو صرف إيجـاد التشـكيك ومحاولـة رفـع حالـة الشـعور بالانتـماء لـدىٰ الأفـراد، دون أن يعنيهـم إيجـاد البديـل، مـع أن طلـب الديـن والشـعور بالانتـماء مـن الحاجات الفطريـة للإنسـان، والخـروج منـه دون وضـع بديـل لائـق مجازفـة خطـيرة لا ينبغـي بالإنسـان العاقـل الإقـدام عليهـا.

- التمسـك الحقيقـي بـ(الديـن - الفكـر - الوطـن - الأسرة - الأولاد) - وجدانياً وفكريـاً - مـن المشـاعر الثابتـة، وكلـما كان الانتـماء واقعيـاً، تقدمـت الصلـة مـع الأشـياء التـي ننتمـي إليهـا، وتولـدت أواصر مـع مـن نشـاركهم هـذا الانتـماء، فالشـعور بالانتـماء للوطـن كلـما قـوي صـارت مشـاركته مـع مـن يتمتعـون بهـذا الشـعور بروابـط أقـوىٰ، وصـار بالإمـكان تبـادل الأفـكار والأعـمال معهـم بشـكل أكـبر.

- يعـبر الانتـماء عـن الجـذور التـي ترتبـط بهـا مـع الفكـرة، ومـع الأسرة، ومـع الأولاد، ومـع الديـن، فعلاقـة الطفـل بأمـه مـن أوائـل مشـاعر الانتـماء التـي تتولـد عنـد الإنسـان وتُعـبر عـن حاجـة فطريـة تبـدأ معـه ولا تنتهـي، فهـو انتـماء ليـس لنـا الحـق في اختيـار أفـراده أو تبديلهـم أو إنكارهـم، علقـة لا يمكـن لنـا التنصـل منهـا مهـما وجـدت أسـباب التعـالي عليهـا أو الشـعور بالنقـص معهـا.

- الحاجـة للانتـماء - وكـما يقرهـا علـماء النفـس - حاجـة فطريـة إنسـانية، وهـي كثـيرة ومتعـددة مـن قبيـل الحاجـات التـي ينظـر إليهـا الإنسـان باهتـمام ورعايـة كحاجـات غريزيـة، مـن الطعـام والهـواء والمـاء ومـا إلىٰ ذلـك.

ومن قبيل الحاجات التي تعبر عن الاستقرار والأمان، وتتجلىٰ عندما يفقد الإنسان الأمان أو الصحة أو ما شاكلها.

ومن قبيل الحاجات التي يشعر معها بالقيمة والاعتبار الاجتماعي أو الفردي، كالشعور بالثقة والانتماء لأسرة أو عرق أو مال أو مرتبة علمية.

ومن قبيل الحاجات التي تؤمن المشاعر في الانتماء في دوائر أوسع مما مرَّ كالانتماء الثقافي أو الفكري أو الديني.

كما ويشير جملة من علماء النفس في هذا المجال إلىٰ أن الانتماء هو شعور، واهتمام، فلا يكفي مجرد الشعور دون أن يكون هناك اهتمام، وفي حالات الانتماء المتبادل لابد أن يكون الاهتمام من الطرف الآخر حاضراً لكي تتجلىٰ حالة الانتماء.

فقدان الانتماء الثابت لدىٰ الإنسان أو محاولة محوه يؤدي إلىٰ آثار سلبية كبيرة حتّىٰ علىٰ المستوىٰ الصحي، فقد يُصاب الإنسان بحالات الانعزال ثم ظهور حالات الاكتئاب والقلق وغيرها، ويعبر بعض العلماء النفسانيين عن حالة فقدان الانتماء بحالة الاغتراب (وهو ما قاله عالم الاجتماع الأمريكي ميلفين سيمان)، ومن أنواع الاغتراب العديدة - التي أشار إليها - هي حالة الاغتراب بالسعي خلاف إرادته ومصلحته، وحالة الشعور باللامعنىٰ أو اللاجدوىٰ واللامعيار، فضلاً عن شعور العزلة والانفصام الذاتي، كما ويرىٰ الدكتور في علم النفس أحمد زين الدين بو عامر: أن الخلل في شعور الانتماء يوجِدُ حالة السخط ورفض الواقع، ويبعث حالة انقلاب المفاهيم، فيحسب ما هو سوي لا سوي وهو نوع من الجنون.

ولو أجرينا مراجعة سريعة لقاموس المفاهيم التي تصدر من الآخر بهدف تنظيم المنظومة الدينية أو ضبط إيقاع المتدينين، نجد أن معظمها عبارة عن منظومة تشكيك ليس إلّا، بهدف نزع روح الانتماء لدىٰ المتدينين بشكل عام،

وفي القضية المهدوية بشكل خاص، لما لهذا الشعور الديني الخاص من تأثير ملموس على بناء القيم والمسؤولية، من خلال إيجاد حالة الانتماء والأمل عبر مفهوم الإيمان والانتظار.

إبعاد المؤمنين عن المفاهيم المهدوية، وفصل الناس عن الثقافة فيها، هدف يسعى له الآخر كلما أتيحت له الفرصة، من خلال رفض الموجود من عقيدة أو فكر مهدوي، بإيجاد سلوكيات خاوية فكرياً وبعيدة عن الجادة والاستقامة عملياً .

إيجاد أفراد ومفاهيم بديلة فكرة قديمة جداً، لم تنجح في إخماد وهج الحق في النفوس، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن علياً عليه السلام لم يكن يدين الله بدين إلّا خالف عليه الأُمة إلى غيره إرادة لإبطال أمره وكانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيء الذي لا يعلمونه، فإذا أفتاهم بشيء جعلوا له ضداً من عند أنفسهم ليلبسوا على الناس»، ومما ورد في هذا الصدد ما قاله أبو حنيفة: (خالفت جعفراً في كل ما يقول أو يفعل، لكني لا أدري هل يغمض عينيه في السجود أو يفتحهما).

- ومن جميل ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الصدد ما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم، لا يزيلكم عنها أحد، يا بني إنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هو محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه، لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا لاتبعوه».

وهذا النص غاية في الروعة والدقة في رفض البديل ما لم يكن حسب المعايير الدقيقة وبديلاً حقيقياً، وأنّى له ذلك.

وليس في هذا القول تناف مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ - مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢ و٢٣).

فإن التمسك بما عليه الآباء والأجداد مما وصلوا إليه من فكر وعقيدة بالجد والاجتهاد حريٌّ بأن يؤخذ منه ويتمسك به، بخلاف ما عند الآباء والأجداد من غير ذلك، أي أن الآية تقصد الجمود على الانحراف الذي كان لدى الأسلاف، لا الثبات على المبادئ الحقة التي آمنوا بها.

- القراءة الواعية للدين - بمعونة ما عليه الآباء والأجداد - ليست من التقليد الممقوت، فالعقلاء يأخذون بكلام الخبراء في مجمل قضاياهم المصيرية.

ولنا أن نسأل المشككين عن البديل في ما يطرح من تشكيك في مسألة:

(النبوة - الإمامة - الغيبة - المرجعية).

ما هو البديل الذي يمثل الحالة المثلى والأفضل مما نترك، ويؤمِّن في ذات الوقت حالة الانتماء والتي لابد من إشباعها؟

إن الحديث المتقدم عن أهل البيت عليهم السلام يؤمِّن الإشباع الحقيقي للانتماء، ويقطع الطريق على المشككين إذ يقول لهم بعد الاستماع لكم:

ثم ماذا؟

ALMAUOOD

نظرات في دعاء العهد

السيِّد علاء الدِّين السيِّد عبد الصاحب الموسوي

دعاء العهد:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «من دعا إلىٰ الله تعالىٰ أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا [عليه السلام]، فإنْ مات قبله أخرجه الله تعالىٰ من قبره وأعطاه الله بكلِّ كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيِّئة، وهو هذا:

اللَّهُمَّ رَبَّ النُّورِ العَظِيمِ، وَرَبَّ الكُرْسِيِّ الرَّفِيعِ، وَرَبَّ البَحْرِ المَسْجُورِ، وَمُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَرَبَّ الظِّلِّ وَالحَرُورِ، وَمُنْزِلَ القُرْآنِ العَظِيمِ، وَرَبَّ المَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَالأَنْبِياءِ وَالمُرْسَلِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الكَرِيمِ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ المُنِيرِ، وَمُلْكِكَ القَدِيمِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ السَّماواتُ وَالأَرَضُونَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي يَصْلَحُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، يَا حَيًّا قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ، وَيَا حَيًّا بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ، وَيَا حَيًّا حِينَ لَا حَيَّ، يَا مُحْيِيَ المَوْتىٰ وَمُمِيتَ الأَحْياءِ، يَا حَيُّ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَانَا الْإِمَامَ الهَادِيَ المَهْدِيَّ القَائِمَ بِأَمْرِكَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ عَنْ جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا سَهْلِهَا وَجَبَلِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَعَنِّي وَعَنْ وَالِدَيَّ مِنَ الصَّلَوَاتِ زِنَةَ عَرْشِ الله وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ وَمَا أَحْصَاهُ عِلْمُهُ وَأَحَاطَ بِهِ كِتَابُهُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا وَمَا عِشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي لَا أَحُولُ عَنْهَا وَلَا أَزُولُ أَبَداً.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَالذَّابِّينَ عَنْهُ وَالْمُسَارِعِينَ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَالْمُمْتَثِلِينَ لأَوَامِرِهِ وَالْمُحَامِينَ عَنْهُ، وَالسَّابِقِينَ إِلَىٰ إِرَادَتِهِ وَالْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

اللَّهُمَّ إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَىٰ عِبَادِكَ حَتْماً مَقْضِيًّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَزِراً كَفَنِي شَاهِراً سَيْفِي مُجَرِّداً قَنَاتِي مُلَبِّيًا دَعْوَةَ الدَّاعِي فِي الْحَاضِرِ وَالْبَادِي.

اللَّهُمَّ أَرِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ وَالْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ وَاكْحُلْ نَاظِرِي بِنَظْرَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ وَعَجِّلْ فَرَجَهُ وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ وَأَوْسِعْ مَنْهَجَهُ وَاسْلُكْ بِي مَحَجَّتَهُ وَأَنْفِذْ أَمْرَهُ وَاشْدُدْ أَزْرَهُ، وَاعْمُرِ اللَّهُمَّ بِهِ بِلَادَكَ وَأَحْيِ بِهِ عِبَادَكَ فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، فَأَظْهِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِيَّكَ وَابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكَ الْمُسَمَّىٰ بِاسْمِ رَسُولِكَ، حَتَّىٰ لَا يَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ إِلَّا مَزَّقَهُ وَيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُحَقِّقَهُ، وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مَفْزَعاً لِمَظْلُومِ عِبَادِكَ وَنَاصِراً لِمَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِراً غَيْرَكَ، وَمُجَدِّداً لِمَا عُطِّلَ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِكَ وَمُشَيِّداً لِمَا وَرَدَ مِنْ أَعْلَامِ دِينِكَ وَسُنَنِ نَبِيِّكَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مِمَّنْ حَصَّنْتَهُ مِنْ بَأْسِ الْمُعْتَدِينَ، اللَّهُمَّ وَسُرَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرُؤْيَتِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ وَارْحَمِ اسْتِكَانَتَنَا بَعْدَهُ.

اللَّهُمَّ اكْشِفْ هَذِهِ الْغُمَّةَ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ بِحُضُورِهِ، وَعَجِّلْ لَنَا ظُهُورَهُ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً.

بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ثمّ تضرب علىٰ فخذك الأيمن بيدك ثلاث مرّات وتقول كلّ مرّة: «العَجَلَ العَجَلَ يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ»[1].

١. مفاتيح الجنان للقمّي (ص ٧٧٥ - ٧٧٧).

سند هذا الدعاء:

بحار الأنوار: عن الكتاب العتيق الغروي، أخبرني السيِّد الأجل عبد الحميد بن فخَّار بن معد العلوي الحسيني الحائري، في سنة ستّ وسبعين وستّمائة، قال: أخبرني والدي، عن تاج الدِّين الحسن بن عليٍّ الدربي، عن محمّد بن عبد الله البحراني الشيباني، عن أبي محمّد الحسن بن عليٍّ، عن عليٍّ بن إسماعيل، عن يحيىٰ بن كثير، عن محمّد بن عليٍّ القرشي، عن أحمد بن سعيد، عن عليٍّ بن الحَكَم، عن الربيع بن محمّد المسلي، قال: قرأت علىٰ عبد الله بن سلمىٰ، قال: سمعت سيِّدنا الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: «من دعا إلىٰ الله أربعين صباحاً بهذا العهد، كان من أنصار قائمنا عليه السلام، وإنْ مات أخرجه الله إليه من قبره، وأعطاه الله بكلِّ كلمة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيِّئة، وهو هذا العهد: اللَّهُمَّ رَبَّ النُّورِ العَظِيمِ...» إلىٰ آخر ما في كُتُب الدعوات[1].

من أين جاءت التسمية؟

(دعاء العهد) عنوان يُطلَق علىٰ أكثر من دعاء، منها:

١ - الدعاء الذي علَّمه النبيُّ صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام والمروي عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ، ألَا أُعلِّمك؟ ثمّ قال (له): قل: اللَّهُمَّ اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي عندك وداً، فنزل في ذلك قوله (جلَّ وعلا): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]»[2].

ومنها:

٢ - دعاء العهد المروي في (مهج الدعوات) للسيِّد ابن طاوس عن محمّد

١. بحار الأنوار للمجلسي (ج٨٣/ ص٢٨٤ - ٢٨٦/ ح٤٧).

٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن سليمان الكوفي (ج ١/ ص١٩٤/ ح١١٩).

بن عليٍّ بن رقاق القمّي أبو جعفر، قال: حدَّثنا أبو الحسن محمّد بن عليٍّ بن الحسن بن شاذان القمّي، قال: حدَّثنا أبو جعفر محمّد بن عليٍّ بن بابويه القمّي، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن العبَّاس بن معروف، عن عبد السلام بن سالم، قال: حدَّثنا محمّد بن سنان بن يونس بن ظبيان، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «من دعا بهذا الدعاء مرَّة واحدة في دهره كُتِبَ في رقٍّ ورُفِعَ في ديوان القائم عليه السلام، فإذا قام قائمنا ناداه باسمه واسم أبيه، ثمّ يدفع إليه هذا الكتاب ويقال له: خذ هذا الكتاب العهد الذي عاهدتنا في الدنيا، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧]، وادعُ به وأنت طاهر تقول: اَللَّهُمَّ يَا إِلَهَ اَلْآلِهَةِ، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا آخِرَ اَلْآخِرِينَ، يَا قَاهِرَ اَلْقَاهِرِينَ، يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ، أَنْتَ اَلْعَلِيُّ اَلْأَعْلَىٰ، عَلَوْتَ فَوْقَ كُلِّ عُلُوٍّ، هَذَا يَا سَيِّدِي عَهْدِي، وَأَنْتَ مُنْجِزٌ وَعْدِي، فَصِلْ يَا مَوْلَايَ عَهْدِي، وَأَنْجِزْ وَعْدِي، آمَنْتُ بِكَ أَسْأَلُكَ بِحِجَابِكَ اَلْعَرَبِيِّ، وَبِحِجَابِكَ اَلْعَجَمِيِّ، وَبِحِجَابِكَ اَلْعِبْرَانِيِّ، وَبِحِجَابِكَ اَلسُّرْيَانِيِّ، وَبِحِجَابِكَ اَلرُّومِيِّ، وَبِحِجَابِكَ اَلْهِنْدِيِّ، وَأَثْبِتْ مَعْرِفَتَكَ بِالْعِنَايَةِ اَلْأُولَىٰ، فَإِنَّكَ أَنْتَ اَللهُ لَا تُرَىٰ، وَ أَنْتَ بِالْمَنْظَرِ اَلْأَعْلَىٰ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِرَسُولِكَ اَلْمُنْذِرِ صلى الله عليه وآله، وَبِعَلِيٍّ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اَللهِ عَلَيْهِ اَلْهَادِي، وَبِالْحَسَنِ اَلسَّيِّدِ، وَبِالْحُسَيْنِ اَلشَّهِيدِ، سِبْطَيْ نَبِيِّكَ، وَبِفَاطِمَةَ اَلْبَتُولِ، وَبِعَلِيِّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ زَيْنِ اَلْعَابِدِينَ ذِي اَلثَّفِنَاتِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ اَلْبَاقِرِ عَنْ عِلْمِكَ، وَبِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ اَلصَّادِقِ اَلَّذِي صَدَّقَ بِمِيثَاقِكَ وَبِمِيعَادِكَ، وَمُوسَىٰ بْنِ جَعْفَرٍ اَلْحُصُورِ اَلْقَائِمِ بِعَهْدِكَ، وَبِعَلِيِّ بْنِ مُوسَىٰ اَلرِّضَا اَلرَّاضِي بِحُكْمِكَ، وَبِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ اَلْحِبْرِ اَلْفَاضِلِ اَلْمُرْتَضَىٰ فِي اَلْمُؤْمِنِينَ، وَبِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ اَلْأَمِينِ اَلْمُؤْتَمَنِ هَادِي اَلْمُسْتَرْشِدِينَ، وَبِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ اَلطَّاهِرِ اَلزَّكِيِّ خِزَانَةِ اَلْوَصِيِّينَ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِالْإِمَامِ اَلْقَائِمِ اَلْعَدْلِ اَلْمُنْتَظَرِ اَلْمَهْدِيِّ، إِمَامِنَا وَابْنِ إِمَامِنَا صَلَوَاتُ اَللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، يَا مَنْ جَلَّ فَعَظُمَ وَ[هُوَ] أَهْلُ ذَلِكَ

فَعَفَا وَرَحِمَ، يَا مَنْ قَدَرَ فَلَطُفَ، أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفِي وَمَا قَصُرَ عَنْهُ أَمَلِي مِنْ تَوْحِيدِكَ وَكُنْهِ مَعْرِفَتِكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِالتَّسْمِيَةِ اَلْبَيْضَاءِ وَبِالْوَحْدَانِيَّةِ اَلْكُبْرَىٰ اَلَّتِي قَصُرَ عَنْهَا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ، وَآمَنْتُ بِحِجَابِكَ اَلْأَعْظَمِ، وَبِكَلِمَاتِكَ اَلتَّامَّةِ اَلْعُلْيَا اَلَّتِي خَلَقْتَ مِنْهَا دَارَ اَلْبَلَاءِ، وَأَحْلَلْتَ مَنْ أَحْبَبْتَ جَنَّةَ اَلْمَأْوَىٰ، وَآمَنْتُ بِالسَّابِقِينَ وَاَلصِّدِّيقِينَ أَصْحَابِ اَلْيَمِينِ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً أَلَّا تُوَلِّيَنِي غَيْرَهُمْ، وَلَا تُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ غَداً إِذَا قَدَّمْتَ اَلرِّضَا بِفَصْلِ اَلْقَضَاءِ، آمَنْتُ بِسِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ وَخَوَاتِيمِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّكَ تَخْتِمُ عَلَيْهَا إِذَا شِئْتَ، يَا مَنْ أَتْحَفَنِي بِالْإِقْرَارِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَحَبَانِي بِمَعْرِفَةِ اَلرُّبُوبِيَّةِ، وَخَلَّصَنِي مِنَ اَلشَّكِّ وَاَلْعَمَىٰ، رَضِيتُ بِكَ رَبًّا، وَبِالْأَصْفِيَاءِ حُجَجاً، وَبِالْمَحْجُوبِينَ أَنْبِيَاءَ، وَبِالرُّسُلِ أَدِلَّاءَ، وَبِالْمُتَّقِينَ أُمَرَاءَ، وَسَامِعاً لَكَ مُطِيعاً»[1].

ومنها: دعاء العهد الذي يُقرَأ أربعين صباحاً، والمشهور قراءته بين الشيعة، وأنَّ من قرأه أربعين صباحاً كان من أصحاب القائم عجل الله فرجه.

ومن الواضح أنَّ تسمية هذا الدعاء وردت علىٰ لسان صادق العترة عليه السلام، ليس كما هو الحال في دعاء كميل ودعاء أبي حمزة الثمالي (رضوان الله عليهما)، ودعاء أُمِّ داود، إذ أُطلقت التسمية علىٰ تلك الأدعية من قِبَل العلماء والناس واشتهرت.

وقبل أنْ نبدأ بشرح هذا الدعاء الجليل لا بدَّ من إيضاح أنَّني لن أسلك في هذا الشرح مسلكاً أكاديميًّا ولا حوزويًّا، بل سأتحدَّث إلىٰ عموم الناس مقترباً من أذهانهم ومشاعرهم دون أنْ أزعجهم بالمصطلحات التي يصعب فهمها والأساليب المعقَّدة والمغلقة، لا لأنَّ المطالب المودعة في هذا الدعاء مطالب بسيطة أو هيِّنة، بل لأنَّها علىٰ عظمتها يمكن للعموم من المؤمنين أنْ ينتفعوا بها ويستفيدوا من نورها كلٌّ حسب فهمه وعلىٰ قدر استيعابه، وهذا هو أحد

١. مهج الدعوات لابن طاووس (ص ٣٣٤ - ٣٣٦).

أسرار البركة في كلام أهل البيت عليهم السلام كون كلامهم يصلح للنخبة كما يصلح للعموم من الناس، تنتهل كلُّ طبقة منه ما يناسب فهمها وعقلها ومستوىٰ إدراكها، وتتفاعل معه بشكل وجداني يُؤثِّر في سلوكها ويُقوِّم أعمالها ويُصحِّح عقائدها وأفكارها.

أحببت أنْ أتحدَّث حول هذا الدعاء بشكل يُؤدّي إلىٰ التفاعل الحقيقي مع معانيه، ومع من أنشئ الدعاء لأجله وهو الإمام المنتظر الغائب الشريد الطريد (أرواحنا فداه)، وعلىٰ الله التوكُّل، ومنه التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

«اللَّهُمَّ رَبَّ النُّورِ العَظِيمِ، وَرَبَّ الكُرْسِيِّ الرَّفِيعِ، وَرَبَّ البَحْرِ المَسْجُورِ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَرَبَّ الظِّلِّ وَالحَرُورِ، وَمُنْزِلَ القُرْآنِ العَظِيمِ، وَرَبَّ المَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَالأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ».

البدء بالتمجيد والثناء لله تعالىٰ في كلِّ دعاء هو الأدب الذي أكَّد عليه أئمَّة الهدىٰ عليهم السلام، وقد ورد في ذلك عدَّة روايات، منها: ما روي عن عيص بن القاسم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن علىٰ ربِّه وليمدحه، فإنَّ الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان هيَّأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجِّدوا الله العزيز الجبَّار وامدحوه وأثنوا عليه، تقول: يَا أَجْوَدَ مَنْ أَعْطَىٰ، وَيَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ، يَا أَرْحَمَ مَنِ اسْتُرْحِمَ، يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، يَا مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً، يَا مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَيَقْضِي مَا أَحَبَّ، يَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالمَنْظَرِ الأَعْلَىٰ، يَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، يَا سَمِيعُ يَا بَصِيرُ...»[1].

ومنها: ما روي عن محمّد بن مسلم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ في كتاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنَّ المدحة قبل المسألة، فإذا دعوت

١. الكافي للكليني (ج ٢/ ص٤٨٥/ باب الثناء قبل الدعاء/ ح٦).

الله تعالىٰ فمجِّده»، قلت: كيف نُمجِّده؟ قال: «تقول: يَا مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَا فَعَّالاً لِمَا يُرِيدُ، يَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الأَعْلَىٰ، يَا مَنْ هُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»[١].

وغير ذلك كثير، وقد صدر هذا الدعاء بهذه المدحة والتعظيم لله تعالىٰ بذكر العديد من المخلوقات العظيمة له والتي هو ربُّها وخالقها والمهيمن عليها، أوَّلها «النُّور العَظِيم»، ولا يمكن تحديد المراد منه إلَّا بالعودة إلىٰ الروايات الشريفة والتي ازدحمت بذكر النور ودرجاته وأنواعه، ولنذكر هنا بعض الروايات التي تتحدَّث عن أوَّل خلق لله تعالىٰ، وهو نور نبيِّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

ففي كتابي (المعاني) و(الخصال): عن أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن المقري، عن محمّد بن إبراهيم الجرجاني، عن عبد الصمد بن يحيىٰ الواسطي، عن الحسن بن عليٍّ المدني، عن عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن جدِّه، عن عليِّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «إنَّ الله تبارك وتعالىٰ خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل أنْ يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنَّة والنار، وقبل أنْ يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسىٰ وعيسىٰ وداود وسليمان، وكلُّ من قال الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٨٧]، وقبل أنْ خلق الأنبياء كلَّهم بأربعمائة ألف وأربع وعشرين ألف سنة، وخلق الله عزّ وجلّ معه اثني عشر حجاباً...»[٢].

ولا شكَّ عندنا أنَّ نبيَّنا محمّداً صلى الله عليه وآله هو أشرف خلق الله تعالىٰ، ولا أعظم منه ولا أشرف، فيكون التمجيد لله تعالىٰ بذكر أنَّه ربُّ ذلك الوجود الشريف مناسباً

١. الكافي للكليني (ج ٢/ ص٤٨٤/ باب الثناء قبل الدعاء/ ح٢).
٢. معاني الأخبار للصدوق (ص ٣٠٦ و٣٠٧/ باب معنىٰ القميص والرداء.../ ح١)، الخصال للصدوق (ص ٤٨١ و٤٨٢/ ح٥٥).

جـدًّا، فنـور نبيِّنـا ﷺ هـو النـور العظيـم الـذي خُلِـقَ قبـل الأشـياء واشـتُقَّت منـه أنـوار الأئمَّـة الأوصيـاء مـن أهـل البيـت عليهم السلام وأنـوار كافَّـة الأنبيـاء والأوليـاء، كـما ورد أنَّ الله تعـالىٰ خلـق مـن نـور محمّـد ﷺ نـور العـرش والكـرسي، والشـمس والقمـر والنجـوم، وضـوء النهـار، ونـور الأبصـار، ونـور العقـل والعلـم والفهـم والشـعور والمعرفـة، وأبصـار العبـاد، وأسـماعهم وقلوبهـم، واللـوح والقلـم، والجنَّـة، والملائكـة، والأنبيـاء والمرسَـلين، وكلَّ بـرٍّ وخـير، ومحاسـن الأخـلاق مـن جنـود العقـل.

وقد وردت روايات في ذلك:

ففـي (تأويـل الآيـات الظاهـرة): عـن ابـن عبَّـاس، عـن رسـول الله ﷺ في حديـث قـال: «إنَّ الله تعـالىٰ خلقنـي وخلـق عليًّـا قبـل أنْ يخلـق آدم...»، إلىٰ أنْ قـال: «خلـق نـوراً فقسـمه نصفـين، فخلقنـي مـن نصفـه، وخلـق عليًّـا مـن النصـف الآخـر قبـل الأشـياء كلِّهـا، ثـمّ خلـق الأشـياء، فكانـت مظلمـة، فنورهـا مـن نـوري ونـور عـليٍّ»[1].

وإلىٰ هـذا أشـار مولانـا أمـير المؤمنـين عليه السلام بقولـه: «كنـت أنـا ومحمّـد نـوراً واحداً مـن نـور الله عزّ وجلّ، فأمـر الله تبـارك وتعـالىٰ ذلـك النـور أنْ يُشَـقَّ، فقـال للنصـف: كـن محمّـداً، وقـال للنصـف: كـن عليًّـا، فمنهـا قـال رسـول الله ﷺ: عـليٌّ منِّـي وأنـا مـن عليٍّ»[2].

ولا نطيـل في ذكـر الروايـات الدالَّـة عـلىٰ أنَّ نبيَّنـا الأعظـم ﷺ هـو أوَّل نـور خلقـه الله تعـالىٰ ومنـه اشـتُقَّت أنـوار الأنبيـاء والأوصيـاء عليهم السلام.

والمهـمُّ هنـا أنَّ أوَّل مدحـة وثنـاء يتقـدَّم بهـا العبـد بـين يـدي ربِّـه في هـذا الدعـاء هـي أنَّـه ربُّ ذلـك النـور العظيـم وهـو نـور نبيِّنـا الأعظـم ﷺ، ولا دليـل أدلّ عـلىٰ

١. تأويل الآيات الظاهر للأسترآبادي (ج ٢/ ص٥٠١ و٥٠٢/ ح٢٠).
٢. بحار الأنوار للمجلسي (ج ٢٦/ ص٣/ ح١).

عظمة الله تعالىٰ من أنْ يكون هذا النبيُّ العظيم خلقاً من خلقه، ولا شيء أحبّ إلىٰ الله تعالىٰ من أنْ يُتوسَّل إليه بهذا الإنسان العظيم الذي هو أشرف خلقه وأحبّهم إليه.

ثمّ يُمجِّد الله تعالىٰ بباقي مخلوقاته العظيمة التي اشتُقَّت من النور الأوَّل، وهي «الكُرْسِيّ الرَّفِيع»، والذي اشتُقَّ من نور نبيِّنا صلى الله عليه وآله، وقد ذُكِرَ للكرسي معانٍ، منها: القدرة الإلهيَّة المهيمنة علىٰ جميع الأشياء[١].

و«البَحْر المَسْجُور» هو أحد تلك المخلوقات العجيبة، وقيل: إنَّه بحر سجَّره الله بالنار[٢]، وهذا في حدِّ ذاته أحد أعجب ما خلق الله تعالىٰ.

ويستمرُّ بالثناء علىٰ الله تعالىٰ الذي أنزل علىٰ عباده التوراة والإنجيل والزبور هدايةً لهم من الضلالة وإرشاداً لهم إلىٰ سعادة دنياهم وأُخراهم.

وهو «رَبُّ الظِّلِّ وَالحَرُورِ»، وهذا من غرائب الخلق؛ لأنَّنا نعلم أنَّ الظلَّ ما هو إلَّا عدم الضوء، فالمكان المشمس إذا نُشِرَت فيه سقيفة كان ما تحتها ظلًّا، وهو نتيجة لعدم وصول الشمس إلىٰ ما تحت السقيفة، فكيف يكون العدم خلقاً من خلق الله، ونحن لا نجد هنا إلَّا الشمس ونورها؟!

وهذا شبيه بقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

---

١. عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «الْعَرْشُ لَيْسَ هُوَ الله، وَالْعَرْشُ اسْمُ عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ، وَعَرْشٍ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ، ثُمَّ أَضَافَ الْحَمْلَ إِلَىٰ غَيْرِهِ خَلْقٍ مِنْ خَلْقِهِ لأَنَّهُ اسْتَعْبَدَ خَلْقَهُ بِحَمْلِ عَرْشِهِ وَهُمْ حَمَلَةُ عِلْمِهِ، وَخَلْقاً يُسَبِّحُونَ حَوْلَ عَرْشِهِ وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِعِلْمِهِ، وَمَلَائِكَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ عِبَادِهِ، وَاسْتَعْبَدَ أَهْلَ الأَرْضِ بِالطَّوَافِ حَوْلَ بَيْتِهِ، وَاللهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ كَمَا قَالَ، وَالْعَرْشُ وَمَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ حَوْلَ الْعَرْشِ وَاللهُ الْحَامِلُ لَهُمُ الْحَافِظُ لَهُمُ الْمُمْسِكُ الْقَائِمُ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ». (الكافي: ج ١/ ص ١٣١/ باب العرش والكرسي/ ح ٢).

٢. راجع: تفسير مجمع البيان (ج ٩/ ص ٢٧٢).

أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك: ٢)، فإنَّ الموت ما هو إلَّا عدم الحياة، فكيف يكون الموت وهو عدم الحياة خلقاً؟

سبحانه وتعالىٰ تقدَّست أسماؤه.

«وَمُنْزِلَ القُرْآنِ العَظِيمِ» الذي جعله الله تعالىٰ تبياناً لكلِّ شيء، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (النحل: ٨٩).

وإذا تصوَّرنا أنَّ كلمة (كلِّ شيء) تدلُّ علىٰ جميع الأشياء من سماء وأرض وكواكب وسيَّارات ومجرَّات وما تضمَّنته تلك العوالم من غرائب المخلوقات، وأنَّ هذا الكتاب العظيم متضمِّن لكلِّ تلك الأشياء بلا أنْ يغادر منها صغيراً ولا كبيراً، ولا يفوته منها مخلوق أو موجود، أمكن أنْ نقترب من الشعور الحقيقي لعظمة الخالق ﷻ الذي خلق ثمّ أودع كلَّ ما يتعلَّق بذلك الخلق في كتاب واحد صاغه صياغة معجزة، ثمّ أنزله علىٰ قلب شخص واحد هو نبيُّنا الأعظم ﷺ، ثمّ ورَّثه السابقين إلىٰ الخيرات أئمَّة الهدىٰ عليهم السلام: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: ٣٢).

«وَرَبَّ المَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَالأَنْبِياءِ وَالمُرْسَلِينَ»:

وأمَّا عالم الملائكة فذلك عالم عجيب واسع، ويكفي أنْ نطَّلع علىٰ بعض صفات الملائكة ممَّا ورد علىٰ لسان أمير المؤمنين عليه السلام لنُدرك مدىٰ عجزنا وضعف عقولنا عن إدراك حقائق الأشياء والإحاطة بها.

قال عليه السلام كما ورد في (نهج البلاغة):

«ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ العُلَا، فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ العُيُونِ، وَلَا سَهْوُ العُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ

النِّسْيَانِ، وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَىٰ وَحْيِهِ وَأَلْسِنَةٌ إِلَىٰ رُسُلِهِ، وَمُخْتَلَفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَالسَّدَنَةُ لأَبْوَابِ جِنَانِهِ، وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَىٰ أَقْدَامُهُمْ، وَالمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ المَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالأَمَاكِنِ وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ»[1].

وأمَّا الأنبياء عليهم السلام الذين خلقهم الله تعالىٰ وجعلهم حُجَجاً بينه وبين عباده فهم أعظم من الملائكة شأناً، وأعظم دوراً في هداية خلقه، وأقوىٰ علىٰ مواجهة مصاعب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وتحمُّل أعبائها، حتَّىٰ وجدناهم يواجهون التعذيب والقتل والنشر بالمناشير صابرين محتسبين.

ونجدهم في تلك الحالات الصعبة والامتحانات العسيرة تابعين لنبيِّنا محمّد صلى الله عليه وآله متوسِّلين إلىٰ الله تعالىٰ به مقتدين به وبأهل بيته في صبرهم واحتسابهم. وقد ورد في الروايات العديدة ما يدلُّ علىٰ أفضليَّة الأنبياء عليهم السلام علىٰ الملائكة ومن ثَمَّ أفضليَّة أهل البيت عليهم السلام علىٰ الأنبياء والملائكة، منها: ما رواه الصدوق رحمه الله بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن عليِّ بن موسىٰ الرضا، عن أبيه موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليٍّ، عن أبيه عليِّ بن محمّد، عن أبيه الحسين بن عليٍّ، عن أبيه عليِّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، قال عليٌّ عليه السلام: فقلتُ: يا رسول الله، فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا عليُّ، إنَّ الله تبارك وتعالىٰ فضَّل أنبياءه المرسَلين علىٰ ملائكته المقرَّبين، وفضَّلني علىٰ جميع النبيِّين والمرسَلين، والفضلُ بعدي لك يا عليُّ وللأئمَّة من بعدك، وإنَّ الملائكة

١. نهج البلاغة (ص ٤١ و٤٢/ الخطبة ١).

لخُدَّامنا وخُدَّام محبِّينا. يا عليُّ، ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [وَيُؤْمِنُونَ بِهِ] وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، بولايتنا. يا عليُّ، لولا نحن ما خلق اللهُ آدمَ عليه السلام ولا حوَّاءَ ولا الجنَّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلىٰ معرفة ربِّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأنَّ أوَّل ما خلق الله عزَّ وجلَّ أرواحنا، فأنطقها بتوحيده وتمجيده، ثمّ خلق الملائكة، فلمَّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا، فسبَّحنا لتعلم الملائكة أنَّا خلق مخلوقون وأنَّه منزَّه عن صفاتنا، فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا ونزَّهته عن صفاتنا، فلمَّا شاهدوا عظم شأننا هلَّلنا لتعلم الملائكة أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أنْ نُعبَد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلَّا الله، فلمَّا شاهدوا كبر محلِّنا كبَّرنا لتعلم الملائكة أنَّ الله أكبر من أنْ ينال عظم المحلِّ إلَّا به، فلمَّا شاهدوا ما جعله الله لنا من العزَّة والقوَّة فقلنا: لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله لتعلم الملائكة أنَّه لا حول لنا ولا قوَّة إلَّا بالله، فلمَّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يستحقُّ الله تعالىٰ ذكره علينا من الحمد علىٰ نِعَمه، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلىٰ معرفة توحيد الله عزَّ وجلَّ وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثمّ إنَّ الله تبارك وتعالىٰ خلق آدم، فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزَّ وجلَّ عبوديَّة ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلُّهم أجمعون؟...»[1].

هذه المدحة التي تتضمن كلَّ تلك الأُمور العظيمة، بل أعظم ما خلق الله تعالىٰ، لهي مدحة وثناء عظيم يتوقَّع أنْ يكون الدعاء بعدها وما يتضمَّن من طلبات وحوائج أُمور عظيمة هي في قمَّة اهتمام الإنسان المؤمن، فماذا سيكون ذلك الطلب يا ترىٰ؟

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق (ج ١/ ص٢٣٧ و٢٣٨/ ح٢٢).

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الكَرِيمِ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ المُنِيرِ، وَمُلْكِكَ القَدِيمِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ السَّماواتُ وَالأَرَضُونَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي يَصْلَحُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، يَا حَيًّا قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ، وَيَا حَيًّا بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ، وَيَا حَيًّا حِينَ لَا حَيَّ، يَا مُحْيِيَ المَوْتىٰ وَمُمِيتَ الأَحْياءِ، يَا حَيُّ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ».

عودة إلىٰ التمجيد والتحميد والثناء والتوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بأعظم مخلوقاته، فوجه الله تعالىٰ الذي يُؤتىٰ منه، والذي يتقرَّب العباد إليه بإتيانه، والذي لا يفنىٰ حين تفنىٰ جميع الأشياء، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القَصص: ٨٨).

ذلك الوجه الذي خلقه الله تعالىٰ رحمةً لعباده وتيسيراً لبلوغهم مرضاته، فجعله بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويحزن ويفرح، ويغضب ويحلم، ويُبتلىٰ ويصبر، وفتح له أبواب الاتِّصال به وأغدق عليه من فضله ما جعله محطًّا لوحيه وموضعاً لخطابه، وألهمه الحقائق الإلهيَّة وزوَّده بالعلوم الشرعيَّة وأدَّبه بالأدب الإلهي، ليكون أميناً علىٰ أداء رسالته إلىٰ البشر، وصادقاً في دور القدوة الحسنة لهم في جميع أحواله وأطواره، ذلك هو محمّد سيِّد البشر صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الأئمَّة الطاهرون عليهم السلام الذين اختارهم عزّ وجلّ ليكونوا وجهه ولسانه ويده التي يبسطها علىٰ عباده بالرحمة والمغفرة.

ولنقرأ هذه الروايات التي رواها الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه (التوحيد):

- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «نحن وجه الله الذي لا يهلك»[١].

- وعنه عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصص: ٨٨]، قال: «نحن»[٢].

١. التوحيد للصدوق (ص ١٥٠/ ح٤).

٢. التوحيد للصدوق (ص ١٥٠/ ح٥).

- وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «نحن المثاني التي أعطاها الله نبيَّنا صلى الله عليه وآله، ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، عرفنا من عرفنا، ومن جهلنا فأمامه اليقين»[١].

- وعن خيثمة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، قال: «دينه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام دين الله، ووجهه وعينه في عباده، ولسانه الذي ينطق به، ويده على خلقه، ونحن وجه الله الذي يُؤتىٰ منه، لن نزال في عباده ما دامت لله فيهم رويَّة»، قلت: وما الرويَّة؟ قال: «الحاجة، فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه وصنع ما أحبَّ»[٢].

- وعن مروان بن صباح، قال: [قال] أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ الله عز وجل خلقنا فأحسن خلقنا، وصوَّرنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة علىٰ عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يُؤتىٰ منه، وبابه الذي يدلُّ عليه، وخزائنه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا نزل غيث السماء ونبت عشب الأرض، بعبادتنا عُبِدَ الله، ولولا نحن ما عُبِدَ الله»[٣].

إنَّ البدء بهذا التمجيد والتعظيم لله تعالىٰ بذكر هذه المجموعة العظيمة من مخلوقاته يضع العبد أمام خالقه صغيراً ضئيلاً مبهوتاً أمام عظمة الخالق عز وجل، وهذا هو أحد غايات الدعاء ومقاصده المهمَّة: أنْ يتواضع العبد لربِّه وينحطَّ أمامه غاية الانحطاط ويتذلَّل له ويشعر بصغير حجمه وحقير خطره.

قد يقول قائل: لماذا هذا التأكيد علىٰ إذلال العبد لنفسه أمام خالقه وبارئه، أليس الله تعالىٰ هو القائل في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ

١. التوحيد للصدوق (ص ١٥٠/ ح٦).
٢. التوحيد للصدوق (ص ١٥١/ ح٧).
٣. التوحيد للصدوق (ص ١٥١ و١٥٢/ ح٨).

﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (الإسراء: ٧٠)، فإذا كان الخالق قد كرَّمنا فلماذا هذا الإذلال للعبد في جميع العبادة وخصوصاً في الدعاء؟

أقول: إنَّ تكريم الله تعالىٰ للإنسان إنَّما هو بالقياس إلىٰ بقيَّة المخلوقات، فهو أشرفها، وهو المفضَّل عند الله تعالىٰ من بينها، وإنَّما خلق ما خلق في الكون لأجل هذا الإنسان. وأمَّا التذلُّل الذي نجده محبوباً لله تعالىٰ فهو تذلُّل العبد لربِّه وخالقه والمنعم عليه، والذي يُعَدُّ سُلَّماً للكمال يصعد فيه الإنسان إلىٰ مدارج الفضيلة والرقيِّ الروحي، فكلَّما تذلَّل العبد لربِّه كلَّما زاده اللهُ عزًّا وشرفاً بين الناس وسلَّطه علىٰ المخلوقات والقوانين. هذا التذلُّل هو أحد مردودات ونتائج التكريم الإلهي، إذ لا بدَّ للإنسان أنْ يشكر خالقه الذي خلقه وكرَّمه وفضَّله علىٰ سائر خلقه، بل سخَّر له سائر خلقه، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إلهي كفىٰ لي عزًّا أنْ أكون لك عبداً، وكفىٰ بي فخراً أنْ تكون لي ربًّا»[١].

وقد ورد في وصيَّة إمامنا الصادق عليه السلام لعنوان البصري: «فاطلب أوَّلاً من نفسك حقيقة العبوديَّة»[٢].

إنَّ حقيقة العبوديَّة فيها عوالم ظاهرة وأُخرىٰ خفيَّة، وإنَّ من أظهر معالمها هو التذلُّل والاعتراف بالضعف والعجز المطلق أمام الخالق القادر المطلق.

إنَّ تربية الدعاء مبنيَّة علىٰ إخراج الإنسان من أوهام العظمة وخيالات التمكُّن في هذه الحياة إلىٰ حقيقة العجز والذلَّة أمام الخالق عزَّ وجلَّ، ولعلَّ هذه الحالة هي أحبّ حالات العبد إلىٰ الله تعالىٰ، والعكس بالعكس، فإنَّ أبغض الحالات إليه تعالىٰ أنْ يشعر العبد بالقدرة والجبروت ويتوهَّم أنَّه يملك لنفسه نفعاً أو ضرًّا من دون خالقه وبارئه. وإذا وُفِّق الإنسان إلىٰ بلوغ هذه الحقيقة

١. الخصال للصدوق (ص ٤٢٠/ ح ١٤).
٢. مشكاة الأنوار للطبرسي (ص ٥٦٣/ ح١٩٠١).

انفتح أمامه ما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت، من أبواب النِّعَم الإلهيَّة.

من أعظم آداب الدعاء التوسُّل بأنوار النبيِّ وأهل بيته عليهم السلام:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الكَرِيمِ...»:

علَّمنا أهل البيت عليهم السلام أنَّ الدعاء يبقىٰ يحوم علىٰ رأس صاحبه لا يرتفع إلىٰ الله تعالىٰ حتَّىٰ يُصلِّي العبد علىٰ محمّد وآل محمّد، وأنَّ جميع الأنبياء والأولياء والصالحين توسَّلوا بأهل البيت عليهم السلام في أشدّ أوقات محنهم، كآدم ونوح وإبراهيم وغيرهم عليهم السلام.

فقد روىٰ محمّد بن سليمان الكوفي في كتاب (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام) عن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لـمَّا نزلت الخطيئة بآدم وأُخرج من جوار ربِّ العالمين أتاه جبرئيل فقال: يا آدم، ادع ربَّك، قال: يا حبيبي جبرئيل، وبما أدعوه؟ قال: قل: يا ربِّ، أسألك بحقِّ الخمسة الذين تُخرجهم من صلبي آخر الزمان إلَّا تبت عليَّ ورحمتني، فقال: حبيبي جبرئيل سمِّهم لي، قال: محمّد النبيُّ، وعليٌّ الوصيُّ، وفاطمة بنت النبيِّ، والحسن والحسين سبطي النبيِّ، فدعا بهم آدم فتاب الله عليه وذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وما من عبد يدعو بها إلَّا استجاب الله له»[1].

وهذا ما يجب الالتزام به للداعين إذا أرادوا بلوغ مرادهم والتقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بعباداتهم، وهو أنْ يتوسَّلوا بالنبيِّ محمّد وآله الطاهرين عليهم السلام. وقد أمر الله تعالىٰ عباده أنْ يأتوه من الأبواب التي عيَّنها لهم، ولم يقبل من عبد أنْ يأتيه من حيث يشتهي ويُحِبُّ، وقصَّة إبليس مشهورة إذ طلب من الله تعالىٰ أنْ يعفيه من السجود لآدم عليه السلام ووعد بأنْ يعبد الله تعالىٰ عبادة لا يعبدها أحد من خلقه، فأجابه الباري عزَّ وجلَّ: «إنَّما أُريد أنْ تعبدني من حيث أُريد أنا لا من حيث تريد أنت».

---

١. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن سليمان الكوفي (ج ١/ ص٥٤٧/ ح٤٨٧).

ففي (تفسير القمّي) في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال إبليس: يا ربِّ، اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها مَلَك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسَل، فقال الله تبارك وتعالىٰ: لا حاجة لي إلىٰ عبادتك، إنَّما أُريد أنْ أُعبد من حيث أُريد لا من حيث تريد»[1].

وقد ذكرنا سابقاً أنَّ وجه الله تعالىٰ الذي أُمرنا أنْ نأتيه منه هو النبيُّ وأهل بيته عليهم السلام.

«اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَانَا الْإِمَامَ الهَادِيَ المَهْدِيَّ القَائِمَ بِأَمْرِكَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا سَهْلِهَا وَجَبَلِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَعَنِّي وَعَنْ وَالِدَيَّ مِنَ الصَّلَوَاتِ زِنَةَ عَرْشِ الله وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ وَمَا أَحْصَاهُ عِلْمُهُ وَأَحَاطَ بِهِ كِتَابُهُ»:

أوَّل ما يطلبه العبد من ربِّه بعد ذلك الثناء، هو أنْ يوصل سلامه وصلواته ودعاءه إلىٰ سيِّده وإمامه صاحب الزمان عجل الله فرجه، ويُبلِّغه عن نفسه وعن والديه وعن كافَّة المؤمنين في بقاع الأرض تلك الصلوات والدعوات. فهو الإمام الهادي إلىٰ الصراط المستقيم وإلىٰ دين جدِّه النبيِّ صلى الله عليه وآله وأجداده الأئمَّة الطاهرين عليهم السلام، وهو المهدي المخصوص بهداية الله تعالىٰ له، ليس بينه وبين الله تعالىٰ أحد، ولا يحتاج إلىٰ بشر، بل الكلُّ محتاج إليه. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (يونس: ٣٥)، إذ ميَّزت الآية الكريمة بين من يهدي الناس دون أنْ يحتاج إلىٰ أحد يهديه أو يُعلِّمه سوىٰ الله تعالىٰ، وبين من لا يتمكَّن من هداية أحد إلَّا بإرشاد وهداية وتعليم من غيره، والصنف الأوَّل المستغني عن هداية الناس هو الإمام المعصوم في كلِّ زمان، لأنَّه مهدي من خالقه ومسدَّد من قِبَله إلىٰ الحقِّ والصواب والهدىٰ. والصنف الثاني هم سائر الخلق غير المعصومين، ولا

١. تفسير القمّي (ج ١/ ص٤٢).

تتحقَّق لهم الهداية إلَّا على يد المعصوم المؤيَّد من الله تعالىٰ حصراً.

وقد يتوهَّم بعض الناس أنَّ الطريق إلىٰ الهدىٰ والنجاة سالك لكلِّ أحد ولو من غير طريق أهل البيت عليهم السلام، كبعض الصوفيَّة ومدَّعي العرفان، وهو وهم باطل بنصِّ الأحاديث النبويَّة الشريفة المتَّفق عليها بين الفريقين كحديث السفينة المشهور، الذي يقول فيه النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق»[1]، فإنَّ صريح هذه الرواية يدلُّ على انحصار طريق النجاة بلزوم طريقة أهل البيت عليهم السلام، كما كان الخلاص من الغرق والنجاة من الطوفان منحصر بركوب السفينة مع نوح عليه السلام.

فما يتصوَّره البعض من أنَّه بلغ إلىٰ المعرفة التامَّة والعرفان الكامل والذوبان في الله تعالىٰ والفناء في ذاته، وهو لا يعترف بإمامة أهل البيت عليهم السلام، أو أنَّه يعترف بإمامتهم لكنَّه لا يسلك طريقهم الذي رسموه في أخذ المعارف وتزكية النفس، بل ذهب إلىٰ غيرهم وأخذ من شوب علومهم، أو خلط بين ذلك وبين ذلك.

أقول: من يرتكب ذلك فهو واهم وضالٌّ عن الطريق، وقد ورد عن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام في وصيَّته لكميل: «يا كميل، لا تأخذ إلَّا عنَّا تكن منَّا»[2].

وواضح هنا المنع من الأخذ من أيِّ مصدر سوىٰ أئمَّة الهدىٰ عليهم السلام، ولا مجال للقول: إنَّه لا بأس بأنْ نأخذ عنهم وعن غيرهم، لأنَّه سيكون من خلط الحقِّ بالباطل، ولن يُؤدِّي إلىٰ الهدىٰ، بل إلىٰ التشتُّت والضياع. ومن المعلوم أنَّ مسائل الدِّين ممَّا لا يقبل التبعيض، فإنَّ مصدر تلك المسائل واحد ومحدَّد من قِبَل الباري عزَّ وجلَّ، ولم يجز لأحد أنْ يأخذ دينه من غير ذلك المصدر الواحد

١. بصائر الدرجات للصفَّار (ص ٣١٧/ ج٦/ باب ١٣/ ح٤).

٢. تحف العقول لابن شعبة الحرَّاني (ص ١٧١).

الفارد، وهم أهل بيت العصمة الذين قرنهم بكتابه وجعلهم الثقل الآخر وطهَّرهم من الرجس ونصبهم أئمَّة علىٰ الخلق، فما خرج من بيوتهم فهو الحقُّ، وما خرج من غيرها باطل لا يجوز متابعته ولا ترويجه.

نعود إلىٰ نصِّ الدعاء، وما سأله العبد من ربِّه في أنْ يُبلِّغ الإمام صلواته عنه وعن والديه وكافَّة المؤمنين والمؤمنات، لنجد أنَّ ذلك نحو من أنحاء التواصل مع الإمام الحاضر، وهو أمر واجب علىٰ المأمومين وإنْ كان الإمام غائباً عن الأنظار، فهو وليُّ النعمة علينا، ومصدر جميع الألطاف الإلهيَّة، وهو المسؤول عنَّا وعن أعمالنا وعن مصيرنا في الدنيا والآخرة، فلا بدَّ أنْ نرتبط به ارتباطاً وثيقاً يوميًّا من خلال الدعاء له ومن خلال السلام عليه وإظهار فروض المحبَّة والاحترام له.

إنَّ إرسال السلام والصلوات للإمام عجل الله فرجه يتضمَّن عدَّة أُمور ينبغي للمؤمن أنْ يلتفت إليها ويلتزم بها:

١ - أنَّه سيكون مأمون الشرِّ، وأنَّه لن يوصل إلىٰ الإمام أيّ نوع من الأذىٰ والاعتداء. فهو سيلتزم الطاعة التي تسرُّ الإمام ويبتعد عن المعصية التي تؤذيه وتؤلمه، كما أنَّه سيتجنَّب الاعتداء علىٰ الآخرين، لأنَّ ذلك اعتداء علىٰ نفس الإمام وإيذاء له.

وقد ورد في الرواية عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «ما لكم تسوؤون رسول الله صلى الله عليه وآله؟»، فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: «أمَا تعلمون أنَّ أعمالكم تُعرَض عليه، فإذا رأىٰ فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرُّوه»[1].

وما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فهو للأئمَّة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام، كما ورد في الرواية عن عبد الله بن أبان الزيَّات وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام، قال: قلت

١. الكافي للكليني (ج ١/ ص٢١٩/ باب عرض الأعمال علىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام/ ح٣).

للرضا عليه السلام: ادع الله لي ولأهل بيتي، فقال: «أوَ لستُ أفعل؟ والله إنَّ أعمالكم لتعرض عليَّ في كلِّ يوم وليلة»، فقال: فاستعظمت ذلك فقال لي: «أمَا تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]؟ قال: «هو والله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام»[١].

٢ - أنَّه يحمل الحبَّ والودَّ الكبير للإمام عليه السلام بحيث يتوسَّل بالدعاء إلىٰ الله تعالىٰ لإيصال صلواته ومودَّته. وفي ذلك التزام بقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾ (الشورىٰ: ٢٣).

٣ - أنَّه آخذ بحجزة الإمام عليه السلام إذ يأخذ كلُّ بشر بحجزة قويٍّ من الأقوياء أو حزب أو فئة يحفظ بذلك نفسه ومصالحه ويتَّخذ منهم ظهراً وسنداً في الشدائد، لكن المؤمن لا يأخذ إلَّا بحجزة الإمام ولا يعتصم إلَّا به، لأنَّ الاعتصام به اعتصام بالله تبارك وتعالىٰ، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١).

٤ - أنَّه ينتمي إلىٰ جماعة المؤمنين التي تحمل العقيدة الصحيحة وتلتزم الطريق المستقيم وتوالي أئمَّة الهدىٰ عليهم السلام، وتلتزم إمامة الإمام المهدي عليه السلام، ولا شكَّ أنَّ تركيز هذا الانتماء ممَّا يُقوّي العقيدة ويُثبِّت الجنان ويوثق أواصر الارتباط بين أفراد تلك الجماعة، إذ تراهم يُردِّدون كلَّ يوم هذه العبائر التي تُؤكِّد انتماءهم الواحد وارتباطهم الأكيد بالإمام المعصوم الغائب، ممَّا يجعلهم كتلة اجتماعيَّة قويَّة وتوجُّهاً بشريًّا عاماً يحفظ أتباعه ويقوّي عزائمهم في مواجهة الصعاب والضغوط الهائلة التي اعتاد أتباع هذا المذهب علىٰ تحمُّلها وتجاوزها.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا وَمَا عِشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي لَا أَحُولُ عَنْهَا وَلَا أَزُولُ أَبَداً»:

البيعة هي التزام من الإنسان تجاه شخص ما علىٰ الطاعة والتبعيَّة في أُمور محدَّدة بقانون أو شريعة. وهي عقد لازم ما دامت الشروط من الطرفين متوفِّرة،

١. الكافي للكليني (ج ١/ ص٢١٩ و٢٢٠/ باب عرض الأعمال علىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام/ ح٤).

وتجديدها توثيق وتأكيد لمضمونها، وإظهار للاستعداد للوفاء بلوازمها دائماً وفي كافَّة الظروف.

إنَّ عقيدتنا في إمامة أهل البيت عليهم السلام أنَّها إمامة إلهيَّة فرضها الله على العباد ولم يجعل الخيرة في ذلك إليهم، بل أوجب عليهم الامتثال والطاعة، فهو كما يختار الأنبياء دون رجوع إلى الخلق، كذلك يختار الأوصياء لهم والأئمَّة على الخلق بعدهم.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القَصص: ٦٨).

ولذا فإنَّ إمامتهم عليهم السلام ليست ناتجة من نفس البيعة لهم كما يتوهَّم البعض، بل هي من نتائج الجعل الإلهي لإمامتهم والنصِّ على ذلك في الكتاب الكريم وفي سُنَّة النبيِّ صلى الله عليه وآله القطعيَّة، فالبيعة ممَّا يجب على الإنسان المؤمن فعله وإظهاره والالتزام به، امتثالاً للأمر الإلهي القاضي بفرض طاعتهم وتنصيبهم أئمَّة على الخلق وولاة للأمر. فهو نتيجة للنصِّ الإلهي بفرض ولايتهم، لا سبب لتلك الولاية.

ولذا فإنَّ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بقيت مفروضة على المسلمين حتَّى بعد تخلُّفهم عن بيعته وعدولهم بالأمر إلى غيره.

وهكذا الحال الآن في هذه الأزمنة، فإنَّ ولاية الإمام المهدي عجل الله فرجه على هذه الأُمَّة قائمة مستمرَّة وإنْ كان الناس في سلطة غيره وتبعاً لحكومات الجور، فإنَّ تلك الولاية أمر إلهي لا يتأثَّر باختيار الناس سلباً أو إيجاباً، نعم فاعليَّة تلك الولاية في حياة الناس من الجهات الظاهريَّة تتوقَّف على طاعة الناس ومبايعتهم ومتابعتهم للإمام عجل الله فرجه، وهي مع ذلك فاعلة في العديد من الأُمور الخفيَّة التي لا يُدركها الكثير من الناس، ولكنَّها فاعلة مؤثِّرة في مجمل أُمورهم وفي مسار الأُمور في الدنيا بأسرها.

إنَّ تكرار البيعة والتصريح بها يوميًّا حسب ما جاء في هذا الدعاء الشريف له آثار عديدة ومباركة:

١ - تذكير النفس بمسؤوليَّة الإنسان تجاه دينه وإمامه المفترض عليه طاعته، لأنَّ البيعة هي تأكيد للالتزام الشرعي بالطاعة المفروضة من الله تعالىٰ للإمام، وتثبيت لحقِّ الإمام في الطاعة والمتابعة والموالاة في عنق المكلَّف، وإظهار لما خفي لأزمان عديدة بسبب التقيَّة وظروف الملاحقة الشديدة للشيعة وأئمَّتهم عليهم السلام.

٢ - تأكيد إمامة أهل البيت عليهم السلام علىٰ الناس وبقائها، وهو ما دارت عليه البحوث الطويلة والجدل العنيف بين طوائف المسلمين طوال الأزمنة وإلىٰ يومنا هذا.

٣ - تحقيق مفهوم الإيمان عمليًّا والالتزام بأمر النبيِّ صلى الله عليه وآله: «من مات وليس في عنقه بيعة إمام مات ميتةً جاهليَّةً»[1].

٤ - سدُّ الطريق علىٰ مدَّعي الإمامة كذباً وزوراً، وما أكثرهم في كلِّ زمن.

٥ - توطين النفس علىٰ نصرة الدِّين وأئمَّة الهدىٰ عليهم السلام من خلال بيعة الإمام الحاضر في الزمن الغائب عن الأنظار عجل الله فرجه. وتثبيت النفس علىٰ الاستعداد للتضحية والشهادة في ذلك السبيل.

وهذه البيعة لا يحول عنها الداعي ولا يزول أبداً، وذلك لأنَّها عقيدة مبنيَّة علىٰ البرهان القاطع، والأدلَّة الناصعة الواضحة، والتي لا تُبقي مجالاً للشكِّ أو الارتياب، بل توجب الثبات والدوام والرسوخ في طاعتهم ومتابعتهم عليهم السلام.

«اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَالذَّابِّينَ عَنْهُ وَالْمُسَارِعِينَ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَالْمُمْتَثِلِينَ لأَوَامِرِهِ وَالْمُحَامِينَ عَنْهُ، وَالسَّابِقِينَ إِلَىٰ إِرَادَتِهِ وَالْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ»:

بعد الإقرار بالبيعة وتثبيتها وتكرارها ينتقل الداعي إلىٰ الدعاء بالحصول

١. الفصول المختارة للمفيد (ص ٢٤٥).

علىٰ توفيق النصرة للإمام عجل الله فرجه، وهو شرف لا يحصل عليه إلَّا من سبقت له الحسنىٰ وكُتُب في الصدِّيقين والأولياء، لأنَّ نصرة الإمام تتطلَّب أُموراً، منها:

١ - أنْ يكون الناصر للإمام عجل الله فرجه متديِّناً ملتزماً في أعلىٰ درجات الورع والتقوىٰ.

٢ - أنْ يكون علىٰ مستوىٰ عالٍ من وضوح العقيدة ونقاء الفكر بعيداً عن الشُّبُهات، سليماً من الشوائب.

٣ - أنْ يكون شجاعاً قويًّا في نفسه، ثابت الجنان، راسخ الإرادة، لا تزلزله الشدائد، ولا تُحرِّكه العواصف.

٤ - أنْ يكون خاضعاً للإمام خضوعاً تامًّا ومتابعاً لأوامره ونواهيه بشكل مطلق لا تردُّد فيه ولا وهن.

إلىٰ غير ذلك من صفات لا بدَّ من توفُّرها فيمن يشارك في نشر العدل في طول الأرض وعرضها.

إنَّ هذا الدعاء بأنْ يكون الإنسان من أنصاره وأعوانه والذابِّين عنه، يستدعي في نفس الإنسان همَّةً واندفاعاً للتحلّي بتلك الصفات ليكون أهلاً لتلك المنزلة. فهي تربية إيمانيَّة وتدريب عملي علىٰ التقوىٰ ورسوخ العقيدة، يندفع إليها المؤمن شوقاً إلىٰ نصرة إمامه ورغبةً في الحصول علىٰ ذلك الشرف الأعظم.

«اللَّهُمَّ إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ المَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَىٰ عِبَادِكَ حَتْماً مَقْضِيًّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَزِراً كَفَنِي شَاهِراً سَيْفِي مُجَرِّداً قَنَاتِي مُلَبِّيا دَعْوَةَ الدَّاعِي فِي الحَاضِرِ وَالبَادِي»:

إذا مات الإنسان سقطت عنه التكاليف وارتاح منها ومن تبعاتها، واستعدَّ للحساب علىٰ ما اكتسب في حياته منها، فإذا كان مؤمناً صالحاً نام في قبره نومة العروس، وتنعَّم في قبره حتَّىٰ تقوم الساعة. وليس من الوارد أنْ يتمنَّىٰ

المؤمن المنعم الذي ارتاح من الدنيا ومشاكلها وهمومها، العودة إليها وإلىٰ ما فيها من هموم وأثقال وتكاليف وامتحانات. وقد ورد أنَّ أوَّل راحة المؤمن هو أوَّل يوم من أيَّام موته وانتقاله إلىٰ جوار خالقه ﷻ.

وقد روىٰ الصدوق رحمه الله بسنده عن محمود بن لبيد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «شيئان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت راحة المؤمن من الفتنة، ويكره قلَّة المال وقلَّة المال أقلّ للحساب»[١].

بل إنَّ بعض المؤمنين يتمنَّىٰ وهو في الحياة أنْ ينتقل إلىٰ عالم الموت لشدَّة ما يلقىٰ من أذىٰ وابتلاء في هذه الحياة، وليس ببعيد عنَّا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول وهو علىٰ المنبر كما روىٰ ذلك القاضي نعمان في (شرح الأخبار) بإسناده عن عبيدة، قال: سمعت عليًّا عليه السلام وهو علىٰ المنبر يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي سئمتهم وسأموني، ومللتهم وملُّوني، فأرحني منهم وأرحهم منِّي، فما يمنع أشقاها أنْ يخضبها بدم - ووضع يده علىٰ لحيته - من هذه - ووضع يده علىٰ رأسه -»[٢].

لكن هذه الفقرة من الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ المَوْتُ...» إلخ، تُنبِّهنا إلىٰ وجود جمع من المؤمنين يتصرَّفون بشكل مختلف تماماً، فهم رغم راحتهم من هذه الحياة القاسية والامتحانات الثقيلة، يتمنَّون أنْ يعودوا إليها لا ليرتاحوا أو يركنوا إلىٰ الدعة، بل ليقاتلوا بين يدي الإمام المهدي عجل الله فرجه ويُقتَلوا ويحصلوا علىٰ شرف الشهادة بين يديه.

إنَّهم بعدما ذاقوا حلاوة النعيم في قبورهم ورُفِعَ عنهم ما كان من تكاليف الدنيا وتخفَّفوا من تلك المسؤوليَّات وتجرَّدوا من كافَّة المزعجات، يتمنَّون العودة إلىٰ عالم التكليف والابتلاء والامتحان لا لشيء، إلَّا لنصرة الإمام

١. الخصال للصدوق (ص ٧٤/ ح١١٥).
٢. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي (ج ٢/ ص٤٥٠/ ح٨٠٦).

المهدي عجل الله فرجه الشريف، حبًّا له وشوقاً إلىٰ لقائه وإيماناً بعظيم المنزلة لمن تشرَّف بنصرته واستشهد بين يديه.

فأيُّ لذَّةٍ تكون في ذلك؟ وأيُّ شعورٍ ينتاب المؤمن في نصرة الإمام الغائب؟ وأيُّ منزلةٍ تكون لأنصاره وأعوانه؟

هذا ما ستكشفه الأيَّام ويجليه نفس الظهور المبارك لحجَّة الله وبقيَّته في أرضه عجل الله فرجه الشريف.

«اللَّهُمَّ أَرِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ وَالغُرَّةَ الحَمِيدَةَ وَاكْحُلْ نَاظِرِي بِنَظْرَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ وَعَجِّلْ فَرَجَهُ وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ وَأَوْسِعْ مَنْهَجَهُ وَاسْلُكْ بِي مَحَجَّتَهُ وَأَنْفِذْ أَمْرَهُ وَاشْدُدْ أَزْرَهُ، وَاعْمُرِ اللَّهُمَّ بِهِ بِلَادَكَ وَأَحْيِ بِهِ عِبَادَكَ فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الحَقُّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]»:

تلك هي أُمنية كلِّ مؤمن ومؤمنة، أنْ يرىٰ تلك الطلعة الرشيدة والغرَّة الحميدة، التي نوَّرها الله تعالىٰ بنور عزَّته وألقىٰ عليها بهاءه وجماله، وجعل فيها شمائل محمّد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فالناظر إليه إنَّما ينظر إليهم، ويقتبس من نورهم.

يقول بعض أهل المعرفة: إنَّ الوجه أرشيف كامل لما يجري علىٰ الإنسان في حياته، ولما يرثه من صفات آبائه وأجداده، ولذا يتفنَّنون في قراءة الوجوه ويستنبطون من تقاسيمها ما يُخبرون به عن الغيب ويتوقَّعون به الأحداث الآتية والخصال الخافية.

إنَّ ذلك لو صحَّ كلُّه أو بعضه، لكان الناظر إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف عند ظهوره ناظراً في تضاعيف وجهه الشريف وجبهته المنيرة إلىٰ معاناة المئات من السنين وأحزانها وآلامها، والتي مرَّت علىٰ الإمام عجل الله فرجه الشريف وهو مسؤول عن هذا الخلق مكلَّف من الله تعالىٰ بإمامتهم وهدايتهم ورعاية شؤونهم، ولو لم يكن إلَّا ما جرىٰ في كربلاء لكان كافياً لأنْ نرىٰ أحزان الدنيا تزدحم في عينيه وتتراكم

في محياه الجميل الحزين. كيف وتاريخ البشر وما مرَّ عليهم من أحداث أليمة وأحزان ممضَّة، كلُّ ذلك يمرُّ عليه ويشهده بنفسه ويعيشه لحظة بلحظة بكامل تفاصيله وهو الحجَّة علىٰ الناس والكهف لخائفهم والأمان لهاربهم والداعي لهم ليل نهار والمتوسِّل إلىٰ ربِّه في نجاتهم من تبعات ذنوبهم وآثار معصيتهم وظلم بعضهم للبعض الآخر.

إنَّ من يحظىٰ بنظرة إلىٰ وجه الإمام المهدي عجل الله فرجه لن يحظىٰ بلذَّة النظر إلىٰ نوره وبهائه فقط، بل سيمتلأ حزناً وحسرةً علىٰ ما سيرىٰ من كآبة الإمام وحزنه وآثار ذلك عليه ووطأته علىٰ قسمات محياه (روحي وأرواح العالمين فداه).

«وَعَجِّلْ فَرَجَهُ وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ وَأَوْسِعْ مَنْهَجَهُ»:

الدعاء بالفرج للإمام من المستحبَّات المؤكَّدة، والروايات في ذلك عديدة، منها ما ورد في التوقيع الشريف: «وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الفَرَجِ فَإِنَّ ذٰلِكَ فَرَجُكُمْ»[1]، لكن الفرج المطلوب ليس هو مجرَّد الظهور، بل أنْ يكون ذلك سهلاً عليه، حيث يجد عجل الله فرجه مناهج الأُمور أمامه واسعة سهلة ميسَّرة، لا ضيِّقة معسرة، وطُرُق علاج الأزمات عديدة وخياراتها في متناول يده، ليكون ذلك ضماناً لسرعة تحقيق العدل ونشره في طول الأرض وعرضها بين كافَّة أبناء البشر علىٰ رغم الاختلاف الشديد في لغاتهم وثقافاتهم وطباعهم وأمزجتهم.

إنَّ من أشدّ المصاعب التي تنتظر الإمام عجل الله فرجه التعامل مع هذا الكمِّ الهائل من البشر المتعدِّد الثقافات والطباع والمعتقدات، وإيصالهم إلىٰ القناعة التامَّة الواضحة بدين الإسلام، ليتركوا ما درجوا عليه آلاف السنين من عادات سيِّئة ومعتقدات باطلة، ويتَّخذوا من دين محمّد صلى الله عليه وآله ديناً وطريقة حياة.

إنَّه انقلاب كامل في حياة البشر وثقافتهم وعاداتهم وطبائعهم، سيقوده الإمام عجل الله فرجه بعلمه وبيانه وبما يُعطيه الله تعالىٰ من المحبَّة في قلوب البشر، ﴿إِنَّ

١. الغيبة للطوسي (ص ٢٩٢ و٢٩٣/ ح٢٤٧).

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦).

«وَاسْلُكْ بِي مَحَجَّتَهُ»:

المحجَّة هي الطريق الأعظم الذي يجمع الناس، وكثيرة هي الطُّرُق، منها ما يوصل إلىٰ الطاغوت، ومنها ما يوصل إلىٰ الله تعالىٰ، وقد جعل الله تعالىٰ الطريق الموصل إليه منحصراً بأهل بيت نبيِّه عليهم السلام، ولا طريق سواه بنصِّ حديث السفينة وحديث الثقلين.

«وَاعْمُرِ اللَّهُمَّ بِهِ بِلَادَكَ وَأَحْيِ بِهِ عِبَادَكَ»:

إنَّما تعمر البلاد بالعدل والقسط، لا بالأبنية والشوارع والمنشآت فحسب، وهو ما ازدحمت به الأرض الآن، لكنَّها خلت من العدل والإنصاف، وضجَّت بالظلم والفساد، فعادت موحشة مظلمة من أفعال العباد.

وقد ورد عن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «بالعدل قامت السماوات والأرض»[1]، ولا تعمر الأرض إلَّا بالعدل الذي هو عنوان حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه وظهوره: «يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً».

من ذلك يتَّضح أنَّ الإعمار المقصود هو أنْ تشيع السعادة والإنصاف في الأرض، وتصبح المفاهيم الإنسانيَّة واقعاً معاشاً عامًّا لجميع البشر. وتُبنىٰ جميع أحوال الحياة علىٰ العدل، وهو وضع الأشياء في محلِّها لا علىٰ المساواة كما يتوهَّم البعض، إذ قد تكون المساواة في أحيان كثيرة خلاف العدل، وقد يكون التفاوت هو عين العدل. فالقيمة المطلقة هو العدل الذي هو: (وضع الشيء في محلِّه). وأمَّا المساواة وأمثالها فهي مفاهيم نسبيَّة قد تكون جيِّدة أحياناً وقد تكون سيِّئة أحياناً أُخرىٰ.

ثمّ إنَّ المجتمع البشري (مجتمع العباد) إنَّما يكون حيًّا إذا شاع فيه العدل وعمَّت فيه السعادة، وأمَّا مع شيوع الظلم والحيف فهو مجتمع

١. عوالي اللئالي للأحسائي (ج ٤/ ص١٠٣/ ح١٥٠).

ميِّت بحسب الموازين الإلهيَّة للحياة، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٩).

فالمجتمع الذي لا يعالج الجريمة والظلم بالقصاص مجتمع ميِّت لا حياة فيه، والعكس بالعكس، المجتمع الملتزم بحدود الله وقوانينه في ملاحقة الظلم والفساد، مجتمع حيٌّ سعيد تندر فيه الجريمة وتقلُّ فيه المظالم.

ثمّ إنَّ حياة العباد كما تتحقَّق بالعدل، تتحقَّق بكمال العقول وطهارة النفوس، وهذا ما سيشهده العالم علىٰ يد الإمام المهدي عجل الله فرجه، وقد ورد عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إذا قام قائمنا وضع يده علىٰ رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أحلامهم»[1].

واكتمال العقول يضمن عدم صدور الظلم من العباد، بل عدم الانشغال بالتوافه من الأُمور، ويُوجِّه الإنسان إلىٰ الاهتمام بما خُلِقَ له وبرأ من أجله، الأمر الذي ينتج انشغال البشر بالأُمور النافعة والمنتجة. ويصرفهم عن النزاعات والخلافات والحروب العبثيَّة. وهذا ممَّا يُحقِّق العدل غالباً بلا حاجة إلىٰ قوَّة رادعة، بل يتحقَّق برغبة وإرادة الناس تلقائيًّا.

«فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الحَقُّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]»:

انتشار الفساد قد لا يكون ظاهراً بالضرورة، فقد يكون موجوداً لكنَّه مستتر خفي، يخفيه من يمارسه حياءً أو خوفاً أو مجاملةً أو نفاقاً، وهذه درجة من درجات الانتشار لا بدَّ أنْ تُعالَج بالتربيَّة والإصلاح بالتي هي أحسن.

لكن أنْ يظهر الفساد في الأرض ويعود لائحاً أمام الجميع دون اعتراض أو ردع، فهذا يعني أنَّه تجاوز مرحلة الوجود إلىٰ مرحلة الشرعنة والقبول والإمضاء من قِبَل الكثير من البشر، وهاهنا يكمن الخطر الأكبر، فإنَّ وجود فساد في

١. مختصر بصائر الدرجات للحلّي (ص ١١٧).

جهة ما أمر سيِّئ، لكنَّه يكون عادةً مصحوباً بالشعور بالذنب من مرتكبه ومحاولة إخفائه أو تأويله وتبريره، أمَّا أنْ يكون ظاهراً لا يحتاج صاحبه إلىٰ عذر أو تبرير، فهذا ما يعني انقلاب المفاهيم، وهو ما أشار إليه النبيُّ الأعظم ﷺ في الحديث المشهور الذي يحثُّ فيه علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويُحذِّر من عواقب ترك ذلك إذ يقول: «كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»[1].

وهي أسوأ حالة يصلها الناس بعد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مرحلة انقلاب المفاهيم حيث يتحوَّل المعروف في أنظارهم إلىٰ منكر والمنكر معروفاً.

وهذا ما يشكو منه الداعي بهذا الدعاء، إذ نرىٰ وعلىٰ مرور الأزمنة تحوُّلاً تدريجيًّا للمفاهيم يصل بالناس إلىٰ حالة المسخ للأفكار والتشويه للحقائق، فيعود الهتك للمؤمنين ولثوابت المجتمع حرّيَّة للرأي، وشيوع الشذوذ الجنسي والمثليَّة حقًّا مكتسباً للبشر يجب الدفاع عنه، وإشاعة الفساد في وسائل الإعلام حبًّا للحياة وإقبالاً علىٰ السعادة وانفتاحاً علىٰ الثقافات. بينما يكون الدفاع عن الحُرُمات الدِّينيَّة والأخلاقيَّة تزمُّتاً وتعصُّباً وتطرُّفاً.

«فَأَظْهِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِيَّكَ وَابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكَ الْمُسَمَّىٰ بِاسْمِ رَسُولِكَ، حَتَّىٰ لَا يَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ إِلَّا مَزَّقَهُ وَيَحِقَّ الْحَقَّ وَيُحَقِّقَهُ، وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مَفْزَعاً لِمَظْلُومِ عِبَادِكَ وَنَاصِراً لِمَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِراً غَيْرَكَ، وَمُجَدِّداً لِمَا عُطِّلَ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِكَ وَمُشَيِّداً لِمَا وَرَدَ مِنْ أَعْلَامِ دِينِكَ وَسُنَنِ نَبِيِّكَ ﷺ، وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مِمَّنْ حَصَّنْتَهُ مِنْ بَأْسِ الْمُعْتَدِينَ، اللَّهُمَّ وَسُرَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّداً ﷺ بِرُؤْيَتِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ وَارْحَمِ اسْتِكَانَتَنَا بَعْدَهُ.

١. الكافي للكليني (ج ٥/ ص٥٩/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح١٤).

اللَّهُمَّ اكْشِفْ هذِهِ الغُمَّةَ عَنْ هذِهِ الأُمَّةِ بِحُضُورِهِ، وَعَجِّلْ لَنَا ظُهُورَهُ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً. بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»:

لا بدَّ لكلِّ مؤمن يدعو بهذا الدعاء أنْ يتأمَّل في حال نفسه ويسألها صادقاً: هل هو - حين يدعو بتعجيل الظهور - يُعَدُّ من جملة أهل الباطل أم من أهل الحقِّ الذين يدعون إليه ويلتزمون به؟

إنَّنا حين نقول: «حَتَّىٰ لَا يَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنَ البَاطِلِ إِلَّا مَزَّقَهُ»، هل نستعدُّ لقبول حكم الإمام عجل الله فرجه في أنفسنا وأموالنا؟ وهل فيما كسبناه من أملاك وأعيان حرام لا بدَّ من إعادته إلىٰ أهله، وهل في أفكارنا وعقائدنا التي حملناها ودافعنا عنها باطل سيُمزِّقه الإمام عجل الله فرجه؟

هل بنينا حياتنا وعقائدنا علىٰ البراهين التي تجعلنا معذورين أمام الباري عزّ وجلّ وأمام حجَّته علىٰ أرضه وأبرياء من الجهات الشرعيَّة حتَّىٰ إذا كنَّا مخطئين؟ أم أنَّنا تعصَّبنا للباطل واتَّبعنا أهواءنا ونزعنا رداء الشرع وضوابط الدِّين لأجل منافع الدنيا وأهواء النفس؟

إنَّ الإمام عجل الله فرجه لن يطال بعقوبته من اتَّبع الطُّرُق الشرعيَّة في ما يملك أو فيما يعمل أو فيما يعتقد ما دام ذلك مبنيًّا علىٰ الحجَّة الشرعيَّة، لكنَّه سيطال بحسابه من سوىٰ ذلك ممَّن اتَّبع الشهوات وتجاوز وظلم وأسرف، فهل نحن من أُولئك أم من هؤلاء؟

إنَّ حساب المرء لنفسه اليوم أهون بكثير من أنْ يُحاسَب أمام الإمام في يوم الظهور، أو يُحاسَب في يوم القيامة، وقد ورد في الرواية الشريفة: «حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تُحاسَبوا»[1].

إنَّ التعبير بالتمزيق للباطل فيه إشارة إلىٰ أنَّ للباطل نسيجاً مترابطاً، كشبكة متفرِّعة ممتدَّة من الأشخاص والفئات والكيانات الاجتماعيَّة تلتفُّ حول فكرة باطلة أو سلوك منحرف، فهو ليس حالة فرديَّة فقط، أو حالة منفصلة، ولذا

١. الكافي للكليني (ج ٨/ ص١٤٣/ ح١٠٨).

هي بحاجة إلىٰ تمزيق وتشتيت وتفريق، للتخلُّص من آثارها ونتائجها علىٰ الواقع المعاش.

ثمّ إنَّ تحقيق الحقِّ قد يعني إعلانه والبتُّ فيما اختلف فيه الناس، وهذا لا يكفي، لأنَّ المطلوب هو تحقيق العدالة لا تشخيص الباطل فقط، ولذا قال: «وَيَحِقَّ الحَقَّ وَيُحَقِّقَهُ»، فتحقيق الحقِّ بعد تشخيصه وبيانه هو الهدف.

وبهذا يكون الإمام عجل الله فرجه مفزعاً للمظلومين من العباد الذين طالما ترقَّبوا وانتظروا من ينصفهم من الأقوياء الظلمة ويُرجِع إليهم ما سُلِبَ من حقوقهم المعنويَّة أو المادّيَّة أو الاجتماعيَّة، وناصراً لمن لم يجد قبل ظهور الإمام عجل الله فرجه ناصراً علىٰ الظالمين والمتعدِّين، وتلك هي من أعظم نتائج الظهور وأحلىٰ ثمراته والتي ستشيع الفرح والسرور والارتياح لدىٰ معظم البشر، لأنَّ معظمهم كان من هذه الفئة المظلومة المسحوقة.

كما أنَّ من أعظم نتائج الظهور هو إحياء معالم دين محمّد صلى الله عليه وآله بلا تقيَّة ولا خوف من أحد، وتطبيق أحكام شريعته بحذافيرها علىٰ الجميع بلا تمييز ولا مجاملة ولا محاباة. فهو المجدِّد لما عُطِّل من أحكام الكتاب العزيز وما ضُيِّع من سُنَن سيِّد المرسَلين صلى الله عليه وآله.

ومن الطبيعي أنْ يكون الإمام عجل الله فرجه مع هذا المشروع الكبير في إصلاح الأُمَّة وإعادة الأُمور إلىٰ نصابها هدفاً للفاسدين وللأشرار الذين سيقاومون مشروعه ويمتنعون من الانصياع إليه، ممَّا يدعونا إلىٰ الدعاء له بالحفظ من شرورهم والسلامة من كيدهم والتحصين من بأسهم، ليعود النبيُّ صلى الله عليه وآله سعيداً بظهوره سعادة تنتشر في أوساط المظلومين في الأرض وتشمل كافَّة المؤمنين المضطهدين في كافَّة الأزمنة والعصور.

اللَّهُمَّ عجِّل فرجه ويسِّر مخرجه، واجعلنا من أعوانه ومقوّية سلطانه.

والحمد لله أوَّلاً وآخراً، والصلاة علىٰ نبيِّه وعلىٰ آله الطاهرين.

ALMAUOOD

دخالة البشر في تعجيل فرج الإمام المنتظر عجل الله فرجه

الشيخ كاظم القره غولي

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ أشرف خلق الله النبي الأمين وآله الطاهرين.

وبعد..

فإن اجتماع الخالقية والمدبرية والمشرعية في وجود واحد وهي الذات المقدسة التي أحاطت بكل شيء قد أوجد انسجاماً عجيباً بين الخلقة وشؤونها والأنظمة التشريعية وتفصيلاتها، بما في ذلك طبيعة الآثار الجزائية علىٰ طاعة العباد ومعاصيهم، كما أوجد ترابطاً بين هذه الجهات. فكم من قانون في التكوين كان تجسيداً لقوانين الجزاء. فحين تجعل النتيجة وفق قانون التكوين مترتبة علىٰ فعل اختياري للمكلفين بقيد أنه إطاعة أو معصية كان ذلك القانون التكويني تجسيداً لقوانين الجزاء.

إن قوانين التكوين مخلوقة لله تعالىٰ ككل ما سواه تعالىٰ من الوجود، والحكمة إطار الخلقة الذي لا تتعداه، ونفس الحكمة التي دعت إلىٰ خلقة النوع دعت إلىٰ تحميله عبء التكليف، فطريق وصوله إلىٰ غاية خلقته مركبه التكليف ولا سبيل آخر سواه. ولولا هذا المركب لانقطعت بالإنسان سبل الوصول إلىٰ ما رامت الإرادة السماوية للإنسان أن يصل إليه. نفس تلك الحكمة دعت إلىٰ إشراك التكوين في المؤثرية في تحريك الإنسان، فنفسه تتوق إلىٰ أشياء وتنزعج وربما

تفرق من أشياء أخرىٰ، فشكّل التنفر والتعلق ساحة استثمار ليكون ذلك أداة معينة للإنسان في الارتقاء، بل هي الساحة الأساسية إن لم تكن الوحيدة:

ومن تلك الأشياء ما ظرف تحققه هذه النشأة ومنها ما محله النشأة الأخرىٰ، والنشأة الآخرة هي دار الجزاء أصالة، والدنيا دار الامتحان وظرف التكليف والاستكمال، فرتبت الآثار الحسنة في الأخرىٰ علىٰ الأعمال الحسنة ورتبت الآثار السيئة فيها علىٰ الأعمال السيئة، فالدار الآخرة متمحضة للجزاء.

ولما كان الإنسان قد خلق علىٰ صفة الاستعجال لم يقبل أن يقدم علىٰ ترك نفع دنيوي دفعاً لضرر أخروي بعيد.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (القيامة: ٢٠-٢١).

دعت الحكمة إلىٰ أن تكون بعض آثار الأعمال في الدنيا متلبسة بلباس الجزاء حتىٰ قبل التكليف، ووظف ذلك في التكوين ليكون داعماً للتشريع والاستجابة له وامتثاله.

﴿ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ (الجن: ١٦).

فأفعال الإنسان الاختيارية قد جعل الله بعضها مقدمات لآثار في التكوين، ولو لم تكن تلك الآثار مقصودة حين الإتيان بهذه الأفعال، بل ولو كانت تلك الآثار مبغوضة للفاعلين.

فالفعل فعل الإنسان، أمّا ترتب الأثر عليه فليس اختيارياً عادة للإنسان، فمن تناول السم القاتل قتله، علم بسميته أم لم يعلم، وأراد أن يسم أم لم يرد.

بل هناك تأثير لبعض الأفعال البشرية في التشريع، ويحفظ لنا القرآن من ذلك مفردة قد حصلت في بني إسرائيل، قال تعالىٰ:

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً﴾ (النساء: ١٦٠).

وفي أُمّة الإسلام قد حصل ذلك في إلغاء صدقة النجوىٰ التي أوجبت علىٰ المسلمين أولاً، بقوله تعالىٰ:

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً﴾ (المجادلة: ١٢).

رفعها عنهم بعد أن تثاقلوا عنها ولم يفعلوها.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾ (المجادلة: ١٣).

وظهور الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه والفرج الذي سيحصل للمؤمنين من مفردات التكوين، فهل لأعمال الناس دخالة في حصوله كما تنبه لذلك بعض الوجوه التي سيأتي التعرض لها، أم لا دخالة لعامة الناس في هذا الأمر كما هو مؤدىٰ بعض الوجوه التي تضمنها البحث.

هذا ما سنحاول البحث فيه والوقوف علىٰ واقع الحال فيه.

ما هو مقتضىٰ القاعدة؟

لننظر أولاً إلىٰ ما تقتضيه القاعدة والأصل في المقام، فنقول:

لما كان قيام دولة الحق مسألة اكتسبت عناية كبيرة في نفوس الناس وتهفو إليها أرواح المؤمنين كان من الطبيعي أن يطلبوها من الله تبارك وتعالىٰ. وأي شيء تسعىٰ إليه الناس أفضل وأهم من قيام دولة الحق وإعلاء كلمة الله وإزهاق كلمة الباطل وكسر رايته وإخراج الأرض خيراتها وإنزال السماء بركاتها وانتشار الأمن بين بني النوع وامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؟

ويشهد لذلك الكم الكبير من الروايات التي يسأل المؤمنون فيها عن الفرج متىٰ يكون، وواضح من جملة من هذه الروايات أن الباعث نحو السؤال ليس مجرد الاستعلام، بل إن الدافع نحو السؤال هو شدة تعلق النفوس بذلك الفرج.

ومادام هذا الفرج ممكناً لله تعالىٰ من جهة تقديم وقته وتعجيله، فتعلق النفوس به وسؤاله من الله تعالىٰ يمكن أن يكون مؤثراً في تعجيله ما لم يكن هناك مانع منه، فمقتضىٰ القاعدة هو التأثير ولو من خلال التوسل إلىٰ الله تعالىٰ والتوجه بالدعاء له عجل الله فرجه.

قد يقال إن تأسيس الأصل لا فائدة فيه لأن المبحوث عنه في المقام ليس حكماً شرعياً لنقوم بتحديد الموقف العملي الذي يؤمن معه من التبعة السيئة عند المخالفة للواقع مما يستدعي البحث عن المؤمن، ولكن يرده أن تحديد الأصل ومقتضىٰ القاعدة في الفروع لا يقتصر دوره علىٰ إيجاد المؤمِّن عن مخالفة الأحكام الإلزامية غير المعلومة عند فقد الدليل، بل يعم الفروع ولو لم يكن الحكم إلزامياً فيشمل الاستحباب والكراهة، وقد تقتضي القاعدة الوجوب أو الحرمة، كذلك تشمل القاعدة الأحكام الوضعية كالصحة والفساد في المعاملات وعدم الجزئية وعدم الشرطية في العبادات والمعاملات علىٰ حد سواء.

ويضاف إلىٰ ذلك أن القاعدة قد تكون مؤدىٰ دليل اجتهادي كآية أو رواية وقد تكون تطبيق أصل عملي شرعي كما في الاستصحاب والبراءة والاحتياط والتخيير وقد تكون أصلاً عقلياً. ورجوعنا في القاعدة إلىٰ الأصل العملي الشرعي متوقف علىٰ عدم وجود دليل اجتهادي ورجوعنا إلىٰ الأصل العملي العقلي متوقف علىٰ عدم وجود الأصل العملي الشرعي.

ورجوعنا إلىٰ الأصل الشرعي أو حتىٰ العقلي في غير موارد التأمين من الأحكام التكليفية الإلزامية هو نوع تلبس بالعبودية وانقياد موجب لاستحقاق الثواب. ففائدة الرجوع إلىٰ الأصول في موارده تتمثل في استحقاق الثواب.

وفي محل كلامنا قد يقال إنه لا مجال للأصل العملي سواء كان شرعياً أو عقلياً لأننا نبحث عن أن طبيعة هذا الأمر يمكن أن يؤثر فيه البشر أو لا، ولا معنىٰ للأصل فالأثر المبحوث عنه يمكن بشكل أو بآخر أن يرجع إلىٰ التكوين فقد جعل الله لكل شيء سبباً.

لكن يرده:

أولاً: أن الأثر المتصور هنا قد يكون في جهة استحقاق الثواب، فمن عمل عملاً قام الدليل علىٰ أنه يؤثر في تعجيل الفرج فقد أتىٰ بعمل مطلوب شرعاً فيكون مستحقاً للثواب، ويكفي هذا الاستحقاق أثراً للأعمال، بل هو المراد أساساً من المكلفين، ولذا عبرت الآيات عن الاستجابة والامتثال للأوامر الشرعية بالبيع والشراء والتجارة[1].

وثانياً: أن ذلك ليس كالآثار التكوينية، فإن الدعاء والاستكانة إلىٰ الله تعالىٰ قد تؤثر في حصول المدعو به لكنه لا يدخل تحت المؤثرات التكوينية، فاستجابة الدعاء أمر بيد الله حصراً، نعم ما كان من مقدمة من العبد قد تجعل الله يفعل مثل هذا الأمر، وهذا كالعفو والمغفرة ليس محكوماً صرفاً بيد قواعد التكوين وقوانينه.

وعلىٰ كل حال فإن القاعدة في المقام هي مؤدىٰ دليل لفظي يكفي مثالاً عليه قوله تعالىٰ:

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠).

والتعجيل أمره بيده تعالىٰ لا بيد غيره.

وبناءً عليه يمكن القول إن ظاهر الأدلة الشرعية أن الدعاء مؤثر هنا لإطلاق متعلق الدعاء في الآية الشريفة ونظائرها من الأدلة اللفظية، فيصح بناءً عليه العمل بهذه الظواهر إن لم يدل دليل علىٰ الخلاف يمنعنا من التمسك بظواهر هذه الأدلة.

---

١. ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ (النساء: ٧٤).
﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ (التوبة: ١١١).
﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩).
﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف: ١٠).

فالقاعدة هنا هي إطلاق الدليل، والأصل يراد الأصل اللفظي لا الأصل العملي. ولا نرفع اليد عنه إلّا إذا وجد المانع من الرجوع إلىٰ هذا الأصل.

والمانع المتصور يمكن العثور عليه لو أمكن في ما توفرت عليه الروايات من بيانات لعلة الغيبة وغيرها، فلننظر إلىٰ ما يمكن أن يكون شاهداً أو دليلاً علىٰ التأثير البشري في تعجيل الظهور أو عدمه في علل الغيبة، بضميمة الوجوه الأخرىٰ إن وجدت.

وجوه المنع من دخالة البشر في تعجيل الظهور:

الأول: علل الغيبة:

هناك بعض من علل الغيبة قد يستدل بها علىٰ عدم دخالة المكلفين بتعجيل الظهور، ومنها:

١ - جريان سنن الأنبياء فيه:

ففي رواية مسندة إلىٰ حنان بن سدير عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها»، فقلت له: يا بن رسول الله، ولِمَ ذلك؟ قال: «لأن الله عز وجل أبىٰ إلّا أن تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وأنه لابد يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال تعالىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] أي سنن من كان قبلكم»[1].

والذي يظهر من هذه الرواية أنه لابد من استيفاء مدد الأنبياء في غيباتهم، وهذا يعني أن ذلك غير خاضع لانعكاس فعل من المكلفين، فلا يؤثر دعاء أو توطئة ونشر الحق في تقديم زمان الحضور والظهور.

لكن يرد عليه أن الرواية وإن ذكرت حتمية استيفاء مدد غيبة الأنبياء عليهم السلام، لكن ليس من المعلوم أن مدة غيبته عجل الله فرجه الشريف بمقدار مجموع مدد غيباتهم، إذ ليس ببعيد أن التحديد من جهة عدم النقصان ولا ربط لها بعدم الزيادة، فيكون

١. كمال الدين: ج٢، باب علة الغيبة، ج٦.

تأثير دعوات المؤمنين وأثر أعمال البشر - لو كانت مؤثرة - في أن لا تزيد مدة غيبته عجل الله فرجه عن مجموع مدد غيباتهم بمدة طويلة أو لا تتحقق أصل الزيادة.

اللهم إلّا إذا كانت جملة «وإنه لابد يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم» هي نفس مضمون قوله قبل ذلك: «إلّا أن تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام»، وتكرار له، فنفهم حينئذٍ من الجملة الثانية أيضاً أن غيبته عجل الله فرجه محددة بمقدار مساوي لمجموع غيباتهم عليهم السلام، وظاهر العطف المغايرة، فتكون السنة التي تجري فيه أيضاً هي أصل الغيبة، ويشهد لذلك أن سؤال السائل كان عن علة أصل الغيبة لا عن مدتها. وتكون الجملة الثانية في مقام بيان شيء آخر وهو مقدار هذه المدة من جهة الحد الأدنىٰ.

هذا أولاً.

وثانياً: وهو وجه استبعادي - إنه لم يردنا عن غيبات الأنبياء ما يمكن أن يصل إلىٰ أكثر من ألف سنة كما حصل للمولىٰ عجل الله فرجه ولو بالمجموع، ولو كان الأمر كذلك لتعرضت له بعض الروايات ولم تذكر غيبة لمثل إدريس عليه السلام في عشرين سنة[١]، وغيبة صالح عليه السلام مدة يسيرة[٢] وظاهر الرواية أنه لم يمكث طويلاً فقد عاد إلىٰ نفس الجيل الذي عرفه قبل ذلك ولكن مع تغير الهيأة فأنكره الكثير منهم، وإبراهيم عليه السلام لكن ما نقله الصدوق رحمه الله من الروايتين في كمال الدين غير ظاهرتين في غيبته، وغيبة يوسف عليه السلام عن أهله، وغيبة موسىٰ عليه السلام وقد ذكرت رواية أن مدة غيبته ثمان وعشرون سنة[٣]، وتحدثت رواية طويلة عن غيبة للوصي الحادي عشر بعد يوشع بن نون وغيره من بني إسرائيل[٤].

١. رواية أبي البلاء يحيىٰ بن أبي سليمان أو يحيىٰ بن سليم عن الإمام الباقر عليه السلام وهي رواية طويلة وكل طبقات سندها ثقات إلّا يحيىٰ بن أبي سليمان. [كمال الدين: ج١، ص١٩٧-٢٠٣]

٢. كمال الدين: ج١، ص٢٠٩-٢١٠.

٣. كمال الدين: ج١، ص٢٣١.

٤. كمال الدين: ج١، ص٢٣٤-٢٣٥.

لكن مجموع تلك الغيبات لا يقارب غيبة الإمام عجّل الله فرجه في طول المدة، ولو كان ثمة غيبة طويلة لتعرضت لها الروايات، وفي ذلك شهادة علىٰ أن مدة الغيبات السابقة هي الحد الأدنىٰ في الطول لغيبة الإمام عجّل الله فرجه.

وإنما قلنا إنه وجه استبعادي، لأن الحكمة اقتضت أن لا يعلم الشيعة ولو إجمالاً بطول هذه الغيبة وإلّا كان ذلك باعثاً علىٰ اليأس وطول الأمد وهو علىٰ خلاف ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام من أن الشيعة تربىٰ بالأماني.

وإذا أمكن أن يكون هذا الوجه لبيان الحد الأدنىٰ للغيبة فهو لا يدل علىٰ عدم دخالة الخلق في التعجيل لظهوره عجّل الله فرجه بتوسل ودعاء أو بإيجاد مقدمات قد تعجل الظهور.

٢ - كونه سراً لم يؤذن في كشفه:

في رواية مسندة عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها، يرتاب فيها كل مبطل»، فقلت له: ولِمَ جعلت فداك؟ قال: «لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم»، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غياب من تقدمه من حجج الله تعالىٰ ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسىٰ عليه السلام إلّا وقت افتراقهما.

يا بن الفضل إن هذا الأمر أمر من أمر الله، وسرٌّ من سر الله وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنه عزّ وجلّ حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا»[1].

وجه الدلالة أنه لو كان للناس دور في ذلك لكان مما أراده الشارع المقدس ولو أراده لبينه، ولمّا قال الإمام عليه السلام إنه سر لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، علمنا أنه ليس مما يمكن أن يعجل في الظهور بفعل من أفراد الأُمّة.

١. كمال الدين: ج٢، ب٤٤، ح١١.

فإن قلت: قد تمنع بعض الموانع من بيان ذلك، كأن يتقي الإمام سلطان زمانه وزبانيته فلا يصرح بما ينبغي للناس أن يفعلوه لأجل تعجيل الفرج بظهوره عجل الله فرجه.

قلت: إن ذلك مندفع أولاً بأنه عليه السلام بيَّن أنه لا ينكشف هذا السر إلّا بعد الظهور، وهذا يعني أن المسألة غير مرتبطة بمانع خاص في ظرف خاص، وإلّا لقال لا ينكشف إلّا بعد حين. وثانياً: أن الروايات التي تعرضت لما يراد من المؤمنين في الغيبة حدوث ذلك بالسكون والثبات على ما كانوا عليه. فهي بالتالي لا تريد فعلاً معيناً من المكلفين بل تريد عدم التحرك.

لكن يرد على هذا الوجه: أن الحكمة قد اقتضت أصل الغيبة وبقائها لمدة، وهذا المقدار يبدو أنه لا دخالة للناس فيه، وذلك لا يمنع من أن هناك تأثيراً لأعمال العباد في إطالة هذه المدة واختزالها. فيكون لتلك المدة حد أدنى، ولم تتعرض الرواية للحكمة فيه وأمرتنا بالسكون في مدة الغيبة، لأن بني النوع قد خلقوا مع الاستعجال الذي قد يرجع سببه إلى ضيق قدرة الإنسان على التحكم بالأمور فيخشى فوات شيء يريده فيستعجل عليه، وإنما يعجل من يخاف الفوت.

ولو كانت الروايات قد بينت الحكمة من الغيبة بنحو قد يلوح منها أنها طويلة، فإن ذلك سينعكس إحباطاً على الأتباع ويأساً عند كثير منهم بكل ما لذلك من تبعات، فكان الأولى ترك بيان الحكمة.

وأمّا الأمر بالسكون فلأن ذلك كان بمثابة عنصر موازنة للناس في مقابل حالة الاستعجال التي فطروا عليها وليست في مقابل أيّ تحرك لإقامة الحق، ولذا لم يفهم الكثير من فقهاء زماننا أن إقامة دولة الحق والنهوض بأعباء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجييش الجيوش ومحاربة الكفار وجيوش التطرف مخالف للشريعة، وقد أفتى الفقهاء بمقاتلة الانكليز في أوائل القرن العشرين

ومقاتلة اليهود ومقاتلة التيارات السلفية المتعجرفة، مما يعني أن الروايات التي أمرت الشيعة بأن يكونوا أحلاس دورهم وأن يسكنوا ما سكنت السماء والأرض لم يُرَد منها عدم الحركة مطلقاً وبشكل جدي.

فلا تنافي هذه الروايات دليلاً دل علىٰ تأثير البشر في تعجيل فرج الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه.

٣ - إخراج المؤمنين من أصلاب الكافرين:

من جملة ما ذكرته الروايات في مقام تعليل الغيبة أن الله تعالىٰ علم أن في أصلاب الكافرين من هو مؤمن، وأن الإمام لا يظهر إلّا إذا أخرج هؤلاء المؤمنين، أي إلّا بولادتهم وخروجهم من أصلاب الآباء، ففي مرسلة ابن أبي عمير عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الأول؟ قال: «لآية في كتاب الله عزّ وجلّ ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ [الفتح: ٢٥]»، قال: قلت: وما يعني بتزايلهم؟ قال: «ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكذلك القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتىٰ تخرج ودائع الله عزّ وجلّ، فإذا خرجت ظهر علىٰ من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ فقتلهم»[1].

وواضح أن المؤمنين لا فعل لهم لكي تخرج تلك الودائع من أصلاب الكافرين. فلو كانت هذه هي علة التأخير لما كان للمؤمنين ربط بخروج المؤمنين من أصلاب الكافرين، بل حتىٰ لو وجدت علل أخرىٰ للغيبة وتأخيرها لم يمكن التأثير في تعجيل الفرج، اللهم إلّا بعد خروج الودائع.

لكن من قال إن الودائع ستبقىٰ إلىٰ آخر الأجيال؟

وبتعبير آخر: هذه الرواية تقول لا يخرج الإمام عجل الله فرجه حتىٰ تخرج الذراري الطاهرة من الأصلاب الكافرة، وتلك مقدمة لها وقتها المحدد، إذ من البعيد

١. كمال الدين: ج٢، ب٥٤، ح١.

أن الدعاء يخرج أجيالاً أو أفراداً من أجيال قبل زمانها من خلال الاستجابة إلّا أن ذلك لا يستدعي عدم دخالة البشر في التعجيل، لأن مجرد كون الظهور بعد التزايل لا يعني الفورية بعده. فقد يكون تأثير الدعاء في أن لا يتأخر الظهور بعد التزايل بمدة طويلة.

ويرد هذا الكلام أن الرواية قالت في فقرتها الأخيرة: «فإذا خرجت ظهر علىٰ من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ»، وظاهرها أنه عجّل الله فرجه سيظهر بمجرد التزايل، ووجه هذا الظهور قوله: «فإذا» الشرطية.

فالأولىٰ في رد هذا الوجه أن يقال: إن الرواية قد صدرت وفيها احتمال قوي أنها من باب «أمرنا أن نكلم الناس علىٰ قدر عقولهم»، فإنه ينبغي ملاحظة بقية الروايات الواردة في بيان علة الغيبة، إذ بعضها قال لأجل الابتلاء، والآخر قال إنه سر لا ينكشف إلّا بظهوره وغير ذلك، وليس إخراج المؤمنين من أصلاب الكافرين سراً يفترض أن لا ينكشف، كما أن التقية وخوف الذبح الذي تكثرت الروايات في أنه علة للغيبة، بل هو أكثر العلل وروداً في الروايات، بل مجموع الروايات الواردة في بيان علل الغيبة الأخرىٰ لا يصل إلىٰ عدد ما ورد منها في تحديد خوف الذبح، وأن لا تكون لأحد بيعة في عنقه، وهذه لا علاقة لها بظهور الودائع. مضافاً إلىٰ أن ظهور الودائع مرتبط بالظهور وهو انتهاء الغيبة والتقية، وعدم البيعة مرتبط بأصل الغيبة وعلة لها.

الثاني: عدم استجابة دعاء المعصومين بتعجيل الظهور:

إن أصل غيبة الإمام عجّل الله فرجه من القضاء المحتوم الذي لم يتغير ولم يتبدل وظهوره وإقامة دولة الحق كذلك، فهي من وعد الله والله لا يخلف الميعاد، لكن وقت الظهور الذي نبحث عن دخالة البشر فيه قد يشكل في كونه مما لهم دخالة فيه من جهة أن الناس قد دعت بحصول ذلك دهراً ودعا المعصومون عليهم السلام بأن يعجل الله به ولم يحصل، وهذا قد يكون قرينة علىٰ أنه ليس مما للناس ودعائهم دخالة فيه.

ولا يرد هنا ما حاصله: كيف لا تكون للناس دخالة فيه ولو من خلال الدعاء والمفروض أن المعصومين عليهم السلام قد دعوا الله تبارك وتعالىٰ أن يفعله[1]؟ إذ دعاء المعصوم عليه السلام دليل علىٰ أن المدعو به مما يمكن أن يحققه الله تعالىٰ عندما يدعوه عباده له.

قلنا:

أولاً: يكفي في الدعاء الاحتمال ولا دليل علىٰ ضرورة علم المعصومين عليهم السلام بمفردة كون وقت الظهور حتمياً أو لا. خصوصاً وأنها مفردة مستقبلية، ولا يجري من أدلة علم المعصومين عليهم السلام بالحوادث دليل وساطة الفيض ولا دليل كونهم شهوداً علىٰ الناس، فإنهما مرتبطان بالحاضر لا بالمستقبل، علىٰ أنهم إن علموا بزمان ظهوره لم يكن ضرورياً أن يعلموا أنه مما يمكن أن يحصل البداء فيه أو أنه بخصوص مدته من القضاء المحتوم.

ثانياً: أن دعاء المعصوم عليه السلام يمكن أن يتعلق بأمر تعلق القضاء المحتوم بخلافه، فلا يكون الدعاء مستجاباً والقرآن شاهد فإن موسىٰ عليه السلام وهو من

---

١. ومن أمثال ذلك: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في رواية عباد بن محمد المدائني، قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله بالمدينة حين فرغ من مكتوبة الظهر وقد رفع يديه إلىٰ السماء وهو يقول: «أي سامع كل صوت، أي جامع كل فوت، أي بارئ كل نفس بعد الموت... أسألك بحقك علىٰ خيرتك من خلقك وبحقهم الذي أوجبت علىٰ نفسك أن تصلي علىٰ محمد وأهل بيته وأن تمن عليَّ الساعة بفكاك رقبتي من النار، وأنجز لوليك وابن نبيك الداعي إليك بإذنك وأمينك في خلقك وعينك في عبادك وحجتك علىٰ خلقك عليه صلواتك وبركاتك وعده، اللهم أيّده بنصرك وانصر عبدك وقوِّ أصحابه وصبرهم وافتح لهم من لدنك سلطاناً نصيراً وعجل فرجه وأمكنه من أعدائك وأعداء رسولك يا أرحم الراحمين».

قال: أليس قد دعوت لنفسك جعلت فداك؟ قال: «دعوت لنور آل محمد وسابقهم والمنتقم بأمر الله من أعدائهم» [مكيال المكارم: ج٢، ص١٠].

وما ورد عن الحجة عجل الله فرجه أنه عند ولادته دعا في حال السجود بقوله: «اللهم أنت ثقتي ورجائي فاكفني ما أهمني وما لم يهمني وما أنت أعلم به مني، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك صل علىٰ محمد وآل محمد وعجل فرجهم» الخبر [مكيال المكارم: ج٢، ص٢٦].

أولي العزم من الرسل حين دعا الله تعالىٰ أن ينظر إليه جاء النفي الإلهي بما يفيد التأبيد إذ استعمل كلمة (لن).

﴿وَلَمَّا جاءَ مُوسىٰ لِمِيقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً﴾ (الأعراف: ١٤٣).

وليس هذا الطلب من باب الإثبات لبني إسرائيل أن ما طلبوه من أن يروا الله جهرة غير ممكن كما دلت عليه الآية الشريفة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥-٥٦).

فتلك واقعة أخرىٰ، لأن طلب الرؤية من موسىٰ عليه السلام قد كان في ذهابه لميقات ربه وهو غير ذهابه مع طائفة من قومه، وقد بين الله تعالىٰ أن تجليه لشيء من خلقه غير قابل للتحقق فقال تعالىٰ: ﴿لَنْ تَرانِي وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ١٤٣).

ولسنا بصدد إثبات أن موسىٰ عليه السلام طلب أن يرىٰ الله ببصره ليقال كيف لنبي عظيم مثله أن يفوته أن الله تعالىٰ لا تدركه الأبصار، بل نقول إن موسىٰ عليه السلام طلب شيئاً من الله عبّر عنه بالنظر إليه والله تعالىٰ نفىٰ ذلك بما يفيد التأبيد.

لكن الأولىٰ في الجواب أن يقال إن دعاءهم عليهم السلام بذلك مع عدم تحقق الظهور لا يعني عدم الاستجابة ليستفاد من عدم استجابة المعصوم أن المدعو به لا يقبل البداء لأنه من القضاء المحتوم، إذ قد يكون ما كتب في اللوح من تاريخ اقتضائي أبعد مما سيتحقق فيه وبدعائهم قد قرب الموعد فلا دليل علىٰ عدم ترتب الأثر علىٰ دعائهم عليهم السلام.

وقد دعا النبي إبراهيم عليه السلام ببعثة نبي:

﴿رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

واستجاب الله له دعوته ببعثة النبي صلى الله عليه وآله بعد دهر طويل قد يقرب من ألفي سنة.

وقد دعا موسىٰ عليه السلام علىٰ فرعون وقومه:

﴿وَقالَ مُوسىٰ رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالاً فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلىٰ أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨).

وأخبره الله تعالىٰ بأنه استجاب دعوتهما:

﴿قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَلا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٩).

وجاء في كتاب الخصال عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أملىٰ الله [أي أمهله] تعالىٰ لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ثم أخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ، وكان بين أن قال الله عزوجل لموسىٰ وهارون قد أجيبت دعوتكما وبين أن عرفه الإجابة أربعون...» الخبر[١].

وفي أصول الكافي عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بين قول الله عزوجل قد أجيبت دعوتكما وبين أخذ فرعون أربعين[٢] عاماً»[٣].

وحين دعا نوح عليه السلام بإهلاك قومه وقال:

﴿وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً ۝٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ

١. نور الثقلين: ج٢، ص٣١٥-٣١٦.
٢. هكذا في نور الثقلين.
٣. نور الثقلين: ج٢، ص٣١٦.

يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً﴾ (نوح: ٢٦-٢٧).

لم تتحقق له الاستجابة إلّا بعد عشرات السنين.

فعن تفسير القمي بسند تام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بقي نوح في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم إلىٰ الله فلا يستجيبون، فهمّ أن يدعو عليهم فوافاه عند طلوع الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا وهم العظماء من الملائكة فقال لهم نوح: ما أنتم؟ فقالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا... فلما أتىٰ عليهم تسعمائة سنة ولم يؤمنوا همَّ أن يدعو عليهم فأنزل الله عز وجل ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، فقال نوح: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً ۝٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]، فأمره الله عز وجل أن يغرس النخل فأقبل يغرس النخل فكان قومه يمرون به فيسخرون منه ويستهزؤون به ويقولون: شيخ قد أتىٰ له تسعمائة سنة يغرس النخل وكانوا يرمونه بالحجارة، فلما أتىٰ لذلك خمسون سنة وبلغ النخل واستحكم أمر بقطعه وسخروا منه وقالوا: بلغ النخل مبلغه، إن هذا الشيخ قد خرف وبلغ منه الكبر...» الخبر[١].

وهناك روايات أخرىٰ دلّت علىٰ أن استجابة الله تعالىٰ لدعوة نوح عليه السلام قد حصلت بعد مدة مديدة من دعائه عليه السلام.

مضافاً إلىٰ أن دعاءهم عليهم السلام بتعجيل الفرج وهو بحث مؤجل قد يكون دليلاً علىٰ أنه أمر قابل للحصول.

الثالث: ما دل علىٰ أن مدة الغيبة محددة بحساب الحروف:

في الرواية عن أبي لبيد المخزومي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا لبيد إنه يملك من ولد العباس اثنا عشر تقتل بعد الثامن منهم أربعة، تصيب أحدهم

١. تفسير القمي: ج٢، ص٤٦٨، طبعة مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

الذبحة فيذبحه، هم فئة قصيرة أعمارهم، قليلة مدتهم، خبيثة سريرتهم، منهم الفويسق الملقب بالهادي والناطق والغاوي.

يا أبا لبيد، إن في حروف القرآن المقطعة لعلماً جماً، إن الله تعالىٰ أنزل ﴿الم ۝١ ذٰلِكَ الْكِتابُ﴾ [البقرة: ١-٢]، فقام محمد صلى الله عليه وآله حتىٰ ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد وقد مضىٰ من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين».

ثم قال: «وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار، وليس من حروف مقطعة حرف ينقضي إلّا وقيام قائم من بني هاشم عند انقضائه».

ثم قال: «الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون، فذلك مائة وإحدىٰ وستون، ثم كان بدو خروج الحسين بن علي عليه السلام ﴿الم ۝١ اللهُ﴾ فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند ﴿المص﴾، ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ﴿الر﴾ فافهم ذلك وعه واكتمه»[1].

والخبر فيه مجموعة من النقاط الغامضة، والتحديدات التي لا يقبل بظاهرها فلابد من التأويل، هذا مضافاً إلىٰ الإشكال في تحديد ظهور الإمام عجل الله فرجه بـ﴿الر﴾ وقد ذكر المجلسي وجوهاً في دفع الشبهة بعضها أسقطه مرور السنين المحددة دون ظهور الإمام عجل الله فرجه، أي أن الواقع التاريخي أثبت بطلانه.

لكن الذي يهم أن الرواية دلت علىٰ وجود تاريخ محدد لظهور الإمام عجل الله فرجه، والتحديد ظاهره الثبات وعدم التغير، فلا يكون لأعمال العباد دخالة في تغييره.

هذا ما قد يستظهر من هذا الحديث، وسلامة هذا الظهور في الاحتجاج مرهون بعدم قيام قرينة علىٰ خلافه، فإذا تم الدليل علىٰ دخالة البشر في الظهور أمكن رفع اليد عن ظاهر هذا الحديث ولو من خلال الالتزام بأن ذلك في حدود الاقتضاء، والواقع بعد ذلك يتعين في حدود الاقتضاء ما لم

١. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٠٦.

يتحقق المانع أو يرتفع الشرط، ويمكن أن تكون أعمال العباد فعلاً أو تركاً من الموانع.

وهذا يعني أننا سننتظر إلىٰ حين البحث في أنه يوجد دليل مخالف أو لا.

الوجوه التي تثبت دخالة البشر في تعجيل الظهور:

هناك وجوه متعددة يمكن الاستناد إليها لإثبات أن للناس دخالة في إنهاء مدة الغيبة، وهذا يعني تحملهم مسؤولية الإتيان بما يعجل الظهور ويرفع موانعه، وسنحاول استعراضها ومناقشة ما لا نرىٰ أنه تام منها.

الأول: ما دل علىٰ تأخير الفرج لتقصير الأُمَّة:

هناك جملة من الروايات التي تحدثت عن موعد أولي للفرج وتجاوزته الإرادة الإلهية لتقصير من الناس.

فعن الطوسي في الغيبة عن الفضل بن شاذان عن محمد بن علي عن سعدان بن مسلم عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ألهذا الأمر أمد نريح إليه أبداننا وننتهي إليه؟ قال: «بلىٰ، ولكنكم أذعتم فزاد الله فيه»[١].

وفي صحيحة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن علياً عليه السلام كان يقول: «إلىٰ السبعين بلاء»، وكان يقول: «بعد البلاء رخاء»، وقد مضت السبعون ولم نر رخاء، فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا ثابت، إن الله تعالىٰ كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلما قتل الحسين اشتد غضب الله علىٰ أهل الأرض فأخّره إلىٰ أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع الستر فأخّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»، قال أبو حمزة: وقلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام، فقال: «قد كان ذلك»[٢].

وعن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قد كان لهذا

---

١. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٠٥.

٢. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٠٥.

الأمر وقت وكان في سنة أربعين ومائة، فحدثتم به وأذعتموه فأخّره الله عزّ وجلّ»[١].

دلت هذه الروايات على أن قيام دولة الحق ليس مرهوناً بحضور أجل معين وزمان خاص بنحو لا يقبل التغيير، وإنما هو أمر له مقتضيه الذي قد يتبدل كما وحصل أن تبدل لمرة أو مرتين كما ذكرت الروايات، وعلة التغير سوء تصرف من الأتباع من خلال إذاعة ما أمروا بكتمه وعدم إظهاره.

فإن قلت: كيف كان له زمان بعد السبعين أو المائة والأربعين مع أن الإمام المهدي عجل الله فرجه حامل راية الحق وقائد دولة العدل لم يكن مولوداً في أي من الموعدين، والأئمة عليهم السلام يعلمون أنه لابد من أن يتم عقد الإمامة بجواهره الاثني عشر؟ ألا يعتبر إخبارهم بحضور الموعد ثم تأجيله منافياً لذلك العلم؟

قلنا: لا توجد منافاة إذ كان الأجل الأولي الذي تبدل أجلاً بنحو الاقتضاء وهو لا ينافي علم الأئمة عليهم السلام بأنه سيتحقق المانع الذي هو الإذاعة.

فيكون الغرض من هذا الإخبار المتأخر عن واقع التغيير في التقديرات بيان أنكم أيها الموالون قد يكون لكم دور في التأخير في صورة صدور تقصير ما منكم أو تقصير معين. وهذا هو الذي أردنا الوصول إليه. إذن لا تنافي بين علمهم بأن المقدر النهائي قيام دولة حق متأخرة زماناً وبين إخبارهم عليهم السلام بأن هناك أجل مقدر قد فات.

كما لا مشكلة في صدور هذا الإخبار من جهة اللغوية أو العبثية، إذ إن هذا الإخبار قد ترتبت عليه فائدة. وهي اطّلاع أفراد الأُمّة بأن بعض ما يواجههم من مفردات سيئة كتأخير الفرج هو آثار تقصير صدر منهم. وهي في الضمن دعوة لنبذ التقصير.

ويبدو أن السائلين في الروايات المتعددة كانوا يسألون عن أمر محدد لهم علم إجمالي به إلّا أنهم لم يعلموا وقته، وهذا الأمر المحدد هو قيام القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله.

١. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١١٧.

فعن المحاسن مسندة إلىٰ عبد الحميد الواسطي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتىٰ أوشك الرجل منا يسأل في يديه، فقال: «يا عبد الحميد أترىٰ من حبس نفسه علىٰ الله لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلىٰ والله ليجعلن الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيىٰ أمرنا»، قال: قلت: فإن مت قبل أن أدرك القائم؟ فقال: «القائل منكم إن أدركت القائم من آل محمد نصرته، كان كالمقارع معه بسيفه، والشهيد معه له شهادتان»[١].

وواضح من القسم الأخير من الرواية أن الأمر المنتظر هو قيام القائم، وقائمهم هو آخرهم.

ويلوح ذلك أيضاً من رواية الفضيل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، فقال: «يا فضيل، اعرف إمامك فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر، كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره لا بل بمنزلة من كان قاعداً تحت لوائه»[٢].

فصاحب هذا الأمر معلوم إجمالاً للرواة وأصحاب الأئمة عليهم السلام.

وهناك روايات أخرىٰ يمكن أن يستفاد منها ذلك، لم نذكرها للاختصار.

ويضاف إلىٰ ذلك أنه بعد التأمل في الروايات التي نقلت لنا السؤال عن القائم لم يتضح منها أنه كان محدداً بشخص الإمام الأخير منهم صلوات الله عليهم، وليس ببعيد أن يكون قد وصل إلىٰ الناس أن في قادم الأيام دولة حق يقودها إمام حق هذا هو المعلوم لديهم وأمّا أنه آخر الأئمة عليهم السلام فلا دلالة في الروايات عليه.

---

١. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٢٦.

٢. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٤٢.

لو صح هذا فإنه لا يلغي عشرات الروايات في تحديد العدد ثم إن نفس الحديث متواتر عند كل الفرق.

الثاني: قاعدة اللطف:

قد يستند هنا إلىٰ ما يذكر من بعض وجوه ضرورة وجود الإمام أو الحجة في كل زمان، ومن ذلك قاعدة اللطف. فإن الله تعالىٰ لطيف بعباده مادام عندهم القابل المستعد، ولطفه هذا اقتضىٰ بعث الأنبياء.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

وكل نفس هي ساحة تدافع ونزاع بين نوازع الشر وبواعث الخير، ودفع العواطف والغرائز وإرشاد العقل، ولا ينتهي هذا الصراع إلّا بطي صفحة النشأة الدنيوية، وأشد الطرفين تأثيراً عاطفة الإنسان حتىٰ مع كل مفردات لطف الله تعالىٰ وعنايته.

﴿وَما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣).

ودائرة فهم الإنسان محدودة لا تتيح له الإحاطة بكل ما ينفعه أو يضره شخصاً أو نوعاً، فاقتضىٰ ذلك أن يوجد من يمكن أن يكون هادياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، وقد نجد ذلك في شخص النبي في زمانه. وبعد رحلة النبي إلىٰ جوار ربه كان لابد في كل زمان من حجة لله تعالىٰ وهو الإمام، واللطف يقتضي أن يكون الإمام ظاهراً يمكن الوصول لمن أراد أن يذكر.

وإنما ساغت غيبة الإمام مع أن اللطف يلزم بوجوده الظاهر لا لتعطيل في اللطف بل ما اقتضاه اللطف تحقق ولكن الله تعالىٰ ربط عدم غيبته بعدم تقصير الناس. وحينما غاب مع تقصير الناس لم يتعطل اللطف عن مقتضاه إذ مقتضاه أن الله يظهره إن لم يقصر الناس، وأمّا مع تقصيرهم فالمانع منع من تحقق المقتضىٰ.

وهـذا يعني أنـه متىٰ مـا ارتفـع المانـع تعـين أن يـترك المقتـضي أثـره وهـو ظهـور الإمـام عليه السلام وانقطـاع غيبتـه. فاسـتقامة النـاس معجلـة لظهـور الإمـام بـل موجبـة لـه وفـق هـذا الاسـتدلال.

ولكن هذا الاستدلال مخدوش بـ:

أولاً: التشـكيك في اقتضـاء اللطـف لـضرورة وجـود إمـام في كل زمـان أو حجـة عـلىٰ مـر العصـور مـن زمـان آدم عليه السلام إلىٰ زماننـا كـما هـو مقتـضىٰ الدليـل، إذ لقائـل أن يقـول: لِمَ لم يقتـض اللطـف أن يظهـر الإمـام عجل الله فرجه كل هـذه القـرون المتمادية فهـو غائـب يعـسر الاتصـال بـه إلّا للأنـدر، فمـن غـير المعلـوم أن يقتـضي اللطـف أصـل وجـوده. ونحـن نتحـدث عـن ضرورة ثبوتـه اقتضـاءً للطـف، وإلّا فوجـوده بالنسـبة لنـا حقيقـة لا تقبـل التشـكيك، والأدلـة جعلـت ذلـك أوضـح مـن الشـمس وأبـين مـن الأمـس، كـما لا شـك عندنـا في أن غيبتـه موافقـة للحكمـة الإلهيـة.

ثانيـاً: لقائـل أن يقـول إن أكثـر نقـاط العـالم مـن أول رحلـة النبـي صلى الله عليه وآله لم يكـن لهـا الاتصـال بالإمـام عـلي عليه السلام ولم يخطـر ببالهـا وجـود وصي لـه، بـل لم تسـمع بوجـود النبـي الخاتـم صلى الله عليه وآله واسـتمر الأمـر لقـرون في الأُمـم النائيـة، فلـم يكـن العـالم قـد اكتشـف الأمريكتـين ولا اسـتراليا ولا الجـزر النائيـة كهـاواي وأمثالهـا، فلـم يقتـض اللطـف اتصـال الإمـام بهـم فضـلاً عـن النبـي الأكـرم صلى الله عليه وآله.

ولا شـك أن المسـتدل باللطـف لم يقصـد أن الإمـام يؤثـر تكوينـاً في تقريـب النـاس للطاعـة وإبعادهـم عـن المعصيـة، وإلّا ورد عليـه أن ذلـك لا يقتـضي وجـود الإمـام في هـذه النشـأة، فالمؤثـرات التكوينيـة ليسـت كلهـا مـن هـذه النشـأة، فأهـل البيـت عليهم السلام مؤثـرون في التكويـن رغـم انتقالهـم إلىٰ الـدار الآخـرة.

والملائكـة مؤثـرون رغـم أنهـم ليسـوا مـن عـالم الطبيعـة، وقـد شـهد القـرآن بذلـك بقولـه تعـالىٰ:

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ (النازعات: ٥).

لكن الاستدلال باللطف علىٰ ضرورة وجود الإمام كلامي، والمتكلمون لا يقولون بوجود عالم سوىٰ عالم الواجب وعالم المادة والطبيعة، ولذا فالنقض عليهم بوجود مؤثرات تكوينية غير عالم الطبيعة ليس في محله.

وثالثاً: وجود شواهد في الكتاب علىٰ خلاف هذه القاعدة ومقتضاها، كقوله تبارك وتعالىٰ:

﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ (المائدة: ١٩).

فالقرآن الكريم يشهد بأنه قبل النبي صلى الله عليه وآله بفترة لم يكن بشير ولا نذير، فلا يقال إن الآية نفت وجود رسول ولم تنف وجود حجة، فإن الآية الشريفة قالت: ﴿أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ﴾ ولو كان هناك نبي أو حجة لما كان المناسب أن يقول تعالىٰ ذلك لأهل الكتاب.

علىٰ أنه قال ﴿عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ ولم يقيد الرسل بالظاهرين، وقوله: ﴿ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ﴾ يعمم الحكم للحجة مطلقاً ولو لم يكن رسولاً.

مضافاً إلىٰ أنه تعالىٰ قال في سورية يس:

﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ﴾ (يس: ٦).

فلو كان اللطف يقتضي وجود المنذر في كل زمان، فلمَ لم يقتض ذلك في الآباء؟

وقد يقال بأن قوله تعالىٰ:

﴿كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ﴾ (البقرة: ٢١٣).

ظاهر في أن الناس كانوا ملة واحدة كافرة ثم بعد ذلك بعث الأنبياء، فاللطف لم يقتض بعثة الأنبياء قبل ذلك.

لكن يرده أن تتمة الآية تنفي ذلك لأنها قالت بعدما نقلناه مباشرة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.

ففئة منهم كانت تعرف الحق وإنما دعاهم البغي إلىٰ الاختلاف، مضافاً إلىٰ أن حاجات الناس كانت محدودة فلا يحتاج الإنسان إلىٰ المزاحمة مع الآخرين والاختلاف انطلاقاً من اختلاف الرؤىٰ والنزعات، ليشمل النزاع مساحة واضحة فاحتاج التوسع في تسخير الأشياء عند الناس إلىٰ قانون ينظم حقوقهم ويحكم بينهم به.

ونحن لا نشك أن النبوة كانت قرينة انطلاقة هذا النوع البشري علىٰ الأرض، فآدم عليه السلام نبي وابنه شيث نبي وهكذا.

فالآية لا شهادة فيها علىٰ أنه لم يكن للناس نبي، لذا كانوا أُمة واحدة علىٰ الكفر، بل هي ناظرة إلىٰ بساطة الحياة التي اقتضت انحسار مساحة الاختلاف، وحين بدأت بالتطور اتَّسعت هذه المساحة فاحتاج الناس إلىٰ تشريعات تنظم الحقوق وهذه هي التي جاء بها الأنبياء.

وإنّما قلنا إن القرآن الكريم يشهد ولم نقل يدل، لأن دلالته إن تمت فهي في حدود الظهور، وحجية الظهور منوطة بعدم قيام القرينة علىٰ الخلاف، ومما يمكن أن يكون قرينة علىٰ الخلاف الدليل العقلي القطعي، فإذا تم دليل اللطف استلزم ذلك سقوط ظهور الأدلة ولو كانت قرآنية عن الحجية في ما خالف مقتضىٰ ذلك الدليل، فالمشكلة في دليل اللطف وتطبيقه هنا أنه غير تام في نفسه، وعدم تمامه في نفسه يمكن إثباته من خلال أحد طريقين أولهما النقض عليه وهو أوقع في إبطاله إذا تم النقض، وقد سلكنا هذا الطريق والآخر هو الحل، ويكفي فيه التشكيك في صحة إحدىٰ مقدمات الاستدلال، وقد شككنا في اقتضاء اللطف لضرورة وجود إمام ظاهر.

يؤيد ما ذكرناه أنه لا يوجد في الروايات عن الأئمة عليهم السلام أثر من ذلك، فإن المستند إن كان قاعدة اللطف، والمانع هو عدم استقامة الناس لكان ذلك علة لأصل الغيبة ولم يرد في علل الغيبة شيء يرجع إلىٰ ذلك. فالذي يقوىٰ في النظر أن الباحثين من الأعلام حين ألزموا أنفسهم بأن قاعدة اللطف تقتضي ضرورة وجود إمام ظاهر بين الناس وخالف ذلك واقع كون الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه غائباً كل هذه المدة لجأوا إلىٰ دفع الإشكال بأن اللطف باق علىٰ ما اقتضاه فقد نصب الله تعالىٰ بمقتضىٰ لطفه للناس إماماً حقاً، لكنهم حين قصّروا غيّبه عنهم، ومتىٰ ما رفعوا التقصير ظهر الإمام عجل الله فرجه لهم، نعم في التوقيع الصادر للشيخ المفيد تعليل لاستمرار الغيبة بتقصير الناس لا لأصلها، وسيأتي التوقيع.

ولنا أن نتساءل إن كانت غيبة الإمام عجل الله فرجه نوع عقوبة للناس علىٰ تقصيرهم فقد غرقت أُمم سابقة في الارتداد عن الدين والعصيان، بل والكفر، ولم يبلغنا حصول غيبة لحجج الله عنهم كعقوبة علىٰ ما ارتكبوا من المعاصي.

ومما يمكن أن يكون قرينة علىٰ رفع اليد عن ظهور الآية في خلو فترة من الحجة، الروايات التي دلت علىٰ أن الأرض لا تخلو من حجة، وهي مستفيضة إن لم تكن متواترة معنىً، ولذا ذهب الصدوق في إكمال الدين إلىٰ أن الفترة التي وردت في الآية الشريفة معناها.

لا يكون نبي ولا وصي ظاهر مشهور، وقد كان بين نبينا صلى الله عليه وآله وبين عيسىٰ عليه السلام أنبياء وأئمة مستورون خائفون منهم خالد بن سنان العبسي[1].

وقد يدعم ذلك بقوله تعالىٰ في الآية ﴿ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ﴾ (المائدة: ١٩)، إذ يمكن القول إن هذا المقطع يشير إلىٰ الحجة الظاهر، فإن وجود الحجة المستور لا يمنعهم من الاحتجاج بالقول ما جاءنا من بشير ولا نذير. فإذا تم هذا القول سقط ظهور الآية في وجود فترة تخلو من الحجة، بل

١. تفسير الصافي: ج٢، ص٢٤.

لـو كان في هـذا المقطـع احتـمال معتـد بـه في إرادة هـذا المعنىٰ امتنـع ظهـور الآيـة أيضـاً لاحتفافهـا بـما يمكـن أن يكـون قرينـة عـلىٰ الخـلاف، والقرينـة المحتملـة المتصلـة تمنـع مـن الظهـور.

نعـم ذهـب البعـض إلىٰ أنـه لم يكـن في الفـترة نبـي، فقـد قـال في التبيـان: وفيـه دلالـة عـلىٰ أن زمـان الفـترة لم يمكـن فيـه نبـي[١].

وذهب الطبرسي لذلك حيث قال:

وفيـه دلالـة عـلىٰ أن زمـان الفـترة لم يكـن فيـه نبـي وكانـت الفـترة بـين عيسـىٰ عليه السلام ومحمـد صلى الله عليه وآله وكانـت النبـوة قبـل ذلـك متصلـة في بني إسرائيـل[٢].

واختار ذلك صاحب الأمثل حيث قال:

تكـرر هـذه الآيـة الخطـاب إلىٰ أهـل الكتـاب مـن اليهـود والنصـارىٰ فتبـين لهـم أن النبـي المرسـل إليهـم مرسـل مـن عنـد الله أرسـله في عـصر ظلـت البشريـة قبلـه فـترة دون أن يكـون لهـا نبـي[٣].

إلّا أن ذلـك لا يعـارض روايـات أن الأرض لا تخلـو مـن حجـة، فالحجـة أعـم مـن النبـي والرسـول ولـذا قـال في الأمثـل بعـد ذلـك:

إنـما ينفـي وجـود الرسـل في تلـك المـدة، ولا يتنـافىٰ هـذا الأمـر مـع القـول بوجود أوصيـاء للرسـل في ذلـك الوقت.

وهـذا يعنـي أن الدليـل عـلىٰ ضرورة وجـود حجـة في كل زمـان مـن رسـول أو نبـي أو وصي نبـي هـو دليـل شرعـي.

وأمّـا مـا ذكـر مـن غيبـة لبعـض الأنبيـاء كموسـىٰ عليه السلام لمـدة أربعـين ليلـة وغيبـة يوسـف عليه السلام عـن أهلـه وغيبـة إدريـس عليه السلام، فالروايـات وإن أشـارت إلىٰ أنهـا

١. التبيان: ج٣، ص٤٧٧.
٢. طبعة مطبعة العرفان: ج٢، ص١٧٧، ١٩٣٥.
٣. الأمثل: ج٣، ص٦٥٦.

مشابهة لغيبة الحجة عجل الله فرجه إلّا أنها مشابهة في أصل الغيبة لا في تفاصيلها، على أن موسىٰ عليه السلام قد غاب عنهم وهم مؤمنون ورجع إليهم وهم كفار يعبدون العجل، إن عددنا ذهابه إلىٰ ميقات ربه غيبة مع إخبارهم سلفاً بطولها، نعم، زاد عليها عشرة أيام، وغيبة يونس لم تدم إلّا يسيراً مع أن أُمّته قد اختارت الكفر، وإدريس حين رفع لم تبق أُمّته بدون حجة لله عليهم كل هذه المدة.

وأمّا التشبيه بالخضر فهو في خصوص طول العمر، ولم يثبت أنه نبي بل هو عبد صالح، نعم ورد في علل الشرائع رواية دلت علىٰ أنه نبي[١]، لكن البعض الآخر نفىٰ النبوة عنه، ومنها ما هو تام السند كرواية بريد التي في الكافي[٢]، ولو كان نبياً فهو ليس نبياً للأُمم اللاحقة التي جاءها أنبياء ورسل كانوا حججاً لله عليهم.

وكيف كان فلا يمكن الاستناد إلىٰ قاعدة اللطف لإثبات أن هناك دخالة بشرية ممكنة في تعجيل فرج المولىٰ عجل الله فرجه، وأنا هنا أنفي الدلالة علىٰ المدعىٰ ولا أنكر أصل المدعىٰ إذ قد يدل عليه دليل آخر، وهو ما سيتضح من طيات البحث.

وبنفس هذا الرد يتَّضح الرد علىٰ الاستدلال بوجوه أخرىٰ كقاعدة الرحمة التي قال بها بعض الفلاسفة وقياس الأولوية الذي أشار إليه هشام بن الحكم في قصته مع عمرو بن عبيد عالم البصرة والقصة معروفة[٣].

وهذا الوجه غير تام.

---

١. رواية ابن عمارة عن أبيه عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الخضر كان نبياً مرسلاً بعثه الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ قومه فدعاهم إلىٰ توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه...» الخبر [علل الشرائع: ج١، ب٥٤، ح١].

٢. الكافي: ج١، ص٢٦٩، ح٥، علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن بريد بن معاوية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما منزلتكم ومن تشبهون ممن مضىٰ؟ قال: «صاحب موسىٰ وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيين».

٣. الكافي: ج١، ص١٦٩-١٧١.

الثالث: ما دل علىٰ الأمر بالدعاء بالفرج:

هناك جملة من الروايات التي أمرتنا بالدعاء بفرج الإمام عجل الله فرجه، ولو لم يكن للدعاء أثر لما كان مناسباً أن يتوجه أمر بالدعاء به.

فمن رواية محمد بن محمد بن عصام الكليني رضي الله عنه عن محمد بن يعقوب الكليني عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت عن مسائل أشكلت عليَّ، فوردت في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «أمّا ما سألت عنه - أرشدك الله وثبتك - ... وأمّا علة ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، إنه لم يكن أحد من آبائي عليهم السلام إلّا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، فأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلىٰ من اتّبع الهدىٰ»[1].

وواضح أن الفرج المعني - خصوصاً والمسؤول هو الحجة عجل الله فرجه - يراد به ظهور الإمام وقيام دولة الحق علىٰ يديه. أتراه يأمر بالإكثار من الدعاء بأمر وهو يعلم أنه لا فائدة بدعائه من جهة تحقق المدعو به؟

ومثل هذه الرواية والروايات التي وردت في أدعية من فقراتها طلب الفرج من الله تبارك وتعالىٰ كثيرة أشار إلىٰ الكثير منها في مكيال المكارم الجزء الثاني، ولا حاجة إلىٰ استعراضها جميعاً، ومن يراجع الأدعية المزبورة يجد الكثير من هذه المضامين فيها.

---

١. كمال الدين: ج٢، ب٤٥، ح٤.

ووجه دلالتها على المطلوب أنها حين أمرتنا بالدعاء بالفرج فهذا يعني إمكان أن يتحقق المدعو به وإلّا فلا حاجة إلىٰ الدعاء به إذا كان محال التحقق. فهذا الوجه تام الدلالة علىٰ المطلوب.

الرابع: روايات الموطئين:

مما يمكن أن يقال بالنظر البدوي إن روايات الموطئين تثبت التأثير البشري في تعجيل فرج المولىٰ عجل الله فرجه.

ففي رواية عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي - يعني سلطانه -»[1].

وجه الدلالة أن لفظة التوطئة ظاهرة في دخالة الناس في الظهور المبارك.

وعن سنن ابن ماجة عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وآله اغرورقت عيناه وتغير لونه، فقلت: ما نزال نرىٰ في وجهك شيئاً نكرهه؟ قال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا، وإن أهل بيتي سيشهدون بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتىٰ يأتي قوم من أهل المشرق ومعهم رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتىٰ يدفعونها إلىٰ رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملئت جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً علىٰ الثلج»[2].

وجه الدلالة أنهم يمهدون الأمر حتىٰ يظهر فيدفعون الراية له عجل الله فرجه.

لكن الدلالة غير تامة فضلاً عن سند الرواية، وعدم تمامية الدلالة من جهة أن الرواية تحدثت عن قضية خارجية، والمبحوث عنه هو دخالة البشر في تعجيل الأمر مما ينعكس محركاً لهم في توطئة الأمر وتمهيده، وبتعبير آخر مورد السؤال والبحث هو هل يمكن للمكلفين نوعاً أن يكونوا سبباً في تعجيل

١. عن سنن ابن ماجة: ج٢، ص٩٧١، طبعة التازي بمصر.

٢. العرف الوردي في أخبار المهدي: ج١، ص١٧٩.

ظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف؟ وهذا يعني أننا كمكلفين بالإمكان إذا تحركنا أن نسهل من ذلك. وليس مورد البحث أن ظهور الإمام قد تسبقه بعض المقدمات المرتبطة بفعل اختياري للمكلفين أو لمكلفين خاصين، وتلك واقعة مستقبلية محددة لا يمكن لغيرهم أن يؤدي دورهم فيها.

هذا أولاً، وثانياً: أن الرواية تحدثت عن واقعة مستقبلية تحدث قبل ظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف ثم يظهر الإمام، فهي تشير إلىٰ تسلسل حدثين دون أية إشارة إلىٰ سببية بينهما.

ونفس الإشكال السندي والدلالي يردان علىٰ الرواية الأولىٰ، وإن كان في الرواية الأولىٰ قد ورد تعبير يوطئون الظاهر في السببية، لكن يبقىٰ الإشكال الدلالي الأول علىٰ حاله، إذ ليس من المعلوم أنه إذا قام قوم آخرون بما يقوم به أهل الرايات السود فإن الإمام سيظهر، فالسببية لا تعني التعجيل وإنما يمكن أن يكون له زمن محدد محتوم لا يتقدم ولا يتأخر، وفي ذلك الزمان يتحتم ظهور حركة قوم من جهة المشرق.

وهذا الوجه نظراً للإشكالين الذين فيه لا يصلح إلّا للتأييد.

الخامس: التوقيع الشريف الصادر للشيخ المفيد:

ومن تلك الأدلة التوقيع الصادر عن الناحية المقدسة للشيخ المفيد قدس سره حيث جاء فيه:

«ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته علىٰ اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليُمن بلقائنا ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا علىٰ حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته علىٰ سيدنا البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم»[1].

١. الاحتجاج: ج٢، رقم٣٦٠.

والـذي يظهـر مـن هـذا التوقيـع الـذي صـدّر بحـرف (لـو) وهـو حـرف امتنـاع لامتنـاع - أي يمتنـع الجـزاء لامتنـاع الـشرط - أن الممتنـع لأجـل امتنـاع اجتـماع قلـوب الشـيعة عـلىٰ الوفـاء بالعهـد هـو اللقـاء بعمومهـم والمشـاهدة لعامتهـم وهـو يعنـي انتهـاء الغيبـة.

وكيـف كان ففـي التوقيـع الشريـف أكثـر مـن فقـرة تـدل عـلىٰ أن تقصـير الأُمّـة هـو المانـع مـن ظهـوره.

الأولىٰ: قولـه عليه السلام: «ولـو أن أشـياعنا وفقهـم الله لطاعتـه عـلىٰ اجتـماع مـن القلوب في الوفـاء بالعهـد عليهم».

الثانيـة: قولـه عليه السلام: «فـما يحبسـنا عنهـم إلّا مـا يتصـل بنـا ممـا نكرهـه ولا نؤثـره منهـم».

وما يتصل بنا أراد به ما يصل إليه عجل الله فرجه من سوء العمل.

وهـذا الدليـل تـام الدلالـة إلّا أن في سـنده مشـكلة، وإشـكاله السـندي لا يمنـع مـن الاسـتفادة منـه كمؤيـد وقرينـة احتماليـة إضافيـة.

السادس: روايات أخرىٰ:

ومن ذلك روايات بألسنة أخرىٰ، منها:

مـا في تفسـير العيـاشي عـن الفضـل بـن أبي قـرة قـال: سـمعت أبـا عبـد الله عليه السلام يقـول: «أوحـىٰ الله إلىٰ إبراهيـم أنـه سـيولد لـك، فقـال لسـارة، فقالـت: أألـد وأنـا عجـوز؟ فأوحـىٰ الله إليـه أنهـا سـتلد ويعـذب أولادهـا أربعمائـة سـنة بردهـا الـكلام عـليَّ، قـال: فلـما طـال عـلىٰ بنـي إسرائيـل العـذاب ضجّـوا وبكـوا إلىٰ الله أربعـين صباحـاً، فأوحـىٰ الله إلىٰ موسـىٰ وهـارون يخلصهـم مـن فرعـون، فحـط عنهـم سـبعين ومائـة سـنة».

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: «هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا، فأمّا إذ لم تكونوا فإن الأمر ينتهي إلىٰ منتهاه»[١].

وما عن جابر الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يغيب عنهم الحجة، لا يسمىٰ حتىٰ يظهره الله، فإذا عجّل الله خروجه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٢].

وهذه الرواية واضحة الدلالة علىٰ أن الظهور قابل للتعجيل، وأن له أمداً إن لم يعجل الله به فسيبقىٰ علىٰ أمده، لكن لا دلالة فيها علىٰ أن للاتباع تأثيراً في تعجيل الظهور.

اللهم إلّا بضميمة أن ما كان ممكناً في نفسه ولم يكن ضمن دائرة القضاء المحتوم الذي لا يغير ولا يبدل كان الدعاء ذا تأثير فيه أو محتمل التأثير فيه.

الخلاصة:

وحاصل البحث أن القاعدة والأصل يقتضي تأثير الناس في تعجيل الظهور، والوجوه التي تنفي ذلك إمّا مخدوشة أو معارضة بما هو أقوىٰ منها ومقدم عليها من وجوه الإثبات، ووجوه الإثبات وإن لم نقبل ببعضها إلّا أن البعض الآخر تام لا غبار عليه، والمطلب الحق لا يحتاج أكثر من دليل واحد.

أعاذنا الله تعالىٰ من زلل القول وخطل الفعل وهو ولي التوفيق.

١. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٣١-١٣٢.

٢. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٤٣.

ALMAUOOD

المختصر
من إقامة الحُجّة على من أنكر ولادة الحُجّة عجل الله فرجه

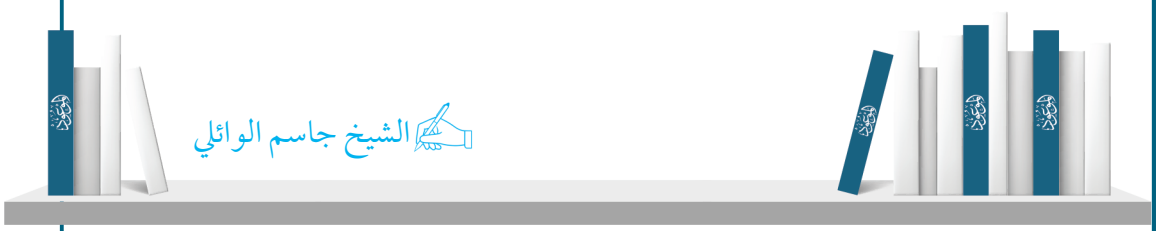

الشيخ جاسم الوائلي

إن تَوَلُّد الإمام المهديِّ عجل الله فرجه من الإمام الحسن العسكري عليه السلام في أواسط القرن الثالث الهجري - سنة ٢٥٥ تقريباً - أمر مقطوع به، لتواتر الأخبار بذلك إجمالاً.

ورغم ذلك فقد أنكره بعض من ينسب نفسه إلىٰ أهل العلم، ممّن يجهل أبجديات علم الأسانيد، مدَّعياً ضعف الروايات الدالَّة علىٰ ولادته عجل الله فرجه.

وفي مقام الجواب لابدَّ من التمهيد ببيان معنىٰ التواتر وأقسامه، وبيان أنّ ولادة الحجة عجل الله فرجه من أي الأقسام هي، ثم نشرع في إثبات ذلك من خلال الإشارة إلىٰ الروايات الكثيرة الدالَّة علىٰ ولادته عجل الله فرجه بالمطابقة أو الالتزام، والمدعومة بإجماع الطائفة علىٰ ذلك، مضافاً إلىٰ الأخبار الواردة فيمن رآه عجل الله فرجه في زمَنَيْ الغيبة الصغرىٰ والكبرىٰ، مع الإشارة إلىٰ كلام بعض أعلام العامَّة ممن اعترف بتولُّده عجل الله فرجه من الإمام العسكري عليه السلام، كلُّ ذلك بنحو الإشارة، حيث اختصرناه من كتابنا الموسوم بـ(إقامة الحُجَّة علىٰ من أنكر ولادة الحُجَّة) بنحوٍ من التصرف، سائلاً من العلي القدير أن يعجِّل في فرجه، ويجعلنا من شيعته وأنصاره، إنَّه سميع مجيب.

معنىٰ التواتر:

يمكن بيان المقصود من التواتر بلغةٍ مبسَّطة بعيداً عن لغة الاختصاص، فنقول:

لو أَخبَرَنا مُخبرٌ بوقوع حادثةٍ ما فإن كان ثقةً أخذنا بخبره، إلّا إذا كان هناك شاهد علىٰ خلافه، فنردُّه.

فإن لم يكن ثقةً أو كان مجهول الحال توقَّفنا في الأخذ بخبره، إلّا إذا كان هناك شاهد علىٰ صدقه.

هذا حالنا مع المخبر لو كان واحداً.

وأمَّا لو كان متعدِّداً فربما يحصل من مجموع إخباراتهم يقينٌ بصدق ما أخبروا به، كما لو بلغ عددُهم عشرين مخبراً، وعلمنا أنه لا علاقة تربط بينهم، بحيث نطمئن بأنَّهم لم يتَّفقوا فيما بينهم علىٰ الكذب، فآنذاك يكون الخبر قطعياً، ويعبَّر عنه بالمتواتر.

مثاله: ما لو أخبرني جاري بقدوم صديقي من السفر، ثمَّ أخبرني به موظف في المطار، ثم أخبرني سائق تكسيٍّ بأنه جاء به من المطار إلىٰ منزله، ثم أخبرني صديق آخر بقدومه، ثم أخبرتني زوجتي أنَّها رأته في بيتهم يوم قامت بزيارة زوجته، ثم أخبرني جاره أنَّه رآه يدخل منزله في ذلك اليوم، وهكذا حتىٰ بلغ عدد المخبرين عشرة أو أكثر من ذلك.

فلو أنَّ هؤلاء المخبرين لم تكن بينهم علاقة، فمن المستبعد جدًّا أن يكونوا قد اتَّفقوا علىٰ أن يكذبوا عليَّ، وكلُّ عاقل يحصل له القطع بهكذا خبر متعدِّد المصادر.

ومن هذا القبيل الأحداث التي تنقلها وسائل الإعلام المتعدِّدة، والمختلفة فيما بينها في توجُّهاتها، لاسيما العقدية، والسياسية.

وعلىٰ ما ذكرنا فالخبر ينقسم إلىٰ قسمين:

١ - متواتر، وهو الذي ينقله جماعة يحصل من إخبارهم القطع بصدقه.

٢ - غير متواتر، كخبر شخصٍ أو شخصين أو ثلاثة مثلاً، فإنَّ خبر الواحد والاثنين والثلاثة لا يفيد التواتر والقطع حتىٰ لو كانوا من الثقات، فإن الثقة وإن لم نحتمل فيه الكذب إلّا أن احتمال الاشتباه في نقله أمرٌ وارد، فيسلب من الخبر صفة القطع، وأقصىٰ ما يحصل منه هو الظنُّ ليس أكثر.

ويصطلح العلماء علىٰ هذا القسم (خبر الآحاد).

أقسام التواتر:

ينقسم التواتر إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: التواتر اللفظي:

وهو نقل الرواة للحديث بلفظ واحدٍ، كما لو روىٰ عشرةٌ من الصحابة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظ واحد إلىٰ أحد التابعين، فإن التابعيَّ الذي يتلقَّىٰ هكذا حديث يتلقَّاه متواتراً عن النبيِّ صلى الله عليه وآله، فيفيده القطع بصدوره.

وقد ذكر الأعلام شرطاً في حصول التواتر، وهو العلم باستحالة اتفاق الناقلين علىٰ الكذب، كما لو كان عددهم كثيراً، وكانوا متفرِّقين في مواطن سكناهم، أو في مذاهبهم، أو كان في جملتهم من نقطع بعدم تعمُّده الكذب علىٰ المعصوم، كالمقداد، وأبي ذرٍّ، وسلمان رضي الله عنهم.

وإذا نقل الحديث بعدّة وسائط فلابد أن يكون التواتر حاصلاً في كلِّ واسطة منها وصولاً إلىٰ المعصوم عليه السلام.

القسم الثاني: التواتر المعنوي:

وهو نقل الرُّواة لحديثٍ واحدٍ بألفاظ مختلفة، والمعنىٰ واحد، كحديث الغدير، وحديث الثقلين، وغيرهما من الأحاديث التي تتَّفق في المضمون، وتختلف في الألفاظ.

ومن أمثلته ما لو نقل عدد كبير من وسائل الإعلام خبراً بألفاظ مختلفة ومضمون واحد، فإنه يحصل للمتلقّي القطع بصدق ذلك الخبر، وما ذلك إلّا لقطعه باستحالة أن تكون تلك الوسائل قد اتّفقت على الكذب، كما لو نقلت فضائيّتان دينيّتان خبراً في صالح المسلمين، ثمَّ نقلت ثلاث فضائيّات علمانيّة غير معادية للدّين نفس مضمون الخبر، ثمَّ نقلته أربع فضائيّات معادية للمسلمين، فإن كلَّ عاقل يحصل له القطع بصدق ذلك الخبر، لاستحالة حصول اتفاق بين جميع هذه الفضائيات على الكذب في هكذا خبر بالرغم من تباينها الشديد في التوجُّهات.

القسم الثالث: التواتر الإجمالي:

وهو نقل الرُّواة أخباراً مختلفة في اللفظ والمعنى، لكنها تشترك في معنى ملازمٍ لمعانيها، بحيث يحصل من مجموعها القطع بثبوت ذلك المعنى الملازم نتيجةً لتشكُّل علمٍ إجماليٍّ بثبوت ولو حديث واحد من تلك الأحاديث، فيما لو استحال كذب جميعها بحسب العادة.

مثاله: ما لو نقلت مختلف مصادر المسلمين من الشيعة والعامَّة عدداً كبيراً من الأخبار تشترك في لازم واحدٍ، كشجاعة عليٍّ عليه السلام، فإنَّ كلَّ عاقل سوف يقطع بثبوت ذلك اللازم لعلي عليه السلام، وهو الشجاعة.

فلو نقل راويان أنَّ عليّاً عليه السلام قتل في معركة بدرٍ خمسةً وسبعين من قريش، ونقل ثلاثةٌ أنَّه قتل ستين في تلك المعركة، ونقل واحد أنَّ المقتولين خمسون، ونقل أربعة أنَّه قتل أربعين، فإنَّ هذه الأخبار العشرة وإن اختلفت في عدد مَن قتلهم إلَّا أنَّها اتَّفقت على أنَّه عليه السلام قتل ما لا يقلُّ عن أربعين من قريشٍ.

ومن المسلَّم به أن قتل مثل هذا العدد في معركة مثل معركة بدرٍ التي فاق فيها العدو جيش المسلمين عدداً وعدَّةً يدلُّ على شجاعة القاتل بلا شك.

ولو انضمَّ إلى هذه الأخبار العشرة أخبار أخرى تتحدَّث عن معارك

أخرىٰ، وأنه عليه السلام قتل في كلِّ واحدة منها أعداداً كبيرةً من الأبطال وكان أقلُّ عدد بينها كافياً لاستحقاقه عليه السلام وصف الشجاع، فسوف يحصل القطع لكلّ عاقل بشجاعته عليه السلام.

ومنشأ القطع هو تواتر الأخبار في شجاعته تواتراً إجمالياً، لا لفظيّاً، ولا معنوياً، بمعنىٰ حصول القطع للعاقل بصدق بعض هذه الأخبار، لاستحالة أن تكون جميعها كاذبة، ولو ثبت في مرَّة أو مرَّتين أن عليّاً عليه السلام قتل عدداً كبيراً من الأبطال فإنه كافٍ في ثبوت شجاعته وبطولته.

ولك أن تمثِّل لذلك بمثال معاصرٍ، وهو ما لو نقلت أخبار كثيرة عن قيام طبيبٍ جرَّاحٍ بزراعة الكلية بنجاح تام، لكنَّها اختلفت في عدد المرضىٰ الذين أجرىٰ لهم تلك العمليَّة، كما لو أفاد بعضها أنَّ عددها مائة عمليَّة، وبعضها أنَّها ثمانون، وبعضها أنَّها خمسون، فإنَّ القدر المشترك بين هذه الأخبار هو الخمسون، وهو عدد كبير بلحاظ هكذا نوع من العمليّات ويكفي كشاهدٍ علىٰ براعة ذلك الجرَّاح، ولذا نرىٰ المرضىٰ يطمئنون إلىٰ مثله، ويسلِّمون أنفسهم ويستسلمون تحت يده، ثقةً منهم به، وما ذلك إلّا لحصول القطع واليقين ببراعته من خلال تواتر الأخبار بذلك عندهم تواتراً إجمالياً، رغم عدم إحرازهم لوثاقة جميع المخبرين.

والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جدّاً لا يمكن إحصاؤها.

ومن هذا القبيل ما تواتر من احتياج الصحابة إلىٰ عليٍّ عليه السلام في الأحكام والقضاء، واستغنائه عنهم، بقطع النظر عمَّا هو الثابت من تلك الروايات المتضمّنة لهذه الحقيقة، وما هو غير الثابت منها، لأن القطع حاصلٌ بأنَّ بعضها علىٰ الأقل صادق وإن لم نشخّصه بعينه، كالتي وردت علىٰ لسان عمر وقوله: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)، وقوله: (لولا عليٌّ لهلك عمر).

والروايات في كلا المثالين - شجاعة علي عليه السلام وعلمه - هي من قبيل الروايات المشترِكة في لازمٍ واحدٍ، وهو الشجاعة في المثال الأول، والعلم في المثال الثاني.

وجميع أقسام التواتر تتفق في أمرين:

١ - إنه لا حاجة إلىٰ النظر في حال الرواة من جهة الوثاقة وعدمها مادام يستحيل عليهم التواطؤ علىٰ الكذب.

٢ - إنها تفيد القطع بالمضمون، سواء كان مباشريًّا كما في القسمين الأوَّلين أم كان ملازماً لمضمون الأخبار كما في القسم الثالث.

وإن تسأل: في حال لم تكن الروايات متواترة بأيِّ نحوٍ من أنحاء التواتر هل يمكن تحصيل القطع منها؟

فالجواب: أنَّ الرواية إذا لم تكن متواترة فقد ذكرنا أنّ العلماء يصطلحون عليها بأنَّها خبر آحاد، وهو علىٰ نحوين:

الأول: ما كان خالياً من قرينة تفيد القطع بصدقه.

وهذا لا يفيد أكثر من الظن كما هو المعروف[1]، فإن كان راويه ثقةً كان حجَّة في باب الفقه، لأجل قيام الدليل علىٰ حجية خبر الثقة في باب الأحكام الفرعية.

وإن لم يكن ثقةً بأن كان ضعيفاً أو مجهول الحال فلا يكون حجَّة في نفسه، ولكن ربما يستفاد منه في جهة أخرىٰ ليس الآن محلُّ بيانها.

الثاني: ما قامت قرينة قطعية علىٰ صدقه.

وهذا كالمتواتر من جهة أنَّه يفيد القطع بالمضمون بسبب القرينة القطعيَّة.

مثاله: ما لو كنت ترىٰ رجلاً كبيراً في السنّ يجلس في مقهىٰ كلَّ يوم، وفي

---

١. والذي أذهب إليه هو التفصيل بين حيثية الصدور وحيثية الظهور، أمّا من حيث الصدور فخبر الثقة يفيد الاطمئنان، وهو حجة في نفسه، بلا حاجة في ذلك إلىٰ قرينة، وأمَّا من حيث الظهور فكما عليه المشهور، لا يفيد أكثر من الظنِّ، لاحتمال نقله الحديث بالمعنىٰ، ويصعب القطع بأنَّه مطابق لمقصود المعصوم. نعم يمكن الاطمئنان بالمطابقة في بعض المنقولات.

يـوم أخـبرك شـخص بموتـه، فـإن خـبره لا يفيـد القطـع، لأنَّـه إن لم يكن ثقةً فسـوف تحتمـل كذبـه، وإن كان ثقـةً فاحتـمال اشـتباهه واردٌ، لكنـك لاحظـت أن زوجـة ذلـك الرجـل لم تعـد تخـرج مـن بيتهـا، ثـم نقلـت زوجتـك أنَّهـا رأتهـا تلبـس السـواد، ثـم رأيـت بنفسـك أبنـاءه وأصدقـاءه يلبسـون السـواد، كـما لم تعـد تـراه يجلـس في ذلـك المقهـىٰ كعادتـه، ثـم سـمعت مـن بعـض الموظّفـين أنَّ مرتّبـه التقاعـدي قـد تـمَّ تحويلـه باسـم زوجتـه.

إن كلَّ قرينة من هذه القرائن لو ضممناها وحدها إلىٰ الخبر لم تفد القطع.

أمّا عدم خروج الزوجة من بيتها فلعلَّ ذلك بسبب وعكة صحيّة.

وأمّا لبسها السواد فلعلَّه لموت بعض أقربائها.

وأمّا لبس أبنائه السواد فلعلّه لموت ذلك القريب.

وأمّـا لبـس أصدقائـه السـواد فلعلَّـه لمـوت شـخص آخـر صـادف موتـه مـع مـوت أقربـاء الزوجـة.

وأمّا عدم جلوسه في المقهىٰ فلعلّه لمرض منعه من الخروج.

وأمّـا تحويـل مرتَّبـه باسـم زوجتـه فلعلَّـه لضعفـه وأنَّـه مـا عـاد يسـتطيع الذهـاب لقبـض المرتَّـب بنفسـه، فجعـل زوجتـه وكيلـةً في قبضـه.

هذا لو لاحظنا كلَّ قرينة وحدها.

وأمّـا لـو لاحظنـا القرائـن مجتمعـةً فـإنَّ اجتماعهـا يـورث الاطمئنـان بمـوت ذلـك الرجـل المسـنِّ.

إذا عرفت ما ذكرنا فنقول:

لقـد أشـكل أحـد الجهلـة المنتسـب زوراً إلىٰ أهـل العلـم: بـأن وجـود الإمـام المهـدي عجل الله فرجه مسـألة عقديّـة، ويلـزم في المسـائل العقديـة أن تكـون قطعيّـة، والروايات الدالـة عـلىٰ ولادتـه عجل الله فرجه لا تفيـد القطـع، لعـدم تواترهـا.

وقد غفل هذا الغريب عن العلم وأهله عن جملة أمور:

منها: أنَّ التواتر لا ينحصر بالقسمين الأوَّلين، أعني اللفظي والمعنوي، بل هناك قسم ثالث، وهو التواتر الإجمالي كما عرفت.

ومنها: أنَّ المسائل العقديَّة وإن كان يُشترط فيها أن تكون قطعيّة إلّا أنَّه لا يلزم في القطع أن يكون بحيث يصل إليه المكلَّف من دون بحث في الأدلة والنصوص، وإلّا فعليه أن ينكر إمامة عليّ عليه السلام، لأن الخصم يدَّعي أن النصوص التي يسلّمون بها ليست صريحة في إمامته، وما كان منها صريحاً لا يسلّمون بها.

وبكلمة أخرىٰ: أنَّ ما يلزم في المسألة العقديَّة هو أن تكون قطعية، وأمّا من أين يحصل القطع فتلك قضيةٌ أخرىٰ، سواء حصل القطع من آيةٍ محكمةٍ، أو خبرٍ متواترٍ، أو خبرِ آحادٍ منضمٍّ إليه قرينةٌ قطعيّةٌ، أو من مجموع أخبار وقرائن توجب بملاحظة مجموعها القطع بولادته عجل الله فرجه، وهذا مما يغفل عنه كثير من الناس.

ومن هذا القبيل مسألة الرجعة، فإن القطع بها ليس أمراً بمتناول اليد بحيث يمكن لكلِّ مسلم أن يقطع بها من ملاحظة آيةٍ، أو روايةٍ، بل لابدَّ من إعمال النظر وضمِّ النصوص بعضها إلىٰ بعضٍ، ثم بعد ذلك يحصل له القطع بها.

ومنها: أن تولُّد الإمام المهديِّ عجل الله فرجه من الحسن العسكريِّ عليه السلام مباشرة هو من المسائل الثابتة بالتواتر الإجمالي، لأن إثبات ولادته عجل الله فرجه لا ينحصر بالروايات الناقلة لحادثة الولادة كما يتوهَّم العوامُّ وأمثالهم من الذين يحسبون أنَّهم من أهل العلم، بل هناك مناشئُ أخرىٰ لإثبات ولادته، وعلىٰ رأسها الروايات الكثيرة التي يشترك جميعها في لازم واحد، وهو أنّ الحجة عجل الله فرجه هو ابن الحسن العسكري عجل الله فرجه، والمولود قبل وفاته، أي قبل سنة (٢٦٠هـ)، ولكثرتها يحصل العلم الإجمالي بصدور بعضها، فيحصل القطع بلازمها، وهو تولُّده عجل الله فرجه، لاسيما مع ضمِّ إجماع الطائفة علىٰ ذلك بحيث يوجب خروج منكره عن المذهب،

وضمِّ الأخبار الناقلة لحصول التشرُّف بلقائه عجل الله فرجه من قبل بعض العلماء والصالحين، مضافاً إلىٰ اعتراف بعض أعلام العامة بتولُّده عجل الله فرجه.

ولهذا وذاك جعلنا البحث تارة في الروايات الدالة علىٰ ولادته ولو بالالتزام، وأخرىٰ في الأخبار الواردة فيمن رآه عجل الله فرجه، وثالثة في شهادات العامَّة بها.

أمّا الروايات الدالة علىٰ ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه فمنها ما دلَّ عليها بالمطابقة، وهي ثلاثة أصناف، ومنها ما دلَّ عليها بالالتزام[1]، وما عثرنا عليه منها علىٰ عجالة سبعة عشر صنفاً، فهاهنا عشرون صنفاً، وحيث إنَّ البحث هنا مبنيٌّ علىٰ الاختصار فنكتفي بنقل رواية واحدة لكلِّ صنف منها كأنموذج عن بقيَّة روايات الصنف:

الصنف الأول: الروايات المبشِّرة بولادته عجل الله فرجه قبل وقوعها:

من قبيل: ما رواه الكليني بسنده عن زرارة بن أعين، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لابُدَّ للغلام من غيبة»، قلت: ولِمَ؟ قال: «يخاف - وأومأ بيده إلىٰ بطنه - وهو المنتظر، وهو الذي يشك الناس في ولادته، فمنهم من يقول: حملٌ، ومنهم من يقول:

---

١. يقسِّم المناطقة الدلالة اللفظية إلىٰ ثلاث دلالات:

(الأولىٰ): الدلالة المطابقية، كدلالة قولك: (مات زيد) علىٰ نفس معناه، وهو زهوق روحه.

(الثانية): الدلالة التضمنية، كدلالة قولك: (زارنا زيد وعائلته)، علىٰ مجيء زوجته، لأنَّها أحد أفراد عائلته، فيكون إخبارك بمجيء العائلة إخباراً بمجيء الزوجة ضمناً.

(الثالثة): الدلالة الالتزامية، كدلالة قولك: (زيد صرع الأبطال)، علىٰ قوَّته، إذ لولا قوَّته لما تمكَّن من أن يصرعهم.

هذا ما عليه المناطقة، ومقصودنا من دلالة بعض الروايات علىٰ ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه بالدلالة الالتزامية أنَّها لا تصدق إلّا إذا كان قد ولد من العسكري عليه السلام في حياته وقبل موته، كالرواية الدالة علىٰ أنَّ المؤمنين سوف يفقدونه سنة (٢٦٠هـ) بعد وفاة الحسن العسكري عليه السلام، فإنَّها تدلُّ بالدلالة الالتزامية علىٰ أنَّه قد وُلِدَ قبل التاريخ المذكور، لأنَّ الفقدان لا يصدق إلّا بعد الوجود، فلو قال شخص: (فقدت أموالي) ولم يكن لديه أموال من الأساس كان كاذباً، لأنَّ فقد المال إنَّما يكون بعد وجوده.

والروايات الدالة بالالتزام علىٰ تولُّده عجل الله فرجه من العسكري عليه السلام بالفعل كثيرة كما سيأتي بعضها.

مات أبوه ولم يُخلِّف، ومنهم من يقول: وُلد قبل موت أبيه بسنتين»، قال زرارة: فقلت: وما تأمرني لو أدركت ذلك الزمان؟ قال: «ادع الله بهذا الدعاء: اللَّهم عرِّفني نفسك، فإنَّك إن لم تعرِّفني نفسك لم أعرفكَ، اللَّهم عرِّفني نبيَّك، فإنَّك إن لم تعرِّفني نبيَّك لم أعرفْهُ قطُّ، اللَّهم عرَّفني حُجَّتك، فإنَّك إن لم تعرِّفني حُجَّتك ضللتُ عن ديني»، قال أحمد بن الهلال: سمعت هذا الحديث منذ ستٍ وخمسين سنة[1].

أقول: والحديث واضح في أنَّ الصادق عليه السلام كان يحدِّث زرارة بأنَّ المهدي عجّل الله فرجه سوف يولد، فإنَّ غيبة الشيء لا تصدق إلا بعد وجوده، فالذي لم يولد بعدُ لا يقال في حقِّه: «قد غاب فلان».

كما أنَّ الحديث واضح في أنَّ الناس سوف يشكُّون في ولادته، وأنَّ الشَّاكين في ذلك هم من الضالّين، وأنَّ عدم وجود إمامٍ بعد وفاة العسكريِّ عليه السلام يستلزم عدم معرفة من هو الحُجَّةُ بعده، ولازم عدم معرفة الحُجَّة هو الضلال عن الدين كما هو صريح قوله عليه السلام: في آخر الدعاء: «فإنَّك إن لم تعرِّفني حُجَّتك ضللتُ عن ديني».

الصنف الثاني: الروايات الناقلة لحادثة الولادة:

من قبيل: ما رواه الصدوق بسنده عن موسىٰ بن محمد بن القاسم، وهي رواية طويلة نكتفي بموضع الحاجة منها، قال: حدَّثتني حكيمة بنت محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر عليهم السلام، قالت: بعث إليَّ أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: «يا عمة؛ اجعلي إفطارك [هذه] الليلة عندنا، فإنَّها ليلة النصف من شعبان، فإنَّ الله تبارك وتعالىٰ سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه»، قالت: فقلت له: ومن أُمُّه؟ قال لي: «نرجس»، قلت له: جعلني الله فداك؛ ما بها أثر، فقال: «هو ما أقول لك»... إلىٰ أن قالت: وخرجتُ أتفقَّد الفجر، فإذا

١. الكافي ١: ٣٤٢، باب (في الغيبة)، ح٢٩.

أنا بالفجر الأول كَذَنَبِ السرحان وهي نائمة، فدخلني الشكوك، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: «لا تعجلي يا عمة، فهاك الأمرُ قد قرب»... إلىٰ أن قالت: فأخذتني فترةٌ وأَخَذَتها فترةٌ، فانتبهتُ بحِسِّ سيدي، فكشفتُ الثوبَ عنه، فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقَّىٰ الأرض بمساجده، فضممته إليَّ، فإذا أنا به نظيفٌ متنظِّفٌ، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: «هَلُمِّي إليَّ ابني يا عمة»، فجئت به إليه، فوضع يديه تحت أَلْيَتَيهِ وظهره، ووضع قدميه علىٰ صدره، ثم أدلىٰ لسانه في فيه، وأَمَرَّ يده علىٰ عينيه، وسمعه، ومفاصله... إلىٰ آخر الرواية[1].

الصنف الثالث: الروايات المتعلِّقة بولادته بعد وقوعها:

من قبيل: ما رواه الكليني بسنده عن أحمد بن محمد بن عبد الله، قال: خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قُتل الزُّبيريُّ (لعنه الله): «هذا جزاءُ من اجتَرَأَ علىٰ الله في أوليائه، يزعم أنَّه يقتلني وليس لي عَقِبٌ، فكيف رأىٰ قدرة الله فيه»؟، ووُلِدَ له وَلَدٌ سمَّاه...[2] في سنة ستٍ وخمسين ومائتين[3].

الصنف الرابع: الروايات الصريحة في أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه هو التاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام:

منها ما رواه الصدوق قدس سره بسنده عن عبد الرحمن بن سليط، قال: قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: «مِنَّا اثنا عشر مهديّاً، أوَّلُهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحقِّ، يحيىٰ الله تعالىٰ به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحقِّ علىٰ الدين كلِّه ولو كره المشركون، له غيبةٌ يرتدُّ فيها قومٌ، ويثبت علىٰ الدين فيها آخرون فيُؤذَونَ، فيقال لهم: ﴿مَتىٰ هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾، أما أن الصابر في غيبته علىٰ

١. كمال الدين وتمام النعمة ٢: ٤٢٤، ب٤٢، ح١.
٢. مكان النقط ورد اسمه عجل الله فرجه مقطَّعاً، ولم نذكره كذلك، لبنائنا علىٰ الاحتياط في ذلك.
٣. الكافي ١: ٣٢٩، باب (الإشارة والنص إلىٰ صاحب الدار عجل الله فرجه)، ح٥.

الأذىٰ والتكذيب، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله»[١].

الصنف الخامس: الروايات الصريحة في أنه السادس من ولد الإمام الصادق عليه السلام:

ومنها ما رواه الصدوق قدس سره بسنده عن حيان السرَّاج، قال: سمعت السيد بن محمد الحميري يقول: كنت أقول بالغلوِّ، وأعتقد غيبة محمد بن علي - ابن الحنفية - قد ضللت في ذلك زماناً، فمَنَّ الله عليَّ بالصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، وأنقذني به من النار، وهداني إلىٰ سواء الصراط، فسألته بعد ما صحَّ عندي بالدلائل التي شاهدتها منه أنَّه حجة الله عليَّ وعلىٰ جميع أهل زمانه، وأنّه الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الاقتداء به، فقلت له: يا بن رسول الله، قد روي لنا أخبارٌ عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصِحَّةِ كونها، فأخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام: «إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أوَّلُهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحقِّ بقيةُ الله في الأرض وصاحب الزمان، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتىٰ يظهر، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٢].

الصنف السادس: الروايات الصريحة في أنه الخامس من ولد السابع، أعني الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام:

منها ما رواه الصدوق قدس سره بسنده عن صفوان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: «من أقرَّ بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن أقرَّ بجميع الأنبياء وجحد محمداً صلى الله عليه وآله نبوَّتَهُ»، فقيل له: يا بن رسول الله، فمن المهديُّ من ولدك؟ قال: «الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه، ولا يحلُّ لكم تسميته»[٣].

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٩، ب٦، ح٣٦.
٢. كمال الدين ١: ٣٣.
٣. كمال الدين ٢: ١، ب٣٣، ح١.

الصنف السابع: الروايات الصريحة في أنَّ الأئمة اثنا عشر إماماً:

وبضمِّها إلىٰ حديث الثقلين الدالّ علىٰ أنَّهم والقرآن لا يفترقان إلىٰ يوم القيامة، يلزم أن يكون الإمام المهدي عجل الله فرجه هو الإمام بعد العسكري عليه السلام مباشرة، ولازمه أن يكون قد تولَّد قبل زمان وفاة الإمام العسكري عليه السلام ليكون الإمام بعد وفاته مباشرةً، وإلّا لحصل الافتراق بين الأئمة عليهم السلام والقرآن الكريم.

أمَّا روايات الاثني عشر فمن قبيل: ما رواه الكلينيُّ بسنده عن سليم بن قيس، قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنّا عند معاوية، أنا، والحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعمر بن أمِّ سلمة، وأسامة بن زيد، فجرىٰ بيني وبين معاوية كلامٌ، فقلت لمعاوية: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استُشهِدَ عليٌّ فالحسنُ بن عليٍّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسينُ من بعده أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استُشهِدَ فابنه عليُّ بن الحسين أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا عليُّ، ثم ابنُه محمدُ بن علي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا حسين، ثم تَكمِلَةُ اثني عشر إماماً، تسعةٌ من ولد الحسين»، قال عبد الله بن جعفر: واستشهدتُ الحسنَ والحسينَ وعبدَ الله بنَ عباسٍ وعُمَرَ بنَ أمِّ سلمة وأسامةَ بنَ زيدٍ، فشهدوا لي عند معاوية، قال سليم: وقد سمعت ذلك من سلمان، وأبي ذرٍّ، والمقداد، وذكروا أنَّهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وأمَّا روايات حديث الثقلين فهي متواترة، من قبيل: ما رواه الصدوق قدس سره بسنده عن الريان بن الصلت، قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمَرْوٍ وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان... إلىٰ أن قال: فقال المأمون: مَن العترةُ الطاهرةُ؟ فقال الرضا عليه السلام: «الذين وصفهم الله في

١. الكافي ١: ٥٢٩، باب (ما جاء في الاثني عشر، والنص عليهم عليهم السلام)، ح٤.

كتابه فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلِّف فيكم الثقلين؛ كتابَ الله، وعترتي أهلَ بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما...»[1].

الصنف الثامن: الروايات الواردة في تسمية الأئمة الاثني عشر واحداً واحداً:

وأنَّ الإمام المهدي عجّل الله فرجه هو الابن المباشر للحسن العسكري عليه السلام، منها:

ما رواه الكليني بسنده ما رواه الكليني بسنده عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، قال: «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه الحسن بن علي عليه السلام، وهو متَّكِئٌ علىٰ يد سليمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلَّم علىٰ أمير المؤمنين، فردَّ عليه السَّلامَ، فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهنَّ علمتُ أن القوم ركبوا من أمرك ما قضىٰ عليهم، وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم، وإن تكن الأخرىٰ علمتُ أنك وهم شَرَعٌ سواء، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عمَّا بَدَا لَكَ، قال: أخبرني عن الرجل إذا نام، أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسىٰ؟ وعن الرجل كيف يشبه وَلَدُهُ الأعمام والأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ الحسن فقال: يا أبا محمدٍ أَجِبْهُ، قال: فأجابه الحسن عليه السلام، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلّا الله، ولم أزل أشهدُ بها، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، ولم أزل أشهدُ بذلك، وأشهد أنَّك وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله، والقائم بحجَّته - وأشار إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام - ولم أزل أشهدُ بها، وأشهد أنَّك وصيُّه والقائم بحجَّته - وأشار إلىٰ الحسن عليه السلام - وأشهد أن الحسين بن عليٍّ وصيُّ أخيه، والقائمُ بحجَّته بعده، وأشهد علىٰ عليٍّ بن الحسين أنَّه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد علىٰ محمدِ بن عليٍّ أنَّه القائم

١. أمالي الصدوق: ٦١٥، المجلس ٧٩، ح١.

بأمر عليٍّ بن الحسين، وأشهد علىٰ جعفر بن محمد بأنَّه القائم بأمر محمدٍ، وأشهد علىٰ موسىٰ أنَّه القائم بأمر جعفر بن محمدٍ، وأشهد علىٰ عليٍّ بن موسىٰ أنَّه القائم بأمر موسىٰ بن جعفرٍ، وأشهد علىٰ محمدِ بن عليٍّ أنَّه القائم بأمر علي بن موسىٰ، وأشهد علىٰ عليٍّ بن محمدٍ بأنَّه القائم بأمر محمد بن عليٍّ، وأشهد علىٰ الحسن بن عليٍّ بأنَّه القائم بأمر عليٍّ بن محمدٍ، وأشهد علىٰ رجلٍ من وُلد الحسن لا يُكَنَّىٰ، ولا يُسَمَّىٰ حتىٰ يَظهر أمرُهُ، فيملأُها عدلاً كما ملئت جوراً، والسَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قام فمضىٰ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا محمد؛ اتَّبِعهُ فانظر أين يقصد، فخرج الحسن بن علي عليهما السلام، فقال: ما كان إلّا أن وضع رجله خارجاً من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمته، فقال: يا أبا محمد؛ أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، قال: هو الخضر عليه السلام»[1].

الصنف التاسع: الروايات الواردة في أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية:

اللازم منها وجود إمام لكلِّ زمان، وبناءً علىٰ أن الأئمة اثنا عشر إماماً، وأن الثاني عشر هو الإمام المهدي عجل الله فرجه فيلزم أن يكون هو الإمام منذ وفاة العسكري عليه السلام إلىٰ يومنا هذا، وهو يستلزم تولُّده من العسكري عليه السلام مباشرة ليخلفه بعد موته.

ومن روايات هذا الصنف: ما رواه الكلينيُّ بسنده عن فضيل بن يسار، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من مات وليس له إمامٌ فمِيتَتُهُ مِيْتَةٌ جاهليَّةٍ، ومن مات وهو عارفٌ لإمامه لم يَضُرُّهُ تقدَّمَ هذا الأمرُ أو تأخَّرَ، ومن مات وهو عارفٌ لإمامه كان كمن هو مع القائم في فُسْطَاطِهِ»[2].

---

١. الكافي ١: ٥٢٥، باب (ما جاء في الاثني عشر، والنص عليهم عليهم السلام)، ح١.

٢. الكافي ١: ٣٧٢، باب (أنَّه من عرف إمامه لم يضره تقدّم هذا الأمر أو تأخّر)، ح٥.

الصنف العاشر: الروايات الواردة في أن الأرض لا تخلو من إمام:

وأنها لو خلت منه لساخت بأهلها، وحيث إنها خلت من الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري عليه السلام سنة (٢٦٠هـ) فيلزم أن يخلفه الثاني عشر بلا فصل، لئلا تخلو الأرض من الإمام، وذلك يستلزم كونه قد تولَّد منه قبل وفاته، أي قبل سنة (٢٦٠هـ).

فلاحظ ما رواه الصفَّار رحمه الله بسنده عن أبي حمزة الثمالي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تبقىٰ الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[١].

الصنف الحادي عشر: الروايات الواردة في أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مستوراً:

وانطباق الظاهر المشهور علىٰ الأئمة الأحد عشر عليهم السلام، وعدم انطباق المستور علىٰ أحد منهم، فلزم أن يكون هو الثاني عشر، وهو الإمام الغائب عجل الله فرجه، إذ لم تُدّعَ الغيبة لأحد منهم سواه.

فلاحظ ما رواه الصدوق بسنده عن كميل بن زياد، في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام، جاء فيه: «اللهم بلىٰ لا تخلو الأرض من قائمٍ بحجّةٍ ظاهر أو خائف مغمور، لئلا تبطل حججُ الله وبيِّناتُه، وكم وأين؟ أولئك الأقلُّون عدداً، الأعظمون خطراً، بهم يحفظ الله حججه حتىٰ يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم»[٢].

الصنف الثاني عشر: الروايات الواردة في النهي عن ذكر الإمام المهدي عجل الله فرجه باسمه:

والتي علَّلت النهي بالخوف عليه أو علىٰ الشيعة، فإنها لا تنسجم مع القول بأنه سيولد في آخر الزمان ويقوم، لأنه حينما يقوم سيعلن بنفسه عن اسمه

١. بصائر الدرجات: ٥٠٨، ب١٢(أن الأرض لا تبقىٰ بغير إمام لو بقيت لساخت)، ح٢.
٢. الخصال: ١٨٦، باب الثلاثة، ح٢٥٧.

ونسبه، فلا توجد فترة يعلم فيها الشيعة بظهوره قبل قيامه ليحرم عليهم ذكره باسمه، من قبيل ما رواه الكلينيُّ بسنده عن داود بن القاسم الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول: «الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف»؟، فقلت: ولِمَ جعلني الله فداك؟ قال: «إنكم لا ترون شخصه، ولا يحلُّ لكم ذكره باسمه»، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: «الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه»[١].

الصنف الثالث عشر: جملة من الروايات الواردة في وقوع الغيبة التي يلزم من صدورها أن يكون الإمام المهدي عجل الله فرجه الغائب متولِّداً من الإمام العسكري عليه السلام، منها:

ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن أم هاني، قالت: لقيت أبا جعفر عليه السلام، فسألته عن قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥-١٦]، فقال: «إمام يخنس في زمانه عند انقطاعٍ من علمه عند الناس سنة ستين ومائتين، ثم يبدو كالشهاب الوقَّاد، فإن أدركت ذلك قُرَّتْ عينك»[٢].

ولا ينطبق هذا الحديث إلّا علىٰ مولود يولد للعسكريِّ عليه السلام قبل وفاته، ثم يغيب في سنة (٢٦٠هـ)، وهي سنة وفاة العسكريِّ عليه السلام.

الصنف الرابع عشر: ما ورد في أنه كلَّما مضىٰ إمامٌ قام إمام بعده:

ومنها ما رواه الكلينيُّ بسنده عن معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنَّما نحن كنجوم السماء، كلَّما غاب نجمٌ طلع نجمٌ...»[٣]، ولا كلام في أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه هو النجم الثاني عشر، وبعد غياب نجم الإمام الحسن العسكري عليه السلام لابدَّ من ظهور نجم الحجَّة عجل الله فرجه، ليصدق «طلع نجمٌ».

---

١. الكافي ١: ٣٣٣، باب (في النهي عن الاسم)، ح١.

٢. الغيبة: ١٥٩، ح١١٦.

٣. الكافي ١: ٣٣٨، باب (في الغيبة)، ح٨.

الصنف الخامس عشر: الروايات الواردة في أن نزول الأمر في ليلة القدر من كلّ سنة لا يكون إلّا على وليّ الأمر، وهو المعصوم عليه السلام، منها:

ما رواه الكليني عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث جرىٰ بينه وبين ابن عباس جاء فيه: «إنَّ ليلة القدر في كلِّ سنةٍ، وإنَّه ينزل في تلك الليلة أمرُ السنة، وإنَّ لذلك الأمر ولاةً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»، فقلت: من هم؟ فقال: «أنا وأحد عشر من صلبي أئمَّةٌ محدثون»[١].

الصنف السادس عشر: الروايات الصريحة في أنَّ لكلِّ قوم هادٍ يهديهم في زمانهم، فلو كان الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه سيولد في آخر الزمان فلازمه أنَّ الأقوام الذين وجدوا بين عصره وعصر الإمام الحادي عشر عليه السلام - وهي أقوامٌ كثيرة جدّاً - بلا هادٍ، من قبيل ما رواه الصدوق: حدّثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن بريد بن معاوية العجليِّ، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما معنى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]؟ فقال: «المنذر رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليٌّ الهاديُّ، وفي كلّ وقتٍ وزمانٍ إمامٌ منَّا يهديهم إلى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

الصنف السابع عشر: ما ورد فيمن هنَّأ إمامنا الحسن العسكري عليه السلام بولادة المهدي عجل الله فرجه، وهو ما رواه الصدوق قدس سره بسنده عن أبي الفضل الحسن بن الحسين العلوي، قال: دخلت علىٰ أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام بسُرَّ من رأىٰ، فهَنَّأتُهُ بولادة ابنه القائم عليه السلام[٣].

---

١. الكافي ١: ٢٤٧، باب (في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وتفسيرها)، ح٢.
٢. كمال الدين: ج٢، ص٦٦٧، ب٥٨، ح١٠..
٣. كمال الدين ٢: ، ذيل ب٤٢، ح١.

الصنف الثامن عشر: الروايات الواردة فيمن رآه عجل الله فرجه بعد مولده، من قبيل:

ما رواه الصدوق قدس سره بسنده عن محمد بن الحسن الكرخي قال: سمعت أبا هارون - رجلاً من أصحابنا - يقول: رأيت صاحب الزمان عليه السلام، وكان مولده يوم الجمعة سنة ست وخمسين ومائتين[١].

ولعلَّك تقول: إن هذا الصنف والذي سبقه، يندرجان تحت الصنف الثالث الذي يضمُّ روايات ما بعد الولادة.

وجوابه: أنَّ المقصود بروايات ذلك الصنف روايات المعصومين عليهم السلام حصراً، بخلاف روايات هذين الصنفين.

الصنف التاسع عشر: الروايات الواردة في وجود عدلٍ من أهل البيت عليهم السلام في كلِّ خَلَف من هذه الأُمَّة - أي في كلِّ جيل وعصر - ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولم تعرف الشيعة في زمن الغيبة الصغرىٰ أحداً بهذه الوصف بحسب الظاهر سوىٰ السفراء، لما يخرج علىٰ يدهم من البيانات التي تنفي عن الدين ما ذكر، وليس في السفراء أحد ينتسب إلىٰ أهل البيت عليهم السلام، فلم يبق إلّا أن يكون العدل في ذلك الزمان هو من يتَّصل به السفراء، وهو المهديّ عجل الله فرجه، فقد روىٰ الصدوق بسنده عن أبي الحسن الليثي، قال: حدَّثني جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنَّ في كلِّ خَلَفٍ من أُمَّتي عدلاً من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وإنَّ أئمَّتكم قادتُكم إلىٰ الله عزوجل، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم»[٢].

الصنف العشرون: الروايات الناقلة للتوقيعات المنسوبة إليه عجل الله فرجه، ومنها: من كان الناسب من لا يُشكُّ في صدقه وورعه، ومنها المقترن بما يشهد أنه

١. كمال الدين ٢: ٤٣٢، ب٤٢، ح٩.

٢. كمال الدين ٢: ٢٢١، ب٢٢، ح٧.

لم يصدر إلّا من معصوم، من قبيل: ما رواه الصدوق بسنده عن محمد بن صالح الهمداني[١]، قال: كتبت إلىٰ صاحب الزمان عليه السلام: إنَّ أهل بيتي يؤذونني ويُقَرِّعونني بالحديث الذي رُوي عن آبائك عليهم السلام أنَّهم قالوا: (قُوَّامنا وخُدَّامنا شرار خلق الله)، فكتب عليه السلام: «ويحكم، أما تقرؤون ما قال عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨]؟ ونحن والله القرىٰ التي بارك الله فيها، وأنتم القرىٰ الظاهرة»[٢].

هذه عشرون صنفاً من الروايات الدالَّة علىٰ تحقق ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه إمَّا بالمطابقة أو بالالتزام، وهي روايات كثيرة جداً - ويعلم ذلك من كتابنا (الحجة علىٰ من أنكر ولادة الحجة عجل الله فرجه) - بحيث يستحيل عادةً كذب جميعها، لاسيما وفيها ما هو معتبر سنداً، فيحصل العلم الإجمالي بصدور ولو رواية واحدة منها، وهو كافٍ في حصول القطع بلازمها، أعني تولُّد الحجَّة عجل الله فرجه من الحسن العسكري عليه السلام بلا واسطة قبل سنة مائتين وستين للهجرة علىٰ مهاجرها وآله الصلاة والسلام.

ولا يمكن لأحد تكذيب جميعها إلّا أن يكون في عقله لوثة والعياذ بالله الذي نستجير به من سوء العاقبة.

الإجماع علىٰ سفرائه ووكلائه عجل الله فرجه:

إنَّ السفارة والوكالة عن شخصٍ فرع وجوده، إذ لا يصحَّان عن المعدوم حتىٰ لو كان سيوجد مستقبلاً، وظاهرة السفارة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه - وكذا الوكالة عنه علىٰ غرار ما كانت عن آبائه الطاهرين عليهم السلام - أمر مجمع عليه بين الطائفة، يعرف ذلك من مراجعة كتبها في الرجال والفهارس والتراجم وغيرها، وأنَّ السفارة والوكالة ختمتا بعليِّ بن محمد السمريِّ رحمه الله، وانتهت بوفاته سنة (٣٢٩هـ).

---

١. محمد بن صالح هو الذي تقدَّم نقل المفيد لروايته في الصنف السابق، ويظهر من الروايات أنَّه كان وكيلاً للناحية المقدَّسة.

٢. كمال الدين ٢: ٤٨٣، ب٤٥، ح٢.

وقد ذكر الشيخ الطوسي قدس سره في غيبته نقلاً عن جعفر بن قولويه قدس سره الإجماع على أنَّ السَّفارة عن الحجة عجل الله فرجه خُتمت بعلي بن محمد السَّمري، وتكذيب كلّ من يدَّعيها من بعده، حيث قال في معرض كلامه على بعض مدَّعيها: (فلَعَنَّاهُ وبرئنا منه، لأنَّ عندنا أنَّ كلَّ من ادَّعىٰ هذا الأمر بعد السَّمري فهو كافرٌ مُنَمِّسٌ ضالٌّ مُضِلٌّ)[1].

وبديهي أنَّ هذا الإجماع لا يصحُّ إلّا بعد فرض وجود الإمام المهدي عجل الله فرجه في عصر السفراء الأربعة الممتدِّ من زمان وفاة إمامنا الحسن العسكريِّ عليه السلام سنة (٢٦٠هـ) إلىٰ وفاة السفير الرابع سنة (٣٢٩هـ)، وإلّا لم يصدق عليهم عنوان السُّفراء.

إن قلت: إن إجماع الإماميَّة وإن كان حجَّة قطعيّة إلّا أنَّها تختصُّ بهم، ولا يكون حجَّة علىٰ غيرهم.

قلت: إن الغرض من الجواب هو الردُّ علىٰ من أنكر ولادة الحجة عجل الله فرجه في هذا العصر ممَّن ينتسب إلىٰ الإماميَّة الاثني عشرية، لا مطلقاً.

إن قلت: إن كان المنكر من الطائفة الاثني عشرية فإنكاره ينسف هذا الإجماع الذي نسبتموه إلىٰ الطائفة.

قلت: من الواضح والمسلَّم به أنَّ الإجماع بعد ثبوته يكون حجَّة، والحجَّة لا تنسف إلَّا بحجَّة مثلها أو أقوىٰ منها، وبالتالي فإنكار المعاصر لإجماع المتقدِّمين لا ينسفه، ولا أثر له من هذه الناحية.

نعم، له أثر علىٰ نفس المنكر، حيث يحكم بخروجه من المذهب، كما لو زعم إماميٌّ اليوم لا عن جهلٍ ولا عن شبهةٍ أنَّ نكاح المتعة حرام، لأنَّ ثبوت جوازه عند هذه الطائفة أمر مجمع عليه قديماً وحديثاً وبقطع النظر عن دلالة الروايات علىٰ جوازه.

---

١. الغيبة: ٤١٢، ح٣٨٥.

الأخبار الواردة فيمن رآه عجل الله فرجه:

لقد سجَّل جملة من أعلام الطائفة في بعض مصنَّفاتهم جملة من الأخبار الواردة في من رأىٰ الحجة عجل الله فرجه من الثقات والعلماء والصالحين، وأسانيد بعضها معتبر، وهي علىٰ طائفتين:

١ - الأخبار الواردة في لقاء بعض الثقات به عجل الله فرجه في الغيبة الصغرىٰ، من قبيل ما رواه الشيخ المفيد قدس سره بسنده عن محمد بن إسماعيل بن موسىٰ بن جعفر - وكان أَسَنَّ شيخٍ من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله بالعراق - قال: (رأيت ابن الحسن بن علي بن محمد عليهما السلام بين المسجدين وهو غلامٌ)[١].

٢ - الأخبار الواردة في لقاء بعض العلماء والصالحين به عجل الله فرجه في الغيبة الكبرىٰ، حتىٰ أفرد بعض الأعلام في ذلك رسائل مفردة أو ضمن مؤلفاتهم، كالعلَّامة الميرزا حسين النوري (نوَّر الله ضريحه) في كتابه جنَّة المأوىٰ، ونقل في كتابه النجم الثاقب مائة حكاية بعضها في لقاء سيد الطائفة بحر العلوم قدس سره بإمامنا المهدي عجل الله فرجه.

ومنها: حدّثني العالم الكامل، والزاهد العامل، والعارف البصير، الأخ الإيماني، والصديق الروحاني، الآقا علي رضا (طيَّب الله ثراه) خَلَفُ العالم الجليل الحاج الملّا محمد النائيني، وابنُ أخت فخر العلماء الزاهدين الحاج محمد إبراهيم الكلباسي رحمه الله الذي لم يكن له نظير في الصفات النفسانية، والكمالات الإنسانية، من الخوف، والمحبّة، والصبر، والرضا، والشوق، والإعراض عن الدنيا، قال[٢]: حدّثني العالم الجليل الآقا الآخوند الملَّا زين العابدين السلماسي السابق الذكر[٣]، قال: كنت حاضراً في مجلس درس آية الله السيد السند، والعالم

---

١. الإرشاد ٢: ٣٥١. والجملة المعترضة إمَّا أن تكون لنفس الشيخ المفيد قدس سره، أو لمن روىٰ عن محمد هذا، والأمر سهلٌ.

٢. مرجع الضمير في (قال): الآقا علي رضا.

٣. عبارة (السابق الذكر) هي من كلام الميرزا النوري، حيث ذكر له حكاية قبل هذه الحكاية.

المسدَّد، فخر الشيعة، العلَّامة الطباطبائي بحر العلوم قدس سره في المشهد الغروي، إذ دخل عليه لزيارته المحقِّقُ القمِّيُّ صاحبُ القوانين في السنة التي رجع من العجم إلىٰ العراق زائراً لقبور الأئمة عليهم السلام، وحاجّاً لبيت الله الحرام، فتفرَّق من كان في المجلس، وحضر للاستفادة منه، وكانوا أزيد من مائة، وبقي ثلاثةٌ من أصحابه أرباب الورع والسَّداد البالغين إلىٰ رتبة الاجتهاد، فتوجَّه المحقّق الأيِّدُ إلىٰ جناب السيد وقال: إنَّكم فُزتم وحُزتم مرتبة الولادة الرَّوحانية والجسمانية، وقربَ المكان الظاهريِّ والباطنيِّ، فتصدَّقوا علينا بذكر مائدةٍ من موائد تلك[١] الخوان، وثمرة من الثمار التي جنيتم من هذه الجنان، كي ينشرح به الصدور، ويطمئنّ به القلوب[٢].

فأجاب السيد من غير تأمّل وقال: إنّي كنت في الليلة الماضية قبل ليلتين أو أقلّ - والترديد من الراوي - في المسجد الأعظم بالكوفة، لأداء نافلة الليل عازماً علىٰ الرجوع إلىٰ النجف في أوّل الصبح، لئلّا يتعطّل أمر البحث والمذاكرة - وهكذا كان دأبه في سنين عديدة[٣] - فلمَّا خرجتُ من المسجد أُلقِيَ في روعي الشوقُ إلىٰ مسجد السهلة، فصرفت خيالي عنه خوفاً من عدم الوصول إلىٰ البلد قبل الصبح، فيفوت البحث في اليوم، ولكن كان الشوق يزيد في كلِّ آنٍ، ويميل القلب إلىٰ ذلك المكان، فبينا أُقدِّم رجلاً وأُؤخِّر أُخرىٰ إذا بريحٍ فيها غبارٌ كثير، فهاجت بي، وأمالتني عن الطريق، فكأنّها التوفيق الذي هو خير رفيق، إلىٰ أن ألقتني إلىٰ باب المسجد، فدخلت، فإذا به خالياً عن العبّاد والزوّار، إلّا شخصاً جليلاً مشغولاً بالمناجاة مع الجبّار بكلمات تُرِقُّ القلوبَ القاسية، وتُسِحُّ الدموع من العيون الجامدة، فطار بالي، وتغيّرت حالي،

١. كذا، والصحيح: ذلك.

٢. كذا، والصحيح: (تنشرح) و(تطمئن)، بالتاء فيهما.

٣. عبارة (وهكذا كان دأبه في سنين عديدة) هي من كلام السلماسي، أو النوري.

ورجفت رُكبَتَيَّ، وهملت دمعتي من استماع تلك الكلمات التي لم تسمعها أُذُني، ولم ترَها عيني ممّا[١] وصلتُ إليه من الأدعية المأثورة، وعرفت أنّ الناجي[٢] ينشئها في الحال، لا أنّه ينشد ما أودعه في البال، فوقفت في مكاني مستمعاً متلذّذاً إلىٰ أن فرغ من مناجاته، فالتفتَ إليَّ وصاح بلسان العجم: «مهدي؛ بيا» أي: هَلُمَّ يا مهدي، فتقدّمت إليه بخطواتٍ فوقفت، فأمرني بالتقدُّم، فمشيت قليلاً ثم وقفت، فأمرني بالتقدُّم وقال: «إنّ الأدب في الامتثال»، فتقدَّمت إليه بحيث تصل يدي إليه ويده الشريفة إليَّ، وتكلَّم بكلمةٍ.

قال المولىٰ السلماسي رحمه الله: ولمّا بلغ كلامُ السيد السند إلىٰ هنا أضرب عنه صفحاً، وطوىٰ عنه كشحاً، وشرع في الجواب عمَّا سأله المحقِّق المذكور قبل ذلك عن سرٍّ قلَّة تصانيفه مع طول باعه في العلوم، فذكر له وجوهاً، فعاد المحقِّق القمِّيُّ فسأله عن هذا الكلام الخفيِّ، فأشار بيده شبه المنكر بأنَّ هذا سرٌّ لا يذكر[٣].

وهذه الحكاية ينقلها الميرزا النوري رحمه الله عن سيد الطائفة بواسطتين وصفتا بما يدلُّ علىٰ وثاقتهما، بل أعلىٰ درجات الوثاقة.

أمَّا الآقا علي رضا الذي نقل النوري عنه بلا واسطة فقد وصفه بالعالم، والكامل، والزاهد، والعامل، والعارف، والبصير، والأخ الإيماني، والصديق الروحاني.

وأمَّا الآقا السلماسي فقد وصفه علي رضا الذي ينقل عنه بلا واسطة بالآخوند، والملَّا، والعالم الجليل.

وأنت خبير بأنَّ هذه الصفات تدلُّ علىٰ ما هو فوق الوثاقة المجرَّدة، فيكون نقل الميرزا عن بحر العلوم بواسطتين موثوق بهما.

---

١. كذا، ولعلَّ الصحيح: فيما، ولكن صُحِّفت.

٢. كذا، والصحيح: المناجي، ولعلَّ الميم سقطت عند النسخ أو الطبع.

٣. النجم الثاقب ٢: ٢٨٤، الحكاية الثالثة والسبعون.

وبملاحظة مجموع الحكايات التي نقلها النوري في النجم الثاقب والبالغة مائة حكاية وبضميمة ما نقله غيره يحصل علم إجماليٌّ بصدق بعضها، وهو كافٍ في إثبات التشرُّف بلقاء الحجَّة عجل الله فرجه في زمن الغيبة الكبرىٰ.

ومعلوم أنَّ المقصود من العلم إجمالاً بصدق بعضها هو العلم بصدق بعضها لا علىٰ التعيين، أي أن العقل بعد ملاحظته لمجموع الحكايات يقطع بحصول اللقاء، ولا يهمُّ حينئذٍ عدم تشخيص من الذي التقىٰ بالمهديِّ عجل الله فرجه تحديداً.

إشكالات ودفع:

لقد أشكل من تناقضت مواقفه من دعاوىٰ اللقاء فآمن بصدق بعضها لا علىٰ التعيين مدَّة من حياته، كما هو الصحيح، لما ذكرنا من حصول العلم الإجمالي بملاحظة مجموع الحكايات، ثمَّ صار منكراً لها بالمطلق، لتعليلات مضحكة للثكلىٰ.

من قبيل: عدم وجود خصوصيَّة لمن ادُّعِيَ لقاؤه عجل الله فرجه بهم، بل وصل به الأمر أن يستخفَّ ببعضهم، لمجرَّد أنَّهم من عامَّة الناس، وليسوا من العلماء مثلاً!

ومن قبيل: أنَّ الإمام عجل الله فرجه ليس مؤسَّسة خيريَّة ليحلّ لهذا مشكلته، ويشافي لذاك مرضه، أو ينقذ من الهلاك حياته، أو غير ذلك ممَّا نقل في حكايات اللقاء به عجل الله فرجه!

ولولا أن يتأثَّر العوامُّ بمثل هذه التُّرَّهات المقدَّمة في ثوب إشكالات لما كانت تساوي حبر الجواب عليها، والذي حاصله: أنَّ الملاك في لقاء الحجَّة عجل الله فرجه لهذا أو ذاك أمرٌ لا نعلمه، وعدم العلم به لا يصلح مستنداً لإنكار أصل اللقاء.

ولعمري أنَّ هذا الجواب لا يخفىٰ علىٰ أمِّيٍّ لا يقرأ ولا يكتب، ولو سألته عن السبب في لقاء الحجة عجل الله فرجه لبعض دون بعض لأجابك بأنَّ الإمام أدرىٰ بما يصنع، في حين فات الجواب المذكور من يدَّعي لنفسه من المكانة العلميَّة ما يدَّعي!

كلام بعض أعلام العامة:

لقد اعترف جملة من أعلام العامة في بعض مصنَّفاتهم بتولُّد الإمام المهدي عجل الله فرجه من الحسن العسكري عليه السلام، ومنهم: ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) في صواعقه في معرض حديثه عن بعض أحوال إمامنا الحسن العسكري عليه السلام، حيث قال ما نصُّه: (ولَمَّا حُبس قحط الناس بسُرَّ من رأىٰ قحطاً شديداً، فأمر الخليفةُ المعتمد ابنُ المتوكل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيام، فلم يُسْقَوْا، فخرج النصارىٰ ومعهم راهبٌ كلَّما مدَّ يده إلىٰ السماء هطلت، ثم في اليوم الثاني كذلك، فشكَّ بعض الجهلة، وارتدَّ بعضهم، فشقَّ ذلك علىٰ الخليفة، فأمر بإحضار الحسن الخالص، وقال له: أدرك أمَّة جدِّك رسول الله قبل أن يهلكوا، فقال الحسن: يخرجون غداً وأنا أزيل الشكَّ إن شاء الله، وكلَّم الخليفة في إطلاق أصحابه من السجن، فأطلقهم، فلمَّا خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهبُ يده مع النصارىٰ غيَّمت السماء، فأمر الحسن بالقبض علىٰ يده، فإذا فيها عظمُ آدميٍّ، فأخذه من يده وقال: استسق، فرفع يده، فزال الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبيٍّ ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كُشف من عظم نبيٍّ تحت السماء إلَّا هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم، فكان كما قال، وزالت الشبهة عن الناس، ورجع الحسن إلىٰ داره، وأقام عزيزاً مكرَّماً، وصِلاتُ الخليفة تصل إليه كلَّ وقت، إلىٰ أن مات بسُرَّ من رأىٰ، ودفن عند أبيه وعمِّه، وعمره ثمانيةٌ وعشرون سنة، ويقال إنَّه سُمَّ أيضاً، ولم يخلِّف غير ولده أبي القاسم...[1] الحجَّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه

١. مكان النقاط ورد الاسم الصريح للحجَّة عجل الله فرجه، وإنما جعلنا مكانه نقاطاً لما نذهب إليه من الاحتياط في ذلك، استناداً إلىٰ الروايات الناهية عن ذكره باسمه عجل الله فرجه.

الله فيها الحكمة، ويسمَّىٰ القائم المنتظر، قيل: لأنَّه سُتر بالمدينة وغاب، فلم يعرف أين ذهب)[١].

والمتحصّل من ذلك كلّه: أن الأصناف العشرين المتقدِّمة من الروايات لو لم يكن فيها ما هو مقطوعٌ بصدوره ودلالته علىٰ تولُّد الحجّة عجل الله فرجه من العسكري عليه السلام بلا واسطة فإنها بمجموعها - أي بضمّ بعضها إلىٰ بعض - تفيد القطع بذلك، لا سيما لو ضُمَّ إليها الإجماع، والأخبار الناقلة لحكايات اللقاء به عجل الله فرجه، واعتراف بعض أعلام العامة بتولُّده من الحسن العسكري عليه السلام.

ولعمري أن هذا الجواب لكفيل بإزالة الشكِّ عن كلِّ ذي فطرة سليمة وفهم مستقيم، بل حتىٰ عن صاحب الشبهة إذا كان طالباً للحقِّ، وذلك لحصول التواتر الإجمالي بسبب ملاحظة المجموع الذي لا يلتئم إلّا مع تولُّده عجل الله فرجه من الحسن بن علي العسكري عليه السلام بلا واسطة، وبقائه عجل الله فرجه حيّاً حتىٰ يأذن الله تعالىٰ له بالقيام ليملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين.

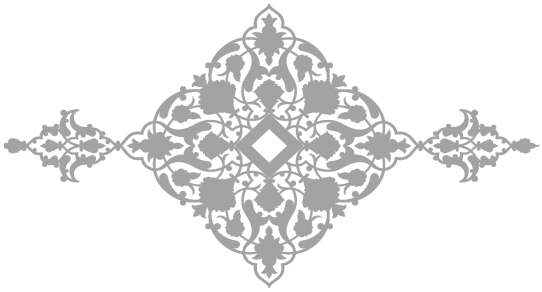

١. الصواعق المحرقة: ٢٠٧.

ALMAUOOD

آيات في القائم عجل الله فرجه

السيد باسم الصافي

إن حقيقة وجود وقيام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله في آخر الزمان هي من المواضيع المهمة في الإسلام ولم يهملها القرآن الكريم في العديد من آياته، اخترنا بعضاً منها وما لا يدرك كله لا يترك كله.

﴿نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾:

قال الله عز وجل: ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً﴾ (النصر: ١-٣).

مقدمة:

الفتح نقيض الإغلاق[1]، وهو في الحياة فيه الفرج المزيل للهمّ، وقد يكون بالحجّة والبرهان، أو بالنصر الحربي على الأعداء، أو بإهلاكهم من الله عز وجل.

ففي قصّة نوح عليه السلام حصل ضيق وإغلاق حول نوح عليه السلام والذين آمنوا معه، وتعسّرت حركة الدين، وزاد الهمّ وضعف الأمل حتى ناجى نوحٌ عليه السلام ربَّه: ﴿قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١١٧ - ١١٨).

فنجّاه الله عز وجل ومن معه وأهلك أعداءه، وفتح الطريق أمام حياة إيمانية جديدة.

١. لسان العرب ٢: ٥٣٦.

فتح مكة:

وفي حياة الرسول صلى الله عليه وآله وبعثته، كان لقريش أكبر الأثر في محاصرة النبي صلى الله عليه وآله وأتباعه علىٰ مدىً واحد وعشرين عاماً تقريباً - أي حتىٰ السنة الثامنة للهجرة - حيث كان النبي صلى الله عليه وآله قد مُنع من نشر دعوته في مكة وما حولها كما يريد، وعوقب من آمن به من الضعفاء والعبيد، وصبر علىٰ ذلك مدة ثلاثة عشر عاماً حتىٰ هاجر إلىٰ المدينة المنوّرة، فأصبح مرمىً لسلاحهم وحقدهم وخبث دسائسهم.

أمّا عرب الجزيرة فكانوا ينظرون إلىٰ قريش ومكة علىٰ أنها عاصمتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد زادت قصة أصحاب الفيل وهلاك إبرهة وجيشه بالطير الأبابيل من عقيدة الناس بهم وبقدسية مكة المكرّمة، ولم يكونوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وآله ما يقول إلّا تسريبات لا تحسم لهم الأمور، وبالتالي كان النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون في حصارٍ وضيقٍ وإغلاق لمسار الدعوة الإسلامية، ولم تتوقف المحاولات للقضاء التام علىٰ هذه الدعوة الإلهية بكل الوسائل، حتىٰ جاء صلح الحديبية الذي كان فتحاً بحدّ ذاته، فقد حصل الاعتراف بالدين الجديد، ومهّد لفتح مكة، فنزل القرآن الكريم: ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ (الفتح: ١).

وأيضاً نزل بعد ذلك قوله تعالىٰ مبشراً بفتح مكة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ (الفتح: ١٨).

وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ (الفتح: ٢٧).

ونلاحظ أن الفتح هنا عُبّر عنه بصيغة التنكير وليس معرّفاً بالألف واللام - كما في سورة النصر - مما يشير إلىٰ محدودية هذا الفتح نسبة إلىٰ الفتح الكبير

المنشود فيها، حيث أشار الإسلام الكامل في جميع بقاع الأرض علماً وعملاً وعدلاً وهو الفتح الذي نشده الأنبياء والرسل عليهم السلام وبذلوا الغالي والنفيس من أجل تحقيقه وهو فتح الإمام المهدي عجل الله فرجه في آخر الزمان.

الفتح الحسيني:

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله عُطلت الإمامة والخلافة الربّانية، وبدأت مخالفة سُنن النبي صلى الله عليه وآله شيئاً فشيئاً، وقامت الفتن، وسُفكت الدماء بين المسلمين، ووقعت الحروب، وحُوّلت خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ مُلكٍ عَضوضٍ وبالوراثة أيام بني أمية حتىٰ استولىٰ يزيد علىٰ السلطة وراثة.

وكان عموم الناس مع الحاكم، فيما كان المؤمنون والصحابة الخُلَّص وأهل البيت عليهم السلام في ضيقٍ وهمٍّ وانغلاق، حتىٰ جاء الفتح الحسيني الذي فتح الطريق أمام الإيمان السليم الكامل القائم علىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله واتِّباع الخلفاء الحق المنصوبين من قبل الله عز وجل لقيادة المجتمع الإسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وانفصلوا عن الحاكم المنحرف المتسلّط علىٰ الخلافة، راجعين إلىٰ الأئمة عليهم السلام المعيّنين من قبل الله تعالىٰ.

وقد عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك في رسالته التي وجّهها إلىٰ بني هاشم عندما توجَّه إلىٰ العراق قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلىٰ بني هاشم، أمّا بعد فإنه مَن لحق بي استشهد ومَن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح، والسلام»[1].

الفتح المهدوي:

وهو الفتح الوارد ذكره في قيام الإمام المهدي عجل الله فرجه ودولته، وذلك لأننا نعلم أن الإسلام جاءَ بخيرِ الدارين، هادفاً لإسعاد الإنسان والمجتمع في الحياة الدنيا وفي الآخرة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ

١. دلائل الإمامة: ١٨٨.

وَالْأَرضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

وقال الله تعالىٰ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وفي أمر الله عزّ وجلّ أن يأخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد الناس علىٰ المحجّة البيضاء، ويوصل لهم العلم والأحكام الكفيلة بسعادتهم أفراداً وجماعات ويقودهم بنفسه ويسير بهم بعصمته، فكانت الولاية علىٰ المسلمين بعد الله تعالىٰ للنبي صلى الله عليه وآله، ومن بعده لأوصيائه الأئمة المعصومين عليهم السلام كما هو نصّ آية الولاية: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥).

وقد بشّر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين بالحياة الكريمة التامّة والفتح المبين في كلّ الميادين، كما قال الله تعالىٰ في مثل ضربه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة: ٢٧).

وقال تعالىٰ بعد هذه الآية المُفسَّرة بزمان الإمام المهدي عجل الله فرجه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ (السجدة: ٢٧-٣٠).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يوم تفتح الدنيا علىٰ القائم عجل الله فرجه، لا ينفعُ أحداً تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه، ويعظم عند الله قدره وشأنه، وتُزخرف له يوم البعث جِنانه، وتحجب عنه نيرانه، وهذا أجرُ الموالين لأمير المؤمنين وذرّيته الطيّبين، صلوات الله عليهم أجمعين»[1].

١. تأويل الآيات ٢: ٤٤٥.

المفسّرون:

المشهور - استناداً لكثيرٍ من المفسّرين[١] - أن الفتح المذكور في سورة النصر الكريمة هو فتح مكة، والمستفاد من الروايات أنه فتح الإمام المهدي عجل الله فرجه كما سيأتي.

المناقشة:

أولاً: إن الوارد في بعض التفاسير[٢] أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فتح مكة بأكثر من عام، فكيف يكون المبشّر به سابقاً على البشارة؟

ثانياً: إن الناس لم يدخلوا في دين الله أفواجاً بعد فتح مكة، بل دخلوا طلقاءً، وكثير منهم دخل منافقاً مضطراً لإشهار إسلامه، وهم الذين عملوا على تقويض البناء الإسلامي من داخله، أمّا مَن هم خارج مكة فلم يسارعوا للدخول في الإسلام أفواجاً أيضاً، بل كانت هناك معركة حُنين العظيمة التي تجمّع فيها الكثير من القبائل للانتقام لفتح مكة، ومحاولة صد التمدّد الإسلامي الآتي بعد الفتح.

أهل البيت عليهم السلام:

إن سورة النصر هي آخر سورة نزلت على النبي صلى الله عليه وآله تبشّره بفتح شامل ودخول الناس في دينه كافة في مستقبل الأيام والسنين بعد وفاته صلى الله عليه وآله، لذا قال لجبرائيل عليه السلام بعد تبليغه إياه بالسورة: «يا جبرائيل نفسي قد نُعيت»[٣].

وعن علي عليه السلام قال: «لمّا نزلت على النبي صلى الله عليه وآله: ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال لي: يا علي إنه قد جاء نصر الله والفتح، فإذا رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً.

يا علي إن الله قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم جهاد المشركين معي.

---

١. كتفسير التبيان للشيخ الطوسي ١٠: ٤٢٥؛ الميزان ٢٠: ٣٧٦.

٢. كتفسير مقاتل بن سليمان ٣: ٥٣.

٣. المعجم الكبير للطبراني ٢: ٢٦٧٦.

فقلت: يا رسول الله وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟

قال: فتنة قومٍ يشهدون أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله، مخالفون لسنّتي وطاعنون في ديني.

فقلت: فعلام نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله؟

فقال: علىٰ إحداثهم في دينهم، وفراقهم لأمري، واستحلالهم دماء عترتي»[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال: نزلت بمنىٰ في حجة الوداع ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعيت إليّ نفسي»، فجاء إلىٰ مسجد الخيف فجمع الناس ثم قال: «... إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبّأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض، كإصبعَيَّ هاتين - وجمع بين سبّابتيه - ولا أقول: كهاتين - وجمع بين سبّابته والوسطىٰ - فتفضل هذه علىٰ هذه»[٢].

الخلاصة:

إن سورة النصر هي السورة الأخيرة في النزول علىٰ النبي صلى الله عليه وآله، نزلت في حجّة الوداع وهي تحمل التسلية لقلب النبي صلى الله عليه وآله والبشارة له ولأهل بيته والمؤمنين بحتميّة حصول الوعد الإلهي بالنصر الكامل وظهور الدين الحق علىٰ الدين كله ولو كره المشركون والمنافقون والظالمون، فيدخل الناس في دين الله أفواجاً، وما ذلك إلّا فتحٌ للدنيا علىٰ يد القائم عجل الله فرجه، الذي يملأها قسطاً وعدلاً بعدما مُلأت ظلماً وجوراً.

الآية الثانية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ﴾ (غافر: ٥١).

١. أمالي الشيخ المفيد: ٢٨٨.

٢. عنه تفسير البرهان ٥: ٥١٧.

المفسّرون:

ذكر بعضُ المفسّرين[١] أن نصرَ الله ﷻ لرسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا هو بالحُجّة، والغَلبة العسكريّة أحياناً، والنصر الثاني هو في يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد، والأشهاد هم الملائكة أو الأنبياء عليهم السلام، أمّا في حديث أهل البيت عليهم السلام - كما سيأتي - فإن الأشهاد هم الأئمّة عليهم السلام يقومون في الرجعة زمن الإمام المهدي عجل الله فرجه.

المناقشة:

أولاً: تتحدّث الآية الكريمة عن نصرين لله تعالىٰ لرسله والذين آمنوا، الأول ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي في أثناء حياتهم وجهادهم لتبليغ الرسالة الإلهية، وهو غلبةٌ ونصرٌ قطعي لقوله تعالىٰ:

﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ (محمد صلى الله عليه وآله: ٧).

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ ما كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتاهُمْ نَصْرُنا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللهِ وَلَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٤).

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠).

﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ﴾ (إبراهيم: ٤٧).

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً﴾ (الفرقان: ٣٧).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلىٰ قَوْمِهِمْ فَجاؤُوهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧).

---

١. تفسير التبيان ٢: ٧؛ مجمع البيان ٨: ٤٤٧.

﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ (غافر: ٢٢).

إذن نصرُ الله عزّ وجلّ لرسله في الحياة الدنيا وأثناء حياتهم المباركة حتميٌّ لأنه من أمرِ الله عزّ وجلّ ﴿وَاللهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

وهذا النصر إمّا بالغلبة العسكرية، كما جرىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله في معاركه وحروبه مع المشركين والأحزاب، وإمّا بإهلاك الأعداء كما حدث لموسىٰ وهارون ونوح ولوط وصالح عليهم السلام.

أمّا النصر الثاني في الآية الكريمة فهو خارج حياتهم، وهنا احتمالان:

١ - إن النصرَ الثاني إنما يكون يوم القيامة - كما ذكر بعض المفسرين - وهو وإن كان حاصلاً عند الحساب من حيث الحكم الإلهي بين العباد، إلّا أن الآية الكريمة تقصد الدنيا، لأن مفهوم النصر إنما يأخذ معناه كاملاً في الدنيا حيث ساحة المواجهة والصراع والتكليف والجهاد، أمّا في الآخرة فهو يوم حساب ولا عمل.

قال علي عليه السلام في خطبةٍ له: «وإن اليومَ عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل»[١].

٢ - إن النصرَ الثاني يكون في زمان الرجعة حيث عودة الأئمّة عليهم السلام إلىٰ الدنيا عند ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه ورجعة من محض الإيمان ومن محض الكفر.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلىٰ الدنيا الحسين بن علي عليهما السلام، وإن الرجعة ليست بعامّة بل هي خاصّة، لا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً»[٢].

وهذا التفسير للنصر الثاني هو الراجح فقد جاءت به أحاديث شريفة عن

١. نهج البلاغة ١: ٩٣.

٢. مختصر البصائر: ١٢٣.

أهل البيت عليهم السلام - كما سيأتي - حيث سيُنصرون برفع رايتهم وعقوبة أعدائهم في الدنيا قبل الآخرة.

ثانياً: يؤيد أن المراد من آية البحث النصر على أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام - الذي سيكون في الرجعة بالإضافة إلى يوم القيامة - الآية التالية لآية البحث قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (غافر: ٥٢).

لأن الاعتذار المشار إليه في الآية الكريمة يشمل الدنيا وزمن الظهور المبارك إن لم يكن منحصراً فيها، وهذه العقوبة ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ هي نفس عاقبة الذين نقضوا عهد الله تعالى بالطاعة والتسليم له ولمن نصّبه حجّة على الناس وتركوا الأئمة عليهم السلام وقطعوا صلتهم المأمور بها كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٥).

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام في الآية الكريمة قال: «إن رحم آل محمد معلّقة بالعرش يقول: اللهم صِل من وصلني، واقطع من قطعني، وهي تجري في كلّ رحم، ونزلت هذه الآية في آل محمد»[١].

أهل البيت عليهم السلام:

عن جميل الدرّاج عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قلت: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ﴾ (غافر: ٥١)؟

قال: «ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدنيا وقتلوا والأئمة بعدهم قتلوا ولم ينصروا، ذلك في الرجعة»[٢].

---

١. بحار الأنوار ٢٣: ٢٦٥.

٢. تفسير القمي ٢: ٢٥٨.

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ﴾ قال: «الحسين بن علي منهم، ووالله إن بكاكم عليه وحديثكم بما جرىٰ عليه وزيارتكم قبره نصرة لكم في الدنيا، فأبشروا فإنكم معه في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

إن قوله عليه السلام: «إن الحسين بن علي منهم» هو إشارة إلىٰ رجعته عليه السلام في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

الآية الثالثة: ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾:

قال الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

المفسّرون:

ذكر بعض المفسّرين[2] أن ﴿نُورَ اللهِ﴾ في الآية الكريمة هو نور القرآن والإسلام، وفي حديث أهل البيت عليهم السلام أنه الإمام والإمامة.

المناقشة:

أولاً: إن ﴿نُورَ اللهِ﴾ عز وجل في كثير من الآيات القرآنية هو الإمام عليه السلام كما في قوله تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ (النساء: ١٧٤).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام علىٰ محمد صلى الله عليه وآله بهذه الآية: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ في علي والبرهان رسول الله صلى الله عليه وآله».

١. تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٩٠.

٢. تفسير التبيان ٥: ٢٠٧ عن السدي.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ (النساء: ١٧٥) قال: «بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام»[١].

ثانياً: إن إطفاء النور المادي العادي ممكن باستعمال النفخ من الأفواه أو الآلات، أمّا نور الله عزّ وجلّ فلا يمكن أن يُطفأ بالأفواه لأنه ليس نوراً مادياً بل هداية، وعلىٰ رأسها إمامة جعلها الله عزّ وجلّ مناراً للناس ونوراً يمشون به، فالمراد هو معارضة المنافقين للإمامة بأفواههم وأقوالهم لأنها هي مرماهم الحقيقي من الدين وليس عموم الإسلام والقرآن.

إن حتميّة إتمام نور الله تعالىٰ تنطبق علىٰ حتميّة إتمام أمر الإمامة وقيام الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بولايتهم أكثر من إتمام نزول القرآن الكريم كما فسّروا، فالنزول واضح الحصول وسهل المنال ولا يستطيع أحدٌ إيقافه، أمّا الأئمة عليهم السلام فقد سعىٰ المنافقون لإزاحتهم عن مناصبهم الربّانية وإبعاد الناس عنهم وقتلهم ومحاولة قطع نسلهم فلا يبقىٰ لأهل هذا البيت من باقية كما حاولوا ذلك في كربلاء، وكما جرىٰ في ترقّب ولادة الإمام الثاني عشر عجّل الله فرجه ممّا اقتضىٰ أن يظهر الحَمل به في ليلة الولادة ليلة النصف من شعبان وتمّت بسريّة شديدة وأُخفي عن الأعداء لأن الله عزّ وجلّ ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

ومصطلح ﴿الْكَافِرُونَ﴾ في القرآن الكريم مفهوم مشكك له مراتب متعددة تشمل كلّ رادٍّ وتارك لأمر الله تعالىٰ من مشرك أو مسلم كما ورد في تارك الحج، قال تعالىٰ:

﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧)، وكذا تارك الشكر: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧).

١. تفسير فرات الكوفي: ١١٦.

ثالثاً: يؤيد أن المرادَ من إتمام نور الله عزّ وجلّ هو إتمام عدد الأئمة عليهم السلام وظهور قائمهم عليه السلام كما سيأتي في روايات الآية التالية لآية البحث قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: سألته...

قلت: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾؟

قال: «هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق».

قلت: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾؟

قال: «يظهره علىٰ جميع الأديان عند قيام القائم»[١].

أهل البيت عليهم السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام: «لن تخلو الأرض من حجّةٍ عالمٍ يُحيي فيها ما يُميتون من الحق».

ثم تلا هذه الآية: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨)[٢]، فالنور المراد إطفاءه هو الإمام والحجة والعالم عليه السلام وهو صاحب الأمر عجل الله فرجه.

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ والله لو تركتم هذا الأمر ما تركه الله»[٣].

إشارة إلىٰ نهاية الأمر الإلهي في تطبيق الدين يتركه من قبل الناس والله عزّ وجلّ لا يتركه حتّىٰ يتمّه علىٰ يد القائم عجل الله فرجه.

---

١. الكافي ١: ٤٣٢.

٢. بصائر الدرجات: ٥٠٧.

٣. بحار الانوار ٢٣: ٣٢٠.

وعن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾؟

قال: «﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم».

قلت: قوله تعالىٰ: ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾؟

قال: «يقول: ﴿وَاللهُ مُتِمُّ﴾ الإمامة، والإمامة هي النور وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]» قال: «النور هو الإمام»[١]، والإتمام يكون بنصر القائم عجل الله فرجه في آخر الزمان.

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: وعدنا أبو الحسن الرضا عليه السلام ليلة إلىٰ مسجد دار معاوية فجاء فسلّم فقال: «إن الناس قد جهدوا علىٰ إطفاء نور الله حين قبض الله تبارك وتعالىٰ رسوله صلى الله عليه وآله، وأبىٰ الله إلّا أن يتم نوره، وقد جهد علي بن أبي حمزة علىٰ إطفاء نور الله حين مضىٰ أبو الحسن الأول عليه السلام فأبىٰ الله إلّا أن يتم نوره، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس، فاحمدوا الله علىٰ ما منَّ عليكم به، إن جعفراً كان يقول: فمستقر ومستودع، فالمستقر: ما ثبت من الإيمان والمستودع: المُعار، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس فاحمدوا الله علىٰ ما منَّ عليكم به»[٢].

الآية الرابعة: ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾:

قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

---

١. الكافي ١: ١٩٦.

٢. قرب الإسناد-الحميري: ٣٤٧.

المفسّرون:

ذكر بعض المفسّرين[١] أن ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ في الآية الكريمة هي الآيات التي تضطر الناس للإيمان فلا ينفع الإيمان حينها، وفي الحديث أنه القائم عجل الله فرجه.

المناقشة:

أولاً: أن الآية الكريمة المكيّة هي وعيدٌ من الله عزّ وجلّ للمخالفين والرافضين والكافرين بالرد لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله، وهم هنا المنافقون أو المشركون على تقدير دخولهم في الإسلام مستقبلاً ونفاقهم، وذلك لعلم الله عزّ وجلّ بانتهاء مشكلة المشركين بعد فتح مكة وبروز فئة المنافقين أكثر مما كانت قبل الفتح وقيادتها الصراع مع النبي صلى الله عليه وآله لإفشال ما جاء به وإصرارها على إيقافه - لا أقل بعد وفاته - وذلك برفضهم ومخالفتهم وردّهم الأمر بولاية وطاعة علي والأئمة من ذريّته عليهم السلام، فتوعّدهم الله عزّ وجلّ بإحدى عواقب ثلاثة ودعاهم لانتظارها قائلاً: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾.

ومجيء الملائكة للناس إمّا عند الموت حيث كلّ منهم سيعلم مصيره، أو مجيء ملائكة العذاب إليهم في الدنيا.

والتفسير الثاني بعذاب الملائكة في الدنيا مُعارَضٌ بما ورد من رفع العذاب الشامل عن هذه الأمة مع وجود رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم ومع الاستغفار كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣).

أمّا قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ فهو بمعنى (آيات ربّك) بقرينة ما بعدها من الحالة الثالثة في الوعيد وهي قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾،

١. مجمع البيان ٤: ٢٠١.

حيث ذكر الكل ثم ذكر البعض من آيات ربك وبالتالي هي المراد من ﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾.

وآيات الله ﷻ إن أُريد بها آياته ودلائله في السماوات والأرض فلا يُعقل مجيئها كاملة في قِبال مجيء بعضها في الحالة الثالثة، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية الكريمة أن الآيات هم الأئمة المعصومون عليهم السلام وبعض الآيات هو الإمام المهدي عجل الله فرجه.

فيكون الوعيد للمنافقين بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ بمعنىٰ تأتي آيات ربّك أي الأئمة عليهم السلام وذلك بفشل المنافقين وخسارتهم عندما يحكم (لو قُدّر ووقع) بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أوصياؤه وخلفاؤه كما أراد الله ﷻ فيقيمون الحق والهُدىٰ ويقضون علىٰ الباطل والضلال المتمثل بالمنافقين علىٰ مدىٰ التاريخ الإسلامي وإلىٰ يوم القيامة.

ثم شرحت الآية الكريمة الحالة الثالثة في الوعيد وهي الأبعد في سياق العذابات الدنيوية المتوعّدة لهم والمدعوّون لانتظارها فقالت: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

والبعض إشارة للجزئيّة، ويُطلق علىٰ الفرد الواحد من مجموعةٍ كما علىٰ أفرادٍ منهم، وهنا هذا البعض من آيات الله ﷻ هو ما ورد من تفسيرٍ عن أهل البيت عليهم السلام أنه القائم عجل الله فرجه الذي يظهر فيحسم الصراع بين الحق والباطل ويقضي علىٰ النفاق والمنافقين، وهذا هو الوعيد الأخير الذي ينتظر المخالفين والمنافقين ﴿قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾.

ثانياً: يؤيد أن المنافقين موعودون بعذاب الخسارة والفشل والعقاب قول الله تعالىٰ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر: ٧٧).

فإمّا يشهد رسول الله صلى الله عليه وآله خسارتهم وإفشال مخططاتهم في حياته عندما يستجيب المسلمون جميعاً له في ولاية وصيّه علي عليه السلام وسقوط المنافقين وفشل كيدهم في زمانه، وهذا بعض ما يعدهم الله عزّ وجلّ من نصرة الحق بأئمة الحق وخذلان الكفر والنفاق، والباقي من الوعيد يكون بتولية أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده إلىٰ يوم القيامة.

وإن لم يفعل المسلمون ذلك ولم يكن النصر علىٰ المنافقين في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فسيؤجّل أمرُهم إلىٰ قيام الحجة القائم عجل الله فرجه ويُتوفّىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذلك، وهذا قوله تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وهذا ما صرّحت به بعض الروايات.

ففي تفسير علي بن إبراهيم ما يُفهم منه طبيعة الوعيد الإلهي للمنافقين بنصرة الحق علىٰ يد أئمة الحق: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من الرجعة وقيام القائم[1]. أي نقدر لك البقاء إلىٰ ذلك اليوم.

أهل البيت عليهم السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨) فقال: «الآيات هم الأئمة، والآية المنتظرة هو القائم عليه السلام، فيومئذٍ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ قيامه بالسيف وإن ﴿آمَنَتْ﴾ بمن تقدّمه من آبائه عليهم السلام»[2].

وعن أبي بصير قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ

١. تفسير القمي ١: ٣١٢.
٢. كمال الدين وتمام النعمة: ١٨.

مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً﴾ (الأنعام: ١٥٨) «يعني خروج القائم المُنتظر منّا»[١].

الآية الخامسة: ﴿أُمَّةٌ مَعْدُودَة﴾:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ (هود: ٨).

المفسّرون:

قال بعضُ المفسّرين: إن الأُمّة المعدودة هي الحينُ والزمان لقوله تعالىٰ: ﴿وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ...﴾ (يوسف: ٤٥)[٢] أي بعد حينٍ وزمان، والصحيحُ أنها في الإمام المهدي ﷺ وأصحابِهِ الثلاثمائة وثلاثة عشر.

المناقشة:

أولاً: أن الحينَ والزمانَ لا يوصفان بلفظِ العدد، فلا نقول: زمانٌ معدود، ولا: حينٌ معدود، وإنما يُذكران بالأجلِ أو السنين أو الشهور أو الأيام، في حين أن الأُمّة توصفُ بالعددِ لأنها مجموعة أفراد كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص: ٢٣).

ثانياً: أن هذا العذاب المؤجَّل والمؤخَّر في هذه الآيةِ الكريمةِ هو من عذابِ الدنيا وليسَ هو عذابَ الآخرة لأن يوم القيامة لا يوصف وقتُه بالأُمّةِ المعدودة.

وأيضاً لقولهم في نفس الآية: ﴿ما يَحْبِسُهُ﴾ (هود: ٨) فهو تحدٍ بانتظارِ عذابٍ دنيوي قريب، فيجيبُهم الله ﷻ: ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾.

فهو عذابٌ سيأتيهم في يومٍ من أيام الدنيا (وإن كان ينسجم أيضاً مع

١. تفسير نور الثقلين ١: ٧٨١.

٢. مجمع البيان ٢: ٥٣٨.

يـوم القيامـة أو المـوت وعـذاب القـبر)، إلّا أنـه هنـا عـذابٌ خـاصٌّ لهـذه الفئـةِ يتوعّدهـم الله بـه قريبـاً.

وهـذا ينسـجم مـع روايـات قيـام الإمـام المهـدي عجل الله فرجه الشريف ومـا يرافقـه مـن عـذاب للظالمـين، وليـس هنـاك مصـداقٌ آخـر في العـذاب يتوافـق مـع هـذا الوعيـدِ القريـب المحقّـق.

وهـو ليـس العـذاب السـماوي والإهـلاك العـام؛ لأنـه مرفـوعٌ عـن هـذهِ الأمـة لقولـه تعـالىٰ: ﴿وَمـا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُـمْ وَأَنْـتَ فِيهِـمْ وَمـا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُـمْ وَهُـمْ يَسْـتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣).

فلا يبقىٰ هناك إلّا العذاب الخاص بهذه الفئةِ علىٰ يدِ الأُمّةِ المعدودة.

أهل البيت عليهم السلام:

قال علي عليه السلام: «الأمة المعدودة أصحابُ القائمِ الثلاثمائة والبِضعَة عشر»[١].

وعـن الإمـام الباقـر عليه السلام قـال: «أصحـابُ القائـمِ عليه السلام الثلاثمائـة والبِضعَـة عـشر رجـلاً هُـم والله الأمّـة المعـدودة التـي قـال الله في كتابـه: ﴿وَلَـئِنْ أَخَّرْنـا عَنْهُـمُ الْعَـذابَ إِلىٰ أُمَّـةٍ مَعْـدُودَةٍ﴾»[٢].

وعـن أبي عبـد الله الصـادق عليه السلام قـال: «العـذابُ خـروجُ القائـمِ عليه السلام، والأمّـة المعـدودة عِـدّةُ أهـلِ بـدرٍ وأصحابـه»[٣].

الآية السادسة: ﴿يُنَادِ الْمُنَادِ﴾:

قـال الله تعـالىٰ: ﴿وَاسْـتَمِعْ يَـوْمَ يُنـادِ الْمُنـادِ مِـنْ مَـكانٍ قَرِيـبٍ ۝٤١ يَـوْمَ يَسْـمَعُونَ الصَّيْحَـةَ بِالْحَـقِّ ذلِـكَ يَـوْمُ الْخُـرُوجِ ۝٤٢ إِنَّـا نَحْـنُ نُحْـيِي وَنُمِيـتُ وَإِلَيْنَـا الْمَصِيرُ ۝٤٣ يَـوْمَ تَشَـقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُـمْ سِراعاً ذلِـكَ حَـشْرٌ عَلَيْنـا يَسِـيرٌ﴾ (ق: ٤١-٤٤).

---

١. بحار الأنوار ٥١: ٤٤.

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ٥: ١٦٨.

٣. غيبة النعماني: ٢٤٧.

المفسّرون:

ذكر بعض المفسّرين[١] أن النداءَ المذكور في الآية الكريمة هو ليوم القيامة، وأن الصيحة هي ليوم الخروج في يوم القيامة، فيما ورد عن الأئمة عليهم السلام أنه يوم خروج القائم عجل الله فرجه والرجعة.

المناقشة:

أولاً: أن النداء في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هو صوت يوجه لمستمعٍ أو مستمعين بأمرٍ معيّن، وقد بدأت الآية الكريمة بقوله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ أي انتظر سماع نداءٍ، وهذا غير الصيحة السماوية العامة للخلائق كافة للقيام في ساحة الحساب كما في قوله تعالىٰ:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾ (الكهف: ٩٩).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (يس: ٥١).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ (ق: ٢٠).

فهناك فرقٌ يلوح بين النداء والمنادي في الآية الكريمة والنفخ في الصور الجامع للخلائق.

ثانياً: قوله تعالىٰ عن محلِّ المنادي أن النداء يكون ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من المُنادىٰ، ونفخة إسرافيل في الصور ستكون حيث يسمع من في السماوات ومن في الأرض. فهي وإن كانت قريبة أيضاً لكل الناس إلّا أن القرب المكاني من المنادىٰ يشعر (توافقاً مع الرواية التي ذكرت الرجعة) أن المراد المقابر والحشر الجزئي في الرجعة.

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ

١. تفسير التبيان ٩: ٣٧٥.

مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ «يعنىٰ صخرة بيت المقدس، سمّاها مكاناً قريباً لأنها أقرب من سائر الأرضين إلىٰ السماء بثمانية عشر ميلاً، فيقوم مَلَك عليها وينادي: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المقطعة، إن الله يأمركم أن تُجمعن لفصل القضاء والأرض المقدّسة»[١].

وهي ليست أرض القيامة بل في عالم الدنيا.

ويؤيده قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقالُوا آمَنَّا بِهِ...﴾ (سبأ: ٥١-٥٢).

في تفسير العياشي: ﴿وَقالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ يعني القائم من آل محمد[٢].

ثالثاً: أن قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ (ق: ٤٢) يشيرُ إلىٰ صيحةٍ بكلامٍ ونداءٍ محتواه حق، وليست هي نفخة صورٍ صاعقة وجامعة للخلائق، وهذا يوافق ما ورد من علامات الظهور المبارك لإمامنا عجل الله فرجه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني»[٣].

وعنه عليه السلام في النداء قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار: ألا إن الحق في السفياني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون»[٤].

إن الحق في ذكر محمد هو الحق الذي جاءت به الصيحة.

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «ينادي مناد باسم القائم عليه السلام».

قلت: خاصٌّ أو عام؟

١. روضة الواعظين: ٤٠٨.
٢. تفسير العياشي ٢: ٥٧.
٣. الكافي ٨: ٣١٠.
٤. كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٦٥٢.

قال: «عامٌّ يسمع كلّ قوم بلسانهم».

قلت: فمن يخالف القائم عليه السلام وقد نودي باسمه؟!

قال: «لا يدعهم إبليس حتىٰ ينادي في آخر الليل ويشكّك الناس»[١].

وعنه عليه السلام قال: «الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»[٢].

وعنه عليه السلام قال: «صوت جبرائيل من السماء، وصوت إبليس من الأرض فاتبعوا الصوت الأول، وإياكم والأخير أن تفتتنوا به»[٣].

رابعاً: قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ يعني خروج الأموات من القبور، وهو خروج جزئي لمن محض الإيمان ليشهد يوماً عظيماً من أيام الله عزّ وجلّ، ومن محض الكفر ليُحاسب ويُعاقب العقاب الدنيوي، وذلك في الرجعة يوم قيام الإمام المهدي عجّل الله فرجه.

ويؤيد أن المراد من ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ خروج الأموات من القبور في الدنيا الآيتان التاليتان لها، الأولىٰ تدفع الاستغراب من حصول ذلك بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ (ق: ٤٣).

ثم الآية التالية تصف ذلك الخروج الجزئي: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق: ٤٤).

وجاءت لفظة الحشر بالتنكير الموحي بالجزئيّة والصغر ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ لا تستغربوا له، وهو غير الحشر العام كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٩).

---

١. كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٦٥٠.

٢. المصدر السابق.

٣. كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٦٥٢.

الخلاصة:

يظهر أن النداء السماوي في الآية الكريمة ليس نداءً وصيحة ليوم القيامة بل هو لمنادٍ من مكانٍ قريبٍ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ (ق: ٤٢) باسم القائم عليه السلام، وفي ذلك اليوم تكون الرجعة والقيامة الصغرىٰ والحشر اليسير.

أهل البيت عليهم السلام:

عن جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)؟

قال: «ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء الله كثيراً لم يُنصروا في الدنيا وقتلوا، وأئمة قد قتلوا ولم ينصروا، فذلك في الرجعة».

قلت: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١-٤٢]؟

قال: «هي الرجعة»[١].

وعنه عليه السلام قال: «... إن قدّام هذا الأمر خمس علامات: أولاهن النداء في شهر رمضان وخروج السفياني، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكية، وخسف بالبيداء ولا يخرج القائم حتىٰ ينادىٰ باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ليلة جمعة باسمه واسم أبيه، ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه، فلا يبقىٰ شيء من خلق الله فيه الروح إلّا يسمع الصيحة، فتوقظ النائم ويخرج إلىٰ صحن داره، وتخرج العذراء من خدرها، ويخرج القائم ممّا يسمع، وهي صيحة جبرئيل عليه السلام»[٢].

الآية السابعة: ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (يونس: ٤٦).

١. مختصر بصائر الدرجات: ١٨.

٢. الغيبة للنعماني: ٣٠١.

المفسّرون:

ذكر بعض المفسّرين[١] أن وعيد الله عزّ وجلّ للكافرين والمنافقين في الآية الكريمة هو من أنواع العذاب الدنيوي ومعركة بدر، والمستفاد من الحديث هو ما يُصاب به المنافقون من خسارة وعقوبة عندما تفشل مخططاتهم وينتصر الحق بإمام الحق رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه علي عليه السلام في زمانه، أو بقيّة أوصيائه عليهم السلام وآخرهم المهدي عجل الله فرجه بعد وفاته.

المناقشة:

أولاً: جاء تطييب قلب النبي صلى الله عليه وآله بذكر التهديد لأعدائه بإمكان إيقاع عقوبة الكافرين والمنافقين في زمانه ببعض ما توعّدهم به الله عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة وآيات أخرىٰ، كما قوله تعالىٰ:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر: ٧٧).

﴿وَإِنْ ما نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسابُ﴾ (الرعد: ٤٠).

﴿وَإِنَّا عَلىٰ أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٥).

وهذا يُشير إلىٰ أهميّة هذا الوعيد، وإلىٰ شدّة أذىٰ هؤلاء الأعداء للرسول صلى الله عليه وآله وعلىٰ رأسهم المنافقون لأنهم هم العدو الحقيقي والأخطر.

وهذا العذاب الموعودون به لا يكون بنزول بعض العذاب الدنيوي والحياتي العادي والمادي عليهم دون بقية المسلمين والناس، فالمراد عذابهم بفشلهم وإحباط مؤامراتهم وفضحهم وانتهاء شرّهم بين المسلمين وعقابهم علىٰ يد إمام الحق، وذلك بنجاح ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والتي هي مرمىٰ سهامهم وموضع بغضهم وحقدهم وحسدهم وكيدهم، أو انتهاء الأمر بظهور القائم عجل الله فرجه ومعاقبتهم للظالمين والمنافقين.

---

١. تفسير التبيان ٦:٢٦٤.

ثانياً: يؤيد أن الآية الكريمة تشير إلىٰ زمن النبي صلى الله عليه وآله وحكم الأئمة عليهم السلام المفترض كلٌّ في زمانه قوله تعالىٰ بعدها: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس: ٤٧).

عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ قال: «تفسيرها في الباطن أن لكلِّ قرنٍ من هذه الأمة رسولاً من آل محمد يخرج إلىٰ القرن الذي هو إليهم رسول، وهم الأولياء وهم الرسل»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ قال: «أي في كلِّ قرنٍ إمامٌ يدعوهم إلىٰ طريق الحق»[٢].

ووجود الإمام في كل زمان وعمله الرباني هو بحدّ ذاته عقوبة.

ثالثاً: يؤيد أن الوعيد الإلهي للمنافقين هو حكم الأئمة عليهم السلام المفترض ومنهم الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه، قول الله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في الآية الكريمة: «الآيات هم الأئمة، والآية المنتظرة هو القائم عليه السلام، فيومئذٍ ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدّمه من آبائه عليهم السلام»[٣].

---

١. مستدرك سفينة البحار ١: ١٩٢.

٢. مستدرك سفينة البحار ٤: ١٣٦.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ١٨.

أهل البيت عليهم السلام:

تفسير علي بن إبراهيم: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من الرجعة وقيام القائم[١].

الآية الثامنة: ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (السجدة: ٢١).

المفسّرون:

ذكر بعض المفسّرين[٢] أن ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ هو مصائب الدنيا، أو عذاب القبر، في حين ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عذاب الرجعة.

المناقشة:

أولاً: إن الآية الكريمة تذكرُ وعيداً من الله عزّ وجلّ للفاسقين الذين تقدّم ذكرهم في الآية السابقة لآية البحث بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة: ٢٠).

وبالتالي هو عذابٌ خاص، أما مصائب الدنيا فهي من شؤونها الطبيعيّة وهي لكلّ الناس المؤمن والكافر ولا يصدق عليها أنها عذابٌ موعود، وقد لا يجد الفاسقون فيه ردعاً عن ضلالهم عادة ولا يرجعون.

أمّا تفسير ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ بعذاب القبر فهو غير صحيح أيضاً لأنه لا رجعة فيه للمعذّبين - وهم في عالم البرزخ - إلىٰ الدنيا وإلىٰ دينهم، فلا ينطبق عليه قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ كهدفٍ للعذاب.

---

١. تفسير القمي ١: ٣١٢.

٢. مجمع البيان ٨: ١١٠.

ثانياً: أن قوله تعالىٰ: ﴿الْعَذابِ الْأَدْنىٰ دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ﴾ يشيرُ إلىٰ قرب هذا العذاب إلىٰ الفاسقين في الحياة الدنيا لأنه أدنىٰ، وأيضاً قلّته بالنسبة إلىٰ العذاب الأكبر يوم القيامة فهو دونه، واتحاد الاسم للوعيدين بقوله تعالىٰ: ﴿الْعَذابِ﴾ يشير إلىٰ التشابه بينهما، فالعذابان هما عقوبتان إلهيّتان لمستحقين، وبما أن عذاب يوم القيامة يكون بعد حساب ومحاكمة واستحقاق، فكذلك في عصر الرجعة يكون عذاب الفاسقين والمنافقين بعد حساب ومحاكمة واستحقاق.

ثالثاً: يشير قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلىٰ الهدف من هذا العذاب وهو احتمال ورجاء توبتهم ورجوعهم عن الفسق والانحراف إلىٰ الحق والإيمان، ولعلّ هذا العذاب ناظرٌ لأئمتهم - ممّن سينالهم العذاب وإقامة الحد - والرجوع هو لأتباعهم في الواقع الخارجي العملي، وربّما المقصود ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بعد معرفتهم بهذا الوعيد وهم في ذلك الزمن.

رابعاً: ويؤيد أن الآية الكريمة تشيرُ إلىٰ الرجعة قوله تعالىٰ في الآيات التالية لها - بعد بضع آيات - من السورة قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة: ٢٧).

وهو مثلٌ يشير إلىٰ إحياء أمر الدين والحق بعد الخراب كما هو إحياء الأرض الخراب فجاء سؤال المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (السجدة: ٢٨).

فأجابهم تعالىٰ بقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (السجدة: ٢٩).

ثم قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ (السجدة: ٣٠).

عن ابن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (السجدة: ٢٩) قال:

«﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يوم تفتح الدنيا على القائم لا ينفع أحداً تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه، ويعظم عند الله قدره وشأنه، وتُزخرف له يوم البعث جنانُه، وتُحجب عنه نيرانُه، وهذا أجرُ الموالين لأمير المؤمنين وذرّيته الطيّبين صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

وقال علي بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ (السجدة: ٢٧) قال: الأرض الخراب، وهو مثل ضربه الله عزّ وجلّ في الرجعة والقائم صلوات الله عليه، فلمّا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بخبر الرجعة قالوا: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهذه معطوفة على قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فقال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝٢٩ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد ﴿وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾[٢].

أهل البيت عليهم السلام:

قال المفضّل للإمام الصادق عليه السلام في حديثٍ: يا مولاي ما ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ وما ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾؟

قال عليه السلام: «﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الرجعة ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب يوم القيامة الذي يبدّل فيه الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهّار»[٣].

الآية التاسعة: ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾:

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا

١. تأويل الآيات ٢: ٤٤٥.

٢. تفسير نور الثقلين ٤: ٢٣٣.

٣. الهداية الكبرىٰ-الحسين بن حمدان الخصيبي: ٤١٨.

رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ (مريم: ٧٥).

المفسّرون:

ذكر بعض المفسّرين أن ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ في الآية الكريمة هو عذاب الاستئصال في الدنيا ولمشركي قريش هو معركة بدر، وفي الحديث الشريف أن ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ هو خروج القائم من آل محمد عليه السلام والعذاب ما ينزل بهم على يديه.

المناقشة:

أولاً: أن الآية الكريمة تتحدّث عن الضالّين، والضالّون هم المشركون والمنافقون، فكلّهم في ضلال مبين، ولا دليل على إرادة المشركين منهم خاصّة لا في الآية الكريمة ولا في الحديث الشريف، فيما هناك قرائن ومرجّحات فيها تؤكّد إرادة المنافقين أيضاً.

فالمشركون عبدة الأصنام كفئة ضالّة انتهى خطرها ووجودها في صدر الإسلام، وما إن فُتحت مكّة وانتصر المسلمون في معركة حُنين بعد الفتح انكسرت شوكتهم في الجزيرة العربية واتجهوا نحو الاضمحلال حتى انتهت مشكلتهم في السنين الأولى من تاريخ الإسلام والمسلمين فما أضعف مقولة وفعل عبادة الأصنام أمام الإسلام الدين الإلهي العظيم.

أمّا المنافقون فقد بدأت مشكلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله والإسلام منذ السنين الأولى واستمرّت محتلّة المرتبة الأولى في العداء للحق وأهله حتى قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: ٤).

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم تحدّث عن المنافقين كثيراً ومنه سورة سمّيت باسمهم، ومن ذلك الوعيد الإلهي لهم في مواجهة عدائهم المستمر عبر التاريخ حتىٰ نهايته بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وذلك في قوله تعالىٰ في آية البحث: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾.

ثانياً: جاء في تفسير قوله تعالىٰ في الآية: ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ عن الإمام الصادق عليه السلام أن الساعة هي ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه فيكون عذابهم الموعود إنما هو علىٰ يد الإمام عجل الله فرجه.

ويؤيده قوله تعالىٰ فيها: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ بما يشير إلىٰ أن الموقف سيكون فيه طرفان جهة حق وجهة باطل وجندٌ أقوىٰ وجندٌ أضعف، وهذه الأوصاف تنطبق علىٰ مرحلة قيام الإمام المهدي عجل الله فرجه أكثر من يوم القيامة، فلا مقارنات مكانة ولا جُند في ساعة وساحة المحشر.

ومن هنا جاءت الآية التالية لآية البحث مشيرةً لدور الإمام المهدي عجل الله فرجه في هداية الناس في حكمه ودولته، قوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًىٰ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾.

عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت: قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًىٰ﴾؟ قال: «يزيدهم ذلك اليوم هُدىٰ علىٰ هُدىٰ باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه»[1].

ثالثاً: يؤيد أن يوم ظهور القائم عجل الله فرجه هو وعيد إلهي بمعاقبة الضالين والمنافقين وتاركي ولاية أهل البيت عليهم السلام قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ

١. الكافي ١: ٤٣١.

آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

عن أبي بصير قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾: «يعني خروج القائم المُنتظر منّا»[١].

رابعاً: ويؤيد ذلك أيضاً قوله الله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (يونس: ٤٦).

عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديثٍ: «... وأمّا النصّاب من أهل القبلة فإنهم يُخَدُّ لهم خدٌّ إلىٰ النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم اللهب والشرر والدخان وفورة الحَميم إلىٰ يوم القيامة، ثم بعد ذلك مصيرهم إلىٰ الجحيم ﴿فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أين إمامكم الذين اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله إماماً؟!

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾»[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من الرجعة وقيام القائم[٣].

أهل البيت عليهم السلام:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثٍ قال: ... قلت: قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾؟

١. تفسير نور الثقلين ١: ٧٨١.
٢. تفسير نور الثقلين ٤: ٥٣٥.
٣. تفسير القمي ١: ٣١٢.

قال: «كلّهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا فكانوا ضالّين مُضلّين، فيمدّ لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتىٰ يموتوا فيصيّرهم الله شرّاً مكاناً وأضعف جنداً».

قلت: قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾؟

قال: «أمّا قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ فهو خروج القائم وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله علىٰ يدي قائمه، فذلك قوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ يعني عند القائم ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾»[1].

خاتمة:

هذه بعض الآيات الكريمة التي ذكرت وأشارت إلىٰ أن القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله ضرورة في حركة الدين ونصر الإيمان والمؤمنين في آخر الزمان، وهناك آيات أخرىٰ في ذلك.

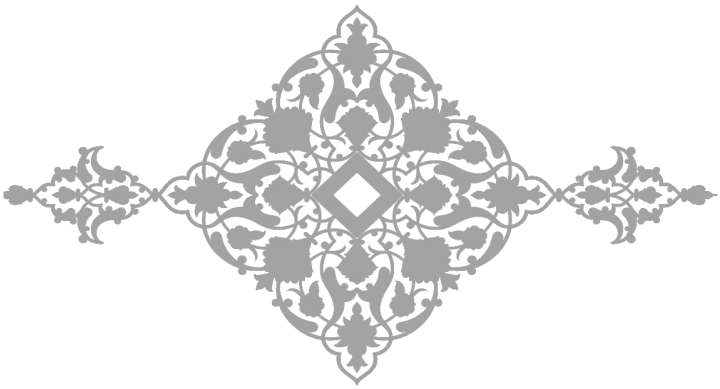

١. الكافي ١: ٤٣١.

ALMAUOOD

الأبواب والسفراء
موقعهم من العقيدة ودورهم في
دولة أهل البيت عليهم السلام

الشيخ حسن الكاشاني

ما هو منصب السفارة والبابية؟

كلام أهل اللغة:

قال الخليل: (السفير: رسول بعض القوم إلىٰ قوم)[1].

وقال الجوهري: (السفير؛ الرسول المصلح بين القوم)[2].

قال الطريحي: (قوله تعالىٰ: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦] السَفَرَة بالتحريك؛ الملائكة الذين يسفرون بين الله وأنبيائه... يقال سفرت بين القوم: إذا مشيت بينهم بالصلح، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديبه كالسفير الذي يصلح بين القوم. وقيل الأصل في ذلك السفر، وهو كشف الغطاء لأن السفرة يؤدون الكتاب إلىٰ الأنبياء والمرسلين ويكشفون به الغطاء عما التبس عليهم ومن الأمور المكنونة حقائقها... والسفير والرسول بين القوم يزيل ما بينهم من الوحشة فعيل بمعنىٰ فاعل، والسفارة بالكسر والرسالة فالرسول والكتاب مشتركة في كونها سافرة عن القوم بما اشتبه عليهم)[3].

١. كتاب العين: ج٧، ص٢٤٦.

٢. تاج اللغة وصحاح العربية: ج٢، ص٦٨٦.

٣. مجمع البحرين، باب راء ما أوله السين: ج٣، ص٣٣٢.

تحليل كلام أهل اللغة:

يستفاد من كلام اللغويين جملة من الأمور:

الأول: أنّ السفير هو الذي تختاره الجهة المرسِلَة لأداء مهمة معيّنة. فتكون السفارة منصباً رسمياً تنصيبياً.

الثاني: أنّ السفير يُزوَّد بالاطلاع على قرارات وأنباء، لا يتيسّر لعموم الناس الاطلاع عليه. فهو يكشف الغطاء عما كان مكنوناً عن متناول أيدي الناس.

الثالث: السفير تكون له المرجعية في رفع اللبس والاشتباه، ويكون قوله هو القول الفصل في موارد الاشتباه والاختلاف، بحكم تزويده بقناة خاصة تربطه بالجهة التي أرسل من قبلها.

الرابع: أنّ السفير له صلاحية ومنصب الناطق الرسمي عن الجهة التي أرسل من قبلها، فكلامه يُحسب على تلك الجهة. وهذا بخلاف غيره الذي لا تعدو حجية كلامه عن كونه راوياً. فحجية كلام السفير ليست من أجل كونه راوياً، بل إنّه يمثّل الناطق الرسمي عن تلك الجهة، فحجية كلامه توازي حجية الجهة التي ينطق عنها.

فحينما ينطق الناطق الرسمي عن دولة معيّنة، فلا تكون حجية كلامه متوقفة على إثبات وثاقته فحسب، ليكون من باب حجية كلام الراوي. بل إنّ المواقف الرسمية للدولة تُعرَف من خلال كلامه.

الخامس: من وظائف الجهة التي يمثّلها السفير، أن يراقب سفيره دائماً ويراقب مواقفه وكلماته، حيث إنّه محسوب عليها. ويكون الاعتماد على هذا الإشراف والمراقبة الدائمة. وإذا تصرّف بما لا ترضى عنه تلك الجهة فعليها أن تنبّه على ذلك وترفع اللبس، وبخلاف ذلك يكون محسوباً عليها.

مقام الباب:

وقد عُبّر عن منصب السفير بمنصب الباب. وهو اصطلاح قرآني استخدمه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا واسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ﴾ (الأعراف: ٤٠).

والمراد من أبواب السماء، منافذ صعود الأعمال إلىٰ الله تعالىٰ وهبوط الرحمة منه. فهي ليست أبواباً مادية وجسمانية، بل وسائط تربط العبد بالمولىٰ جل جلاله. كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِها﴾ (الأعراف: ١٨٠) فهذه الأسماء تكون وسائط للدعاء والتوجه إلىٰ الله تعالىٰ. فالمحصّل من الآية الشريفة: أنّ الناس محجوبون عن الغيب والسماء ومقام القرب الإلهي، إلّا من خلال أبواب تربطهم بها، وهذه الأبواب مغلقة في وجه المكذّبين بآيات الله والصادّين عنها.

وقال تعالىٰ في موضع آخر: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها ولكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾ (البقرة: ١٨٩).

والآية ظاهرة في أنّ هنالك أبواباً للدخول في بيت الإيمان والبر والعلم، فمن رام الدخول في بيوت الإيمان والدين والعلم والمعرفة من ظهورها، فإنه لن يدخلها وأنّ محاولته هذه لا تُعدّ براً ولا خيراً ولا يشكر عليها.

ثمّ لا تكون هذه الأبواب اقتراحية من الداخلين في الدار، بل اصطفائية من قبل صاحب الدار.

وفي الأخبار:

ففيما رواه الفريقان قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وعَلِيٌّ بَابُهَا وهَلْ تُدْخَلُ المَدِينَةُ إِلَّا مِنْ بَابِهَا»[1].

١. أمالي الصدوق: ٣٤٥.

وقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «الأَوْصِيَاءُ هُمْ أَبْوَابُ الله عزّ وجلّ الَّتِي يُؤْتَىٰ مِنْهَا، ولَوْلَاهُمْ مَا عُرِفَ اللهُ عزّ وجلّ، وبِهِمُ احْتَجَّ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ»[١].

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ [أي الراوي]: سَأَلْتُهُ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ولكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِهَا﴾. فَقَالَ: «آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَبْوَابُ اللهِ وسَبِيلُهُ والدُّعَاةُ إِلَىٰ الجَنَّةِ والقَادَةُ إِلَيْهَا والأَدِلَّاءُ عَلَيْهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ»[٢].

ومعنىٰ كونهم عليهم السلام أبواب الله تعالىٰ، أنّهم حاملون للعلم الإلهي، وقد أورثهم الله تعالىٰ الكتاب المكنون الذي لا يمسّه إلّا المطهّرون. فمن أراد الوصول إلىٰ الله تعالىٰ أو أن ينال حقائق كتاب الله تعالىٰ المكنونة، فلا سبيل له إلّا أن يرجع إلىٰ العترة من آل محمد عليهم السلام.

إنّ الباب حينما يكون منصوباً ومجعولاً من قبل الله تعالىٰ، فهذا يعني تصاعد درجة الحجية فيه، فتكون حجية كلامه بدرجة حجية كلام الله تعالىٰ، ومحسوباً عليه. فإنّه الناطق الرسمي عن الله تعالىٰ، ويستعلم مواطن رضىٰ الله تعالىٰ وسخطه من خلال مواقفه وأقواله وآرائه. وليس كراوٍ سمع مقالاً، فرواه للآخرين.

منصب الباب والسفير للأئمة عليهم السلام:

كان الأئمة الهداة عليهم السلام أبواب الله عزّ وجلّ، وأبواباً لمدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله، وفي نفس الوقت كانوا يختارون لأنفسهم أبواباً آخرين. وهذه الأبواب كانت تؤدي دور السفير في مهمات مختلفة اقتضت اختيار شخص يمثّل الإمام فيها.

ومن هنا، فإنّ منصب الباب والسفير يكون علىٰ درجات متفاوتة سعة وضيقاً وشدة وضعفاً. فقد يخوّل الباب مسؤولية محدودة أو صغيرة، وقد يكون

١. الكافي: ج١، ص١٩٣.

٢. بحار الأنوار: ج٢، ص١٠٤ عن تفسير العياشي.

أكثر من ذلك، كما أنّه قد يكون لبعض الأئمة أكثر من باب في زمان واحد.

ومن هنا، كان الأئمة عليهم السلام أحياناً يختارون لأنفسهم أبواباً وسفراء، ذوي صلاحيات محدودة وفي بعض الظروف. وهؤلاء السفراء كانوا يتمتّعون بصلاحيات مختلفة. ولكن كانت لديهم قنوات خاصّة تربطهم بالإمام عجل الله فرجه، وكان الإمام هو المُشرِف على عمله، ومنه استُمِدَّت شرعيتهم، وكان لهم القول الفصل وحجيّة تفوق حجيّة الراوي في منطقة سفارتهم.

بعض أبواب الأئمة عليهم السلام:

ولنشر فيما يلي إلى بعض أبواب الأئمة عليهم السلام:

١ - سلمان المحمدي رحمه الله:

روى الكشي بسنده عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادٍ المَرْوَزِيِّ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: فِي الخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ فِيهِ أَنَّ سَلْمَانَ كَانَ مُحَدَّثاً، قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ مُحَدَّثاً عَنْ إِمَامِهِ لَا عَنْ رَبِّهِ، لِأَنَّهُ لَا يُحَدِّثُ عَنِ اللهِ عزّ وجلّ إِلَّا الحُجَّةُ»[1].

يظهر من الخبر أنّ تحديث سلمان عن الإمام لم يكن بنمط الرواية التي يرويها أي واحد من الرواة، حيث قورن بتحديث الإمام عن الله تبارك وتعالى. فالتحديث يكون بنمط غيبي غير ظاهر لعامة الناس. ويرجع ذلك إلى أنّ المخالفين كانوا يتّهمون الشيعة بالغلو في أهل البيت عليهم السلام، وأنّهم اتّخذوهم أرباباً من دون الله تعالى، وأنّهم ينزلون بالوحي على أوليائهم كسلمان، ليكون سلمان نبياً عن الإمام حسب زعمهم.

فهذه الإثارة تأتي بعد ما ارتكز مصطلح المحدَّث عند المسلمين فيمن يرتبط بالغيب ويحدِّثه الملك عن الله تعالى. وأمّا لو كان المحدَّث بمعنى الذي يحدّث عن الإمام فيما سمعه عنه كسائر المحدثين والرواة، فلا وجه للاستغراب والإثارة.

---

١. رجال الكشي: ص١٥، ح٣٤.

ونحن نرىٰ أنّ الإمام عليه السلام لم ينف وجود هذه القناة الغيبية، بل نبّه إلىٰ أنّ هذه القناة ليست تربط سلمان بالله تعالىٰ، بل تربطه بإمامه. حيث إنّ أهل البيت هم أبواب الله حصراً وليس غيرهم.

ويؤيّد هذا بل يدلّ عليه ما رواه الكشي أيضاً:

في الموثق عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «كَانَ والله عَلِيٌّ مُحَدَّثاً وكَانَ سَلْمَانُ مُحَدَّثاً»، قُلْتُ اشْرَحْ لِي! قَالَ: «يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً يَنْقُرُ فِي أُذُنِهِ يَقُولُ كَيْتَ وكَيْتَ»[1].

وروىٰ الكشي عن جِبْرِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الآدَمِيُّ سَهْلُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُنَخَّلٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «دَخَلَ أَبُو ذَرٍّ عَلَىٰ سَلْمَانَ وهُوَ يَطْبُخُ قِدْراً لَهُ، فَبَيْنَا هُمَا يَتَحَدَّثَانِ إِذَا انْكَبَّتِ القِدْرُ عَلَىٰ وَجْهِهَا عَلَىٰ الأَرْضِ، فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْ مَرَقِهَا ولَا مِنْ وَدَكِهَا شَيْءٌ، فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَبُو ذَرٍّ عَجَباً شَدِيداً، وأَخَذَ سَلْمَانُ القِدْرَ فَوَضَعَهَا عَلَىٰ حَالِهَا الأَوَّلِ عَلَىٰ النَّارِ ثَانِيَةً. وأَقْبَلَا يَتَحَدَّثَانِ، فَبَيْنَا هُمَا كَذَلِكَ إِذَا انْكَبَّتِ القِدْرُ عَلَىٰ وَجْهِهَا، فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ مَرَقِهَا ولَا مِنْ وَدَكِهَا». قَالَ: «فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وهُوَ مَذْعُورٌ مِنْ عِنْدِ سَلْمَانَ. فَبَيْنَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ إِذْ لَقِيَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَىٰ البَابِ، فَلَمَّا أَنْ بَصُرَ بِهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ عِنْدِ سَلْمَانَ، ومَا الَّذِي أَذْعَرَكَ؟ قَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رَأَيْتُ سَلْمَانَ صَنَعَ كَذَا وكَذَا فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ!

فَقَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام: يَا أَبَاذَرٍّ إِنَّ سَلْمَانَ لَوْ حَدَّثَكَ بِمَا يَعْلَمُ لَقُلْتَ رَحِمَ اللهُ قَاتِلَ سَلْمَانَ، يَا أَبَاذَر، إِنَّ سَلْمَانَ بَابُ الله فِي الأَرْضِ، مَنْ عَرَفَهُ كَانَ مُؤْمِناً ومَنْ أَنْكَرَهُ كَانَ كَافِراً، وإِنَّ سَلْمَانَ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ»[2].

١. رجال الكشي: ص١٥، ح٣٦.

٢. رجال الكشي: ص١٤، ح٣٣.

حيث إنّ الباب احتلّ المنصب الرسمي، فيكون إنكاره إنكاراً لمن نصبه في ذلك المنصب، والإقرار به إيماناً. وهذا سرّ تولي السفير والتبري من أعدائه ومخالفيه.

كما روىٰ الشيخ في التهذيب في زيارة سلمان المحمدي رحمه الله:

أَتَيْتُكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ زَائِراً قَاضِياً فِيكَ حَقَّ الإِمَامِ وشَاكِراً لِبَلَائِكَ فِي الإِسْلَامِ، فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي خَصَّكَ بِصِدْقِ الدِّينِ ومُتَابَعَةِ الخَيِّرَيْنِ الفَاضِلَيْنِ أَنْ يُحْيِيَنِي حَيَاتَكَ وأَنْ يُمِيتَنِي مَمَاتَكَ ويَحْشُرَنِي مَحْشَرَكَ وعَلَىٰ إِنْكَارِ مَا أَنْكَرْتَ ومُنَابَذَةِ مَنْ نَابَذْتَ والرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ خَالَفْتَ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ فَكُنْ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ شَاهِداً لِي بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ عِنْدَ إِمَامِي وإِمَامِكَ صلى الله عليه وآله[1].

من الواضح أنّ التولي والتبري لا يمكن أن يناط بموقف مؤمن أو ولي أو راو أو فقيه، مهما عظم مقامه وعلا قدره.

إنّ الثابت من سيرة الشيعة أنّهم يركنون للحجج والأدلّة وليس الأشخاص، اللهم إلّا أن يكون معصوماً أو من ضمّنه المعصوم وتكفّل بهدايته وأيّده بما يعصمه من الزلل.

فهذه دلائل علىٰ ما نبّهنا عليه من لزوم الرقابة والإشراف الدائم علىٰ الباب والسفير، حيث إنّ مواقفه تكون محسوبة علىٰ الجهة التي يمثلها.

٢ - حمران بن أعين:

وممن ذكرهم الشيخ في الغيبة في باب السفراء الممدوحين: حمران بن أعين، واستشهد لذلك بما رواه بسنده:

عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وذَكَرْنَا حُمْرَانَ بْنَ أَعْيَنَ فَقَالَ: «لَا يَرْتَدُّ واللهِ أَبَداً ثُمَّ أَطْرَقَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ أَجَلْ لَا يَرْتَدُّ واللهِ أَبَداً»[2].

١. تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٨.

٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٣٢.

والملفت أنّ الشيخ الطوسي رحمه الله قد جعل قول الإمام الباقر عليه السلام فيه: «أنّه لا يرتد أبداً»، دليلاً على سفارته ونيابته الخاصّة.

وذلك أنّ المعصوم حيث يضمن عدم انحراف وزيغ أحد، فهذا يعني أنّه يكون تحت إشرافه ورقابته الدائمة، وهذا يضفي له صفة حجية تفوق حجية الراوي والفقيه، فيستدلّ بمواقفه على مواقف الإمام عليه السلام.

٣ - المفضل بن عمر:

ذكره الشيخ في السفراء الممدوحين واستند لذلك بما رواه بسنده عَنْ هِشَامِ بْنِ أَحْمَرَ قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام وأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، وهُوَ فِي ضَيْعَةٍ لَهُ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الحَرِّ، والعَرَقُ يَسِيلُ عَلَى صَدْرِهِ. فَابْتَدَأَنِي، فَقَالَ: «نِعْمَ والله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّجُلُ، الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ الجُعْفِيُّ. نِعْمَ والله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّجُلُ [هُوَ] الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ الجُعْفِيُّ». حَتَّى أَحْصَيْتُ بِضْعاً وثَلَاثِينَ مَرَّةً يُكَرِّرُهَا. وقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ وَالِدٌ بَعْدَ وَالِدٍ»[١].

وَرُوِيَ عَنْ هِشَامِ بْنِ أَحْمَرَ قَالَ: حَمَلْتُ إِلَى أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِلَى الْمَدِينَةِ أَمْوَالًا فَقَالَ: «رُدَّهَا فَادْفَعْهَا إِلَى الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ». فَرَدَدْتُهَا إِلَى جُعْفِيٍّ فَحَطَطْتُهَا عَلَى بَابِ الْمُفَضَّلِ[٢].

وَرُوِيَ عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ قَالَ: كُنْتُ فِي خِدْمَةِ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام فَلَمْ أَكُنْ أَرَى شَيْئاً يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْمُفَضَّلِ. ولَرُبَّمَا رَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجِيءُ بِالشَّيْءِ فَلَا يَقْبَلُهُ مِنْهُ ويَقُولُ أَوْصِلْهُ إِلَى الْمُفَضَّلِ[٣].

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٣٢.
٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٣٢.
٣. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٣٢.

وكأنّ الإمام عليه السلام أراد أن يوصل رسالة للناس بأن المفضل هو بابه، ويعطيه المشروعية الرسمية أمام الناس. ومن هنا فيكون تصرفات المفضل محسوبة على الإمام عليه السلام.

وفي نصّ آخر في رجال الكشي، نصّ على سفارته وتمثّله للإمام عليه السلام. فروى الكشي عن نصر بن الصباح: عن ابن أبي عمير بأسناده أن الشيعة حين أحدث أبو الخطاب ما أحدث خرجوا إلى أبي عبد الله عليه السلام فقالوا: أقم لنا رجلاً نفزع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام؟ قال: «لا تحتاجون إلى ذلك، متى ما احتاج أحدكم عرج إليَّ وسمع مني وينصرف»، فقالوا: لابد. فقال: «قد أقمت عليكم المفضل، اسمعوا منه وأقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله وعلي إلّا الحق»، فلم يأت عليه كثير شيء حتى شنعوا عليه وعلى أصحابه، وقالوا: أصحابه لا يصلون ويشربون النبيذ وهم أصحاب الحمام ويقطعون الطريق، والمفضل يقربهم ويدنيهم[١].

ونصّ ابن شهر آشوب أيضاً على أنّ المفضل بن عمر باب موسى بن جعفر عليه السلام[٢].

٤ – معلى بن خنيس:

ذكره الشيخ من السفراء الممدوحين وذكر أنّه من قوّام أبي عبد الله عليه السلام، وقد قتل الإمام داوود بن علي بسببه.

٥ – نصر بن قابوس اللخمي:

كان وكيلاً لأبي عبد الله عليه السلام عشرين سنة.

---

١. رجال الكشي: ج٢، رقم ٥٨٢.

٢. المناقب، لابن شهر آشوب، باب إمامة الكاظم عليه السلام، فصل في أحواله وتواريخه، قال في ج٢، من المناقب ص٤٣٨: (وكان بين وفاة موسى عليه السلام إلى وقت حرق مقابر قريش مائتان وستون سنة بابه المفضل بن عمر الجعفي...).

٦ - عبد الرحمن بن الحجاج وعبد الله بن جندب البجلي، وصفوان بن يحيىٰ ومحمد بن سنان وزكريا بن آدم.

وكذلك عبد العزيز بن المهتدي القمي الأشعري، وعلي بن مهزيار الأهوازي، وأيوب بن نوح بن درّاج، وعلي بن جعفر الهمّاني، وأبو علي بن راشد.

ثم قال الشيخ: هؤلاء جماعة المحمودين، وتركنا ذكر استقصائهم لأنّهم معروفون مذكورون في الكتب[1].

وعن ابن طاووس في ربيع الشيعة: أنّ محمد بن علي بن مهزيار من السفراء والأبواب المعروفين الذين لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي عليهما السلام[2] فيهم.

وقد ذكر الثقة العين كثير الحديث الأقدم؛ ابن أبي الثلج البغدادي المتوفىٰ سنة ٣٢٥، في كتابه تاريخ الأئمة عليهم السلام باباً بعنوان: أبواب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وقال فيه:

أمّا النبي صلى الله عليه وآله بابه أمير المؤمنين عليه السلام.

علي بن أبي طالب عليه السلام، بابه سلمان الفارسي، كان الباب سفينة ذو اليدين صاحب النبي صلى الله عليه وآله.

الحسن بن علي عليه السلام، بابه سفينة وقيس بن عبد الرحمن.

الحسين بن علي عليه السلام، بابه رشيد الهجري.

علي بن الحسين عليه السلام، بابه أبو خالد الكابلي، ويحيىٰ بن أم طويل قتله الحجاج بواسط.

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٣٢.

٢. معجم رجال الحديث: ج١٧، ص٣٠.

محمد بن علي عليه السلام، بابه جابر بن يزيد الجعفي.

جعفر بن محمد عليه السلام، بابه المفضل بن عمر.

موسىٰ بن جعفر عليه السلام، بابه محمد بن الفضل.

علي بن موسىٰ عليه السلام، بابه محمد بن الفرات.

محمد بن علي عليه السلام، بابه عمر بن الفرات.

علي بن محمد عليه السلام، بابه عثمان بن سعيد العمري.

الحسن بن علي عليه السلام، بابه عثمان بن سعيد.

القائم الحجة المنتظر عليه السلام، بابه عثمان بن سعيد، فلما حضرته الوفاة أوصىٰ إلىٰ محمد بن عثمان بعهد عهده إليه أبو محمد الحسن بن علي، روىٰ عنه ثقات الشيعة أنّه قال: (هذا وكيلي وابنه وكيل ابني) يعني أبا جعفر محمد بن عثمان العمري، ولما حضرته الوفاة أوصىٰ إلىٰ أبي القاسم الحسين بن روح النميري، ثمّ أمر أبو القاسم بن روح أن يعقد لأبي الحسن السمري، ثمّ بطىٰ[1] الباب والله أعلم[2].

رمي بعض الأبواب بالغلو والتخليط:

هنالك ظاهرة جديرة بالالتفات إليها، وهي: أنّ بعض من عُدَّ من الأبواب عند الشيخ الطوسي والمفيد وأبي الثلج البغدادي وغيرهم، قد عُدَّ عند آخرين من الغلاة والمفوّضة.

---

١. هكذا في المصدر، والظاهر أن المقصود هو غلق باب السفارة.

٢. كتاب تاريخ الأئمة لابن أبي الثلج البغدادي المتوفىٰ سنة ٣٢٥. وقال عنه النجاشي: ثقة عين كثير الحديث (رجال النجاشي رقم ١٠٣٧)، وقال الشيخ عنه في من لم يرو عنهم: البغدادي خاصي، يكنّىٰ أبابكر سمع منه التلعكبري (الفهرست رقم ٦٦٤، الرجال في من لم يرو عنهم: ٦٤ و١١٩). وقد ذكر الشيخ والنجاشي طريقهما إلىٰ كتبه، طريق الشيخ إليها صحيحة كطريق النجاشي علىٰ الأصح لجلالة أبي المفضل الشيباني.

فمثلاً أنّ محمد بن الفرات الذي ذكره البغدادي باباً لعلي بن موسىٰ الرضا عليه السلام، قد ضَعَّفه النجاشي[١]. ورماه الكشي بالغلو، وروىٰ ما يدلّ علىٰ غلوّه وتبري الإمام الرضا عليه السلام عنه ولعنه[٢].

كما أن المفضل بن عمر هو الآخر الذي وقع فيه بعض ورموه بالغلو والتخليط[٣]، ووردت فيه روايات تذمه وتتبرّأ منه[٤].

مع أنّ المفضل علىٰ ما هو الصحيح، هو الثقة الجليل كما شهد بذلك الشيخ المفيد وعدّه من خاصّة أبي عبد الله عليه السلام وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين[٥] وعدّه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة من السفراء الممدوحين. وقد مرّ ذكر بعض الروايات عن الكشي تدلّ علىٰ اختصاصه بأبي عبد الله عليه السلام. كما عدّه ابن شهر آشوب من خواص أصحاب الصادق عليه السلام، ونصّ علىٰ أنّه من

١. رجال النجاشي: رقم ٩٧٦.

٢. رجال الكشي: الحسين بن الحسن القمي عن سعد عن العبيدي عن يونس قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «يا يونس أما ترىٰ إلىٰ محمد بن فرات وما يكذب علي»؟ فقلت: أبعده الله وأسحقه وأشقاه، فقال: «قد فعل الله ذلك به، أذاقه الله حر الحديد كما أذاق من كان قبله ممن كذب علينا، يا يونس إنما قلت ذلك لتحذر عنه أصحابي وتأمرهم بلعنه والبراءة منه، فإن الله برئ منه». قال سعد: وحدثني ابن العبيد عن أخيه جعفر بن عيسىٰ وعلي بن إسماعيل الميثمي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «آذاني محمد بن الفرات آذاه الله وأذاقه حر الحديد، آذاني لعنه الله أذىٰ ما آذىٰ أبو الخطاب جعفر بن محمد عليهما السلام بمثله، وما كذب علينا خطابي مثل ما كذب محمد بن الفرات والله ما أحد يكذب إلينا إلّا ويذيقه الله حر الحديد». قال محمد بن عيسىٰ: فأخبراني وغيرهما أنه ما لبث محمد بن فرات إلّا قليلاً حتىٰ قتله إبراهيم بن شكلة أخبث قتلة. وكان محمد بن فرات يدعي أنه باب وأنه نبي وكان القاسم اليقطيني وعلي بن حسكة القمي كذلك يدعيان، لعنهما الله. [رجال الكشي رقم: ٤٢٨].

٣. فقال فيه النجاشي: (فاسد المذهب مضطرب الرواية، لا يعبأ به وقيل إنّه كان خطّابياً) وقال ابن الغضائري: (ضعيف متهافت، مرتفع القول، خطابي، وقد زيد عليه شيء كثير، وحمل الغلاة في حديثه حملاً عظيماً).

٤. رواها الكشي في رجاله.

٥. الإرشاد للشيخ المفيد: باب ذكر الإمام القائم بعد أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فصل في النص عليه بالإمامة من أبيه.

الثقات، وذكر أنّ المفضل كان باب موسىٰ بن جعفر عليه السلام[١].

وقال السيد الخوئي رحمه الله بعد ذكر جميع ما ورد في المفضل من المدح والذم:

والذي يتحصل مما ذكرنا أنّ نسبة التفويض والخطابية إلىٰ المفضل بن عمر لم تثبت... وأمّا ما تقدّم من الروايات الواردة في ذمّه، فلا يعتدّ بما هو ضعيف السند منها. نعم أنّ ثلاث روايات منها تامّة السند، إلّا أنّه لابدّ من ردّ علمها إلىٰ أهلها، فإنّها لا تقاوم ما تقدّم من الروايات الكثيرة المتظافرة التي لا يبعد دعوىٰ العلم بصدورها من المعصومين إجمالاً، علىٰ أن فيها ما هو الصحيح سنداً. فلابدّ من حملها علىٰ ما حملنا عليه ما ورد من الروايات في ذمّ زرارة ومحمد بن مسلم ويزيد بن معاوية وأضرابهم... ويكفي في جلالة المفضل تخصيص الإمام الصادق عليه السلام إياه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل وهو الذي سمّاه النجاشي بكتاب فكّر، وفي ذلك دلالة واضحة علىٰ أنّ المفضل كان من خواصّ أصحابه ومورد عنايته. أضف إلىٰ ذلك ما تقدّم من توثيق الشيخ المفيد إياه صريحاً، ومن عدّ الشيخ إياه من السفراء الممدوحين... والنتيجة أنّ المفضل بن عمر جليل ثقة، والله العالم[٢].

ومراد السيد الخوئي رحمه الله من حمل الروايات الذامة علىٰ ما مر في زرارة وأضرابه، هو صدور الذم من الإمام تقية للحفاظ علىٰ حياة الباب والراوي. حيث إنّ السلطة كانت تترصّد كلّ من يختصّ بأهل البيت عليهم السلام، لتنكّل به وتجهض نشاطه. فكان الأئمة عليهم السلام يطعنون في بعض خواصّهم ويعيبونهم، ليموّهوا الأمر علىٰ رجال السلطة، فلا يتيسّر لهم ذلك. وقد استشهد الإمام الصادق عليه السلام في الرسالة التي أرسلها لزرارة من خلال ابنه، بما صنعه الخضر

١. المناقب لابن شهر آشوب: ج٤، باب إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فصل في تواريخه وأحواله. وكذا أحوال الإمام الكاظم عليه السلام في فصل في معالي أموره، وفصل في أحواله وتواريخه.
٢. معجم رجال الحديث: ج١٩، ص٣١٨.

من إحداث العيب في السفينة التي ركبها مع موسىٰ عليه السلام، وذلك للحيلولة دون مصادرة الظالم لهذه السفينة العائد ريعها للمساكين، فهو بذلك قد منع ذلك الجبار من أن يبطش بالمساكين فيسلبهم مصدر قوتهم.

ثمّ قال عليه السلام لعبيد الله بن زرارة أن يبلّغ أباه عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «فإنك أفضل سفن ذلك البحر، القمقام، الزاخر، وإن من ورائك لملكاً، ظلوماً، غصوباً يرغب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدي ليأخذها غصباً، فيغصبها، وأهلها»[1].

ولكن نرىٰ البعض، أنّه اغترّ بظاهر بعض تلك الطعون الواردة، فقدح في أمثال أولئك الثقات.

وهذا ما يوقظ شعور الباحث ليتنبّه إلىٰ الأجواء الأمنية الخطيرة التي كانت تحدق بالأئمة وأبوابهم آنذاك، من البطش الأموي والعسف العباسي، يمنعهم من التصريح أحياناً، ويُلجئهم إلىٰ ممارسة التكتيك الأمني أخرىٰ.

وقد يشاهد في بعض الكتابات عدم الالتفات للظروف والبيئة التي صدرت فيها الأخبار، فيتصوّر الباحث أو الكاتب، أنّ الظروف كانت مؤاتية والأمن مستتباً ولم يكن هنالك منع ولا قهر ولا عسف، ولم يكن يمارس سياسة سد الحناجر وكمّ الأفواه. ومن هذا المنطلق ينظر في الأخبار فينفي ويثبت، فيأخذه الوهم، ويجرّ بذلك الويلات علىٰ نفسه وعلىٰ المذهب، ولات حين مناص.

الحفاظ علىٰ السرية من قبل بعض النواب:

مما يلاحظ في حياة بعض السفراء، أنّهم كانوا يخفون سفارتهم عن عامّة الناس، لاسيما من قبل أن تتبلور فكرة الباب عند الشيعة. فقد ورد في نصر بن قابوس اللخمي أنّه كان وكيلا لأبي عبد الله عشرين سنة، ولم يُعلَم أنّه وكيل[2].

١. وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٣٧٤.

٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٣٣.

وهـذا الإخفـاء كان نتيجـة ظـروف صعبـة مـر بهـا أولئـك النـواب، ومـن هنـا شـدّد أهـل البيـت عليهم السلام عـلىٰ إخفـاء مـن ينوبونـه نيابـة خاصـة، حـذراً مـن اسـتغلال السـفلة هـذا المقـام، فيقومـون بالمتاجـرة زيغـاً بادّعـاء هـذا المقـام وتقمّصـاً لهـذه المقامـات.

ويظهـر أنّ النبـي والأئمـة عليهم السلام كان لهـم سـفراء خاصـون، لكـن لم يكـن الإعـلان والإظهـار عنهـم بمسـتوىٰ السـفراء الأربعـة للإمـام المهـدي عجل الله فرجه، بـل كان في طـي الكتـمان والخفـاء، وكان في الظاهـر بعنـوان الوكالـة المعتـادة. إلىٰ أن وصلـت النوبـة لعهـد العسـكريين عليهما السلام، فبلغـت مسـتوىٰ المعرفـة والعلـم لـدىٰ أتبـاع أهـل البيـت عليهم السلام بدرجـة مؤهلـة وقابلـة لفهـم ذلـك ووعايتـه والأمـن مـن الاغـترار بالمدّعـين الكذابـين السـفلة.

بـل بلغـت الشـيعة مسـتوىٰ مـن المعرفـة والإيـمان إلىٰ درجـة التمييـز بـين الأبواب الصادقـين والكاذبـين، كـما صنـع ذلـك الشـيخ الطـوسي وغيره.

طريق معرفة الأبواب وظهور المعجزات منهم:

وبالنظـر لخطـورة هـذا المقـام، لم تكـن الطائفـة تسـلّم لـكل مـن يدّعـي السـفارة، بـل كانـوا يقومـون بامتحـان مـن نـصّ عـلىٰ كونـه بابـاً مـن قبـل الأئمـة عليهم السلام. فكـما أنّ مدّعـي النبـوّة والإمامـة لابـد وأن يكـون لديـه الدليـل والحجـة، كذلـك السـفير والبـاب.

وهـذا أيضـاً مـؤشّر آخـر عـلىٰ فهـم مقـام البـاب عنـد الطائفـة ونظرتهـم إليـه. فلـم يكونـوا يرونـه مجـرد راوٍ يرتبـط بالإمـام أحيانـاً، فـيروي مـا سـمعه منـه، أو فقيـهٍ يسـتنبط مـن كلام الإمـام، بـل صلاحيـة ذلـك المقـام تفـوق مقـام الروايـة والفقهـاء، ممـا اسـتوجبت هـذه الدرجـة مـن التشـدد فيمـن يدّعـي هـذا المقـام.

كما أنّ ظهور بعض المعاجز والكرامات علىٰ أيديهم كان كبرهان علىٰ مقامهم السامي، مثل ما مر في سلمان.

نبذة من غرائب حالات الأبواب وعلمهم اللدني:

معرفتهم بلغات أهل الأرض:

قال الشيخ الصدوق: أخبرنا محمّد بن علي بن متيل، قال: كانت امرأة يقال لها زينب من أهل آبة[١] وكانت امرأة محمّد بن عبديل الأبي معها ثلاثمائة دينار، فصارت إلىٰ عمّي جعفر بن محمّد بن متيل وقالت: أحبُّ أن أسلّم هذا المال من يدي إلىٰ يد أبي القاسم بن روح، قال: فأنفدني معها أترجم عنها، فلمّا دخلت علىٰ أبي القاسم رضي الله عنه أقبل يكلّمها بلسان آبي فصيح، فقال لها: (زينب! جونا، خوبذا، كوبذا، جون استه)[٢] ومعناه كيف أنت؟ وكيف كنت؟ وما خبر صبيانك؟ قال: فاستغنت عن الترجمة وسلّمت المال ورجعت[٣].

ورواه الشيخ في الغيبة، والعبارة الفارسية التي نقلها عن الشيخ أبي القاسم كالتالي:

(زينب چونا چون بدا كوليه جونسته). قال وفي نسخة: (چوني چون بدىٰ)، وفي البحار: (ونا چويدا كوايد چون أيقنه). وفي بعض نسخ كمال الدين: (چوني چونا چويدا كواندچون استه). وهذا الاختلاف يرجع لكون العبارة باللغة الفارسية الشعبية الدارجة في تلك المنطقة، فلم يكن يجيدوها الرواة غير العارفين بتلك اللغة.

---

١. مدينة في محافظة مركزي في إيران قريب من ساوه وقم.

٢. لسان آوجى شعبي، معناه بالفارسية الدارجة اليوم: (چطوري، خوشي، كجا بودي، بچه هايت چطورند؟).

٣. كمال الدين: ج٢، ص٥٠٤، ح٣٤.

علمهم بالغيبيات:

روىٰ الصدوق قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد، قال: حضرت بغداد عند المشايخ رضي الله عنهم فقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمّد السمري (قدس الله روحه) ابتداءً منه: رحم الله علي بن الحسين بن بابويه القمي، (قال): فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم فورد الخبر أنه توفي في ذلك اليوم، ومضىٰ أبو الحسن السمري رضي الله عنه في النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة[١].

وقال الصدوق: حدّثنا الحسين بن علي بن محمّد القمي المعروف بأبي علي البغدادي قال: كنت ببخارىٰ فدفع إليَّ المعروف بابن جاوشبر عشرة سبائك ذهباً وأمرني أن أسلّمها بمدينة السلام إلىٰ الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) فحملتها معي، فلمّا بلغت آمويه (آمل)[٢] ضاعت منّي سبيكة من تلك السبائك ولم أعلم بذلك حتّىٰ دخلت مدينة السلام.

فأخرجت السبائك لأُسلّمها فوجدتها قد نقصت واحدة، فاشتريت سبيكة مكانها بوزنها وأضفتها إلىٰ التسع السبائك، ثمّ دخلت علىٰ الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) ووضعت السبائك بين يديه.

فقال لي: خذ تلك السبيكة التي اشتريتها وأشار إليها بيده وقال: إن السبيكة التي ضيّعتها قد وصلت إلينا وهو ذا هي، ثمّ أخرج إليَّ تلك السبيكة التي كانت ضاعت منّي بآمويه فنظرت إليها فعرفتها[٣].

قال الحسين بن علي بن محمّد المعروف بأبي البغدادي: ورأيت تلك السنة بمدينة السلام امرأة فسألتني عن وكيل مولانا عليه السلام من هو؟ فأخبرها بعض

١. كمال الدين: ج٢، ص٥٠٣، ح٣٢؛ ورواه الشيخ في الغيبة للشيخ الطوسي: ص٣٠٤.
٢. مدينة في شمال إيران، تقع في محافظة مازندران.
٣. كمال الدين: ج٢، ص٥١٨، ح٤٧.

القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح وأشار إليها، فدخلت عليه وأنا عنده، فقالت له: أيها الشيخ أيّ شيء معي؟ فقال: ما معك فألقيه في الدجلة، ثمّ ائتيني حتّىٰ أخبرك.

قال: فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته في الدجلة، ثمّ رجعت ودخلت إلىٰ أبي القاسم الروحي (قدس الله روحه)، فقال أبو القاسم لمملوكة له: أخرجي إليَّ الحُقّ، فأخرجت إليه حُقّه، فقال للمرأة: هذه الحُقّة التي كانت معك ورميت بها في الدجلة أخبرك بما فيها أو تخبريني؟ فقالت له: بل أخبرني أنت، فقال: في هذه الحُقّة زوج سوار ذهب وحلقة كبيرة فيها جوهرة وحلقتان صغيرتان فيهما جوهر وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق، فكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً.

ثمّ فتح الحُقّة فعرض عليَّ ما فيها، فنظرت إليه فقالت: هذا الذي حملته بعينه ورميت به في الدجلة، فغشي عليَّ وعلىٰ المرأة فرحاً بما شاهدناه من صدق الدلالة، ثمّ قال الحسين لي بعدما حدّثني بهذا الحديث: أشهد عند الله ﷻ يوم القيامة بما حدّثت به أنه كما ذكرته لم أزد فيه ولم أنقص منه، وحلف بالأئمّة الاثني عشر (صلوات الله عليهم) لقد صدق فيما حدّث به وما زاد فيه وما نقص منه[1].

بيانات الإدانة والتبري من السفراء المذمومين:

ولخطورة هذا المقام، كانت الطائفة لا تتريث في إصدار بيانات التبري والإدانة لمن يتقمّصها زوراً أو من ينحرف من السفراء. وقد عقد الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة باباً لذكر السفراء الممدوحين، وذكر بعد ذلك السفراء المذمومين. والمذمومون هم الذين ادّعوا السفارة زوراً، أو كانوا من

١. كمال الدين: ج٢، ص٥١٥.

السفراء فترة ثم بدّلوا وغيّروا، فصدرت البراءة بحقهم. حيث - كما مر - أنّ من اقتضاءات السفارة الخاصّة أن يكون السفير تحت الإشراف والرقابة الدائمة من الإمام عليه السلام، فمتىٰ ما بدّل أو تصرّف بما لا يرضىٰ، يصدر التبري منه ومن موقفه، كي لا ينحسب علىٰ الإمام عليه السلام.

وهذا أيضاً مؤشّر هام علىٰ أنّ مقام السفارة ليس كمقام الرواية أو الفقاهة، إذ في الغالب كان الأئمة عليهم السلام يكتفون بذكر معايير عامّة، تتحاكم الشيعة إليها لمعرفة الراوي الثقة المأمون عن غير المأمون وهكذا الفقيه، بخلاف ما يصدر منهم عليهم السلام في الوكلاء الذين بدلوا وغيروا.

نظير ما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام من قوله: «فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه مخالفاً علىٰ هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً ولا كرامة»[1].

وذلك لعدم امتلاكهم لأية موقعية رسمية من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولم يكن لهم مقام التمثيل والناطق الرسمي عنهم عليهم السلام.

فوارق منصب السفارة عن الفقاهة والرواية:

إنّ الباب والسفير يمثّلان الإمام عليه السلام، ولهما منصب الناطق الرسمي عن دولة أهل البيت عليهم السلام، طبعاً في دائرة صلاحياتهم المخوّلة إليهم، وليس مطلقاً.

ومن هنا فيكون كلامهم وقولهم هو القول الفصل فيما إذا نطقوا داخل منطقة مسؤوليتهم، بل إنّه يؤخذ بكلامهم دون النظر في وثاقتهم أو فقاهتهم.

١. وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٣١.

بعبارة أخرىٰ: إنّ كلام الناطق الرسمي عن الدولة، يمثل نفس مواقف الدولة التي أعلن عنها. وليس كاشفاً وإمارة علىٰ تلك المواقف، وليس طريقاً للكشف عن مواقف الدولة الرسمية المعلنة. ومن هنا فجميع القواعد والمعايير التي تُقوَّم بها الإمارات الكاشفة عن رأي المعصوم روايةً أو فقاهةً، لا مجال لها ههنا.

إنما أنت تواجه متن الدستور المعلن عبر قناة رسمية منصوبة من قبل الدولة، وليست إمارة حسية أو حدسية، كاشفة عن الدستور، وليس حاصلاً من استنتاج فكري عبر فهم المعاني، مثل ما يمارسه الفقيه. بل هو متن الحكم والدستور، ومصدر للفقاهة والرواية.

وفي الحقيقة أنّ الاعتماد هنا ليس علىٰ السفير، بل علىٰ الإمام الرقيب والمُشرِف علىٰ مواقف سفيره وبابه. كما نرىٰ في الدول الوضعية، أنّهم لا يتريّثون في نسبة كلام الناطق الرسمي إلىٰ الدولة، دون النظر في وثاقته أو أمانته. إنّما الاعتماد علىٰ نفس جهاز الدولة التي جعلته ممثلاً وناطقاً رسمياً لنفسها. إلّا إذا أدانت الحكومة تصرّف السفير والناطق، وبخلاف ذلك يؤخذ بتصرفات السفير وتكون مواقفه مُلزمة علىٰ كيان الدولة.

فلا تتأتىٰ هنا مباحث حجية الخبر الواحد، ولا شرائط الإفتاء ولا مباحث الاجتهاد والتقليد. إنّه الناطق الرسمي ينطق عن الإمام عليه السلام. وبذلك تتصاعد مرتبة حجية كلام السفير ويكون مهيمناً علىٰ أخبار الآحاد وعلىٰ تفقّه الفقهاء، فهو صاحب القول الفصل.

إلّا المحكمات:

نعم إنّ حجية كلام الباب والسفير، لن تفوق حجية محكمات الدين وضرورياته. فإنّ الدين - شأن جميع المعارف والعلوم - يتشكل من أصول

محكمة وثابتة وضرورية، تُعَدّ أُمّاً لساير ما عداها، وهي تشكّل رأس هرم المعلومات الوحيانية. هذه المحكمات لا يرفع اليد عنها أبداً، بل إنّ لها القضاء الفاصل فيما دونها من المتشابهات.

إنّ متاركة وترك المحكمات - وهي أُمُّ الكتاب - وتقديم ما دونها من أجزاء الوحي التنزيلي المتمثّل في القرآن، أو الوحي التأويلي الموجود في السنة، طريق أهل الزيغ والزلل والخطل والانحراف، كما نصّ على ذلك في الآية السابعة من سورة آل عمران. قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٦-٧).

بل إنّ محكمات الثقلين مما يعرف بها الصادق على الله تعالىٰ من الأئمة الطاهرين عليهم السلام، عن الكاذب الدجال على الله تعالىٰ. فلم يكن الإمام المعصوم ليتجاوز علىٰ محكمات الدين وثوابته الضرورية، ويُعطي للأمّة أن يحاكموه بالمحكمات. ذلك ليكشفوا عن دجل أهل الزيغ الذين يخفون أنفسهم تحت غطاء المتشابهات من الوحي النازل من السماء.

هذا الإمام الحسين عليه السلام وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن خمسة أهل الكساء ومكانته معروفة لدىٰ المسلمين. ومع ذلك يخاطب جمهور الطغاة في كربلاء ويتحدّاهم بقوله: «يا ويلكم أتقاتلوني علىٰ سنّة بدّلتها، أم علىٰ شريعة غيّرتها»[1].

١. ينابيع المودة لذوي القربىٰ للقندوزي: ج٣، ص٨٠، الباب ٦١، مقتل الحسين عليه السلام.

ومؤدىٰ هذا الكلام، أنّ هنالك منظومة من المحكمات لن يتجاوزها الإمام الحسين عليه السلام، وللغير أن يعرفه بتلك الحدود والمقررات ويحاسبه ويقاتله علىٰ ذلك، فيما لو تجاوز عن تلك الحدود. وأمّا مع عدم تجاوزه دائرتها فلا يحق للغير مساءلته ومقاتلته. وتلك القاعدة الرقابية هي محكمات دين الله تعالىٰ وشريعة سيد المرسلين. فإذا كان هذا شأن الإمام الحسين عليه السلام، فما ظنّك بشأن النائب والباب والسفير، كيف تكون له صلاحية الوصاية علىٰ محكمات الدين؟ كلا بل إنّه يدان بالمحكمات لو تجاوزها.

إنّ ضروريات وفرائض الدين تشكّل قواعد رقابية يعرف الناس بها منهاج أهل البيت عليهم السلام عن منهاج غيرهم. وإنّ حجية الأئمة عليهم السلام تكون في ظل هيمنة حجية الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله وتابعة لهما، كما قال الإمام الرضا عليه السلام:

«إن الله حرَّم حراماً، وأحل حلالاً، وفرض فرائض فما جاء في تحليل ما حرم الله، أو في تحريم ما أحل الله أو دفع فريضة في كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك، فذلك ما لا يسع الأخذ به. لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن ليُحرِّم ما أحلّ الله، ولا ليُحلّل ما حرّم الله، ولا ليُغيّر فرائض الله وأحكامه، كان في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله. وذلك قول الله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ فكان عليه السلام متبعاً لله، مؤدياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة... لأنا لا نُرخِّص فيما لم يُرخِّص فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا لعلة خوف ضرورة. فأمّا أن نستحلّ ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله، أو نُحرِّم ما استحلّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يكون ذلك أبداً. لأنا تابعون لرسول الله صلى الله عليه وآله، مسلِّمون له، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله تابعاً لأمر ربّه، مُسلّماً له، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾...»[1].

١. وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١١٣.

ومن هنا وردت التوصيات من الأئمة عليهم السلام في روايات كثيرة، بعرض أخبارهم على محكمات الكتاب والسنة[١]، فإنّهم لا يتكلمون بشيء يخالف تلك المحكمات. وهذه قاعدة رقابية مهمة في معرفة أهل الزيغ.

والمتحصّل: أنّ محكمات الدين وضرورياته لها الريادة والحكم الفصل فيما دونها، فحتىٰ الإمام المعصوم المنصوص علىٰ إمامته، لا يُتصور أن يصدر عنه ما يخالف تلك المحكمات. وطبعاً أنّها صارت محكمة بفضل صراحة الآيات والروايات وتعددها وتوافرها، بما لا يعد مجالاً للشكّ فيها.

أمّا السفير والباب، فصلاحيته تأتي في الرتبة المتأخرة عن أهل البيت عليهم السلام، فليس من حقه أن يتجاوز الدوائر المرسومة فوقه، من محكمات الكتاب والسنة، والثابتات الضرورية من روايات أهل البيت عليهم السلام، وليس له أن يغيّر منهاج أهل البيت وشعارهم، فهو يُحاسَب علىٰ كلّ هذا.

مرتبة حجية الباب:

ويمكن أن يقال: إنّ درجة حجية الباب تتوسَّط بين حجية كلام الفقهاء والرواة، وبين حجية كلام المعصومين عليهم السلام، فهو صاحب القول الفصل بالنسبة لما اختلف فيه الرواة والفقهاء مما لم يكن ضرورياً من منهاج أهل البيت عليهم السلام، ومحكمات الثقلين. وأمّا في حدود المحكمات وثوابت المذهب، فليست له صلاحية ليتجاوزها.

ومعرفة رتب الحجج من أهم الأمور للسلامة عن الزيغ والانحراف. فنحن حينما نعطي للنائب الخاص صلاحيات فوق صلاحية الفقهاء - طبعاً في حدود وظيفتهم - لا نعطيهم تلك في ما ثبت بالضرورة أنّه من سيرة أهل بيت عليهم السلام وسنتهم وطريقتهم وكلامهم، فضلاً عن محكمات القرآن والسنة النبوية (علىٰ مصدرها وآله أفضل السلام والتحية).

١. راجع: وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١١٠ - كتب القضاء، أبواب صفات القاضي: باب ٩، ح١٠-١٨.

وهـذا بـاب تفتـح منـه بصائـر المؤمنـين، كيـلا يقعـوا في شراك المتقمّصـين لصلاحيـات المناصـب الإلهيـة. فأنـت تـرىٰ أنّ أربـاب الفـرق المنحرفـة وأهـل الزيـغ والبـدع، ممـن ادعـىٰ المهدويـة أو النيابـة الخاصـة والسـفارة، مـن أول مـا يؤخـذ عليهـم أنّهـم يخالفـون الثوابـت المحكمـة الضروريـة مـن الديـن، والثابتـة بالبراهـين والمتواتـرة مـن الأخبـار ونصـوص القـرآن الكريـم.

فبـين مـن يدعـو لـترك الالتـزام بالواجبـات والمحرمـات، ومـن يدعـو لهجـران الثقلـين أو أحدهمـا، مـن يخالـف المتواتـر مـن الأحاديـث في حـصر عـدد الأئمـة في اثنـي عـشر، ومـن يخالـف الحكـم الـضروري الثابـت عنـد الطائفـة بانقطـاع السـفارة والنيابـة الخاصـة. وسنشـير فيـما يـأتي لبعـض الوجـوه المثبتـة لهـذا الحكـم الـضروري.

فلـو كانـت بيئـة أهـل الإيـمان مـزودّة بهـذه القواعـد الرقابيـة مـن محكـمات الكتـاب والسـنّة، وكانـت تراقـب وتحاسـب كلّ مـدّع بهـذه القواعـد والمحكـمات، لما بقـي لهـؤلاء متنفّـس فيهـا. ولكـن هجـر القـرآن والسـنة وروايـات أهـل البيـت عليهم السلام، وعـدم تلقـين الضروريـات وتكرارهـا، سـبّب في إيجـاد بيئـة خصبـة لأولئـك الدجالـين، فيصولـون ويجولـون فيهـا.

قناة ارتباط الباب بالإمام عجل الله فرجه:

كـما مـرّ أنّ منصـب البـاب والسـفير يكـون مـن شـؤون إمامـة أهـل البيـت عليهم السلام، وقيادتهـم للمجتمـع. وهـذا يسـتلزم وجـود خـط مبـاشر فيـما بـين الإمـام والبـاب، ليسـتعلم رأي الإمـام متـىٰ مـا اقتضـت الـضرورة ذلـك، كـما أنّ المعصـوم يراقبـه ويـشرف عـلىٰ أعمالـه. فلـو كان يربطـه بالإمـام قنـاة التلقـي الحـسي، لـكان كسـائر الـرواة، بـل لعلـه أقـل اتصـالاً بالمعصـوم مـن بعضهـم. ومـن ثـمّ لا يتمكّـن مـن تمثيـل الإمـام عليه السلام والنطـق باسـمه.

ومن هنا كان الأئمة عليهم السلام يزوّدون هؤلاء الأبواب بقنوات غيبية تربطهم بالإمام. نظير ما مرّ في سلمان المحمدي وانّه محدَّث عن إمامه.

روىٰ الكشي في الموثق عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «كَانَ والله عَلِيٌّ مُحَدَّثاً وكَانَ سَلْمَانُ مُحَدَّثاً»، قُلْتُ اشْرَحْ لِي! قَالَ: «يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً يَنْقُرُ فِي أُذُنِهِ يَقُولُ كَيْتَ وكَيْتَ»[1]، كما وروي مثله عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي الكشي أيضاً: عن الإمام الصادق عليه السلام أن سلمان كان محدثاً قال: «إنه كان محدثاً عن إمامه لا عن ربه لأنه لا يحدث عن الله عزّ وجلّ إلّا الحجة»[2].

ومن نماذج ذلك أيضاً ما ورد في جابر بن يزيد الجعفي وهو باب مولانا الإمام الباقر عليه السلام.

روىٰ الكليني في باب أنّ الجن يأتيهم فيسألهم عن معالم دينهم ويتوجهون في أمرهم، بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال:

كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفي، فلما أن كنا بالمدينة دخل علىٰ أبي جعفر عليه السلام فودعه وخرج من عنده وهو مسرور حتىٰ وردنا الأخيرجة[3] - أول منزل نعدل من فيد[4] إلىٰ المدينة - يوم جمعة فصلينا الزوال، فلما نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم معه كتباً، فناوله جابراً فتناوله فقبله ووضعه علىٰ عينيه وإذا هو: من محمد بن علي إلىٰ جابر بن يزيد وعليه طين أسود رطب، فقال له: متىٰ عهدك بسيدي؟ فقال: الساعة فقال له: قبل الصلاة أو بعد الصلاة؟ فقال: بعد الصلاة، ففك الخاتم وأقبل يقرؤه ويقبض وجهه حتىٰ أتىٰ علىٰ آخره، ثم أمسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتىٰ وافىٰ الكوفة، فلما

١. رجال الكشي: ج١، ص٦٣، ح٣٦.
٢. رجال الكشي: ج١، ص٦١، ح٣٤.
٣. الأخيرجة: اسم موضع بالمدينة.
٤. فيد: قلعة في طريق مكة.

وافينا الكوفة ليلاً بِتُّ ليلتي، فلما أصبحت أتيته إعظاماً له فوجدته قد خرج عليّ وفي عنقه كعاب، قد علقها وقد ركب قصبة وهو يقول: (أجد منصور بن جمهور أميراً غير مأمور) وأبياتاً من نحو هذا، فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شيئاً ولم أقل له، وأقبلت أبكي لما رأيته واجتمع عليَّ وعليه الصبيان والناس، وجاء حتىٰ دخل الرحبة وأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون: جُنَّ جابر بن يزيد جُنّ، فوالله ما مضت الأيام حتىٰ ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلىٰ واليه أن انظر رجلاً يقال له: جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه، فالتفت إلىٰ جلسائه فقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي؟ قالوا: أصلحك الله كان رجلاً له علم وفضل وحديث، وحج فجُنَّ وهو ذا في الرحبة مع الصبيان علىٰ القصب يلعب معهم قال: فأشرف عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب علىٰ القصب، فقال الحمد لله الذي عافاني من قتله، قال: ولم تمض الأيام حتىٰ دخل منصور بن جمهور الكوفة وصنع ما كان يقول جابر[1].

فارتباط الباب بالإمام لا يقتصر علىٰ التلقي الحسي البشري، بل قد يرتبط بالإمام عليه السلام عبر التلقي الغيبي الإلهامي أو عبر بعض الملائكة أو المؤمنين من الجن.

اصطلاح الباب في الجانب الغيبي:

بل إنّ مقام الباب اصطلاح دارج في العلم الإلهامي غير الكسبي، كما مر في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤٠) والحديث المتفق عليه بين الفريقين: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[2].

١. أصول الكافي: ج١، ص٣٩٤.

٢. وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٣٤.

وورد في زيارة الأبواب وسفراء الإمام الثاني عشر عليه السلام، وقد رواه الشيخ في التهذيب وذكر أنها منسوبة إلىٰ الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله:

أشهد أنك باب المولىٰ أديت عنه وأديت إليه، ما خالفته ولا خالفت عليه، فقمت خالصاً وانصرفت سابقاً. جئتك عارفاً بالحق الذي أنت عليه وأنك ما خنت في التأدية والسفارة، والسلام عليك من باب ما أوسعه، ومن سفير ما آمنك، ومن ثقة ما أمكنك، أشهد أن الله اختصك بنوره حتىٰ عاينت الشخص فأديت عنه وأديت إليه... جئتك مخلصاً بتوحيد الله وموالاة أوليائك والبراءة من أعدائهم ومن الذين خالفوك يا حجة المولىٰ وبك إليهم توجهي وبهم إلىٰ الله توسلي[1].

إنّ مفهوم الأداء والتأدية أعم من مفهوم الرواية والحكاية. فإنّ الرواية ظاهرة في التلقي المسموع المحسوس، بينما مفهوم الأداء أعم ويستعمل في التلقي الغيبي. فلا يقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله روىٰ عن ربه، أو جبرئيل روىٰ عن الله جل جلاله، وإنما يقال أدّىٰ عن الله تعالىٰ وبلّغ عنه.

ثم أكّد في قوله: (أشهد أن الله اختصك بنوره حتىٰ عاينت الشخص فأديت عنه) علىٰ أنّ هذا الأداء متوقف علىٰ المعاينة، وهي تتوقف علىٰ الاصطفاء في مقام النور. وهذا يقرّب أن لا يكون التلقي والأداء بأداة حسية متاحة لسائر الرواة.

وهذا ما أوقع الغلاة والمقصرة في الوهم، فظنّ الغلاة أنّها دعوىٰ الألوهية في الإمام والنبوة في الباب، حيث ترسَّخ في عقليتهم حصر أنماط الوحي والإلهام وتحديث الملائكة بمقام النبوة عن الله جل جلاله. وكذا المقصّرة لأجل هذا الوهم بعينه، أنكروا إمكانية أن يكون الإمام علىٰ ارتباط بسفيره عبر الإلهام

١. تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٨.

أو الاستعانة ببعض الملائكة أو مؤمني الجن، لزعمهم أنّها من الشؤون الإلهيّة.

لكن القرآن يؤكّد على أنّ هنالك طرقاً متعدّدة للارتباط والاتصال الغيبي، يستخدمها الأنبياء والصالحون عليهم السلام. نظير النبي سليمان عليه السلام، حيث كان الجن يعملون له[١]، والطير تأتي له بالأخبار وكان ينفذه سليمان عليه السلام في مهماته الحكومية[٢]. وهكذا أُم موسىٰ حيث أوحىٰ الله إليها[٣] ولم تكن نبية، وكذا مريم كلّمتها الملائكة[٤] والله تعالىٰ[٥] ولم تكن نبية.

موقعية الباب في العقيدة:

ثمّ إنّ تصدّر زيارة الأبواب بالشهادة والإقرار بمقام الباب، يدلّ على أنّ مقام السفير مما يجب الاعتقاد به وينبغي الإعلان والإجهار بهذه العقيدة. فالشهادة إنما هي من أعمال القلب، أي ما ينبغي الاعتقاد به. وقد ندب الشارع إلىٰ الإذعان والاعتراف بتلك العقيدة، فيكون الثواب والعقاب علىٰ مجرد العقيدة التي هي عمل القلب. وهذه ميزة المسألة الاعتقادية.

ومن ذلك يُعلَم: أنّ مقام الباب والسفير داخل في ضمن العقائد، ويكون صرف الإقرار به من كمال الإيمان.

وهذه من جملة الفوارق بين منصب الفقاهة والسفارة، فإنّ الفقيه لا يجب الاعتقاد بدوره ومنصبه، ولا يضر لو لم يعتقد أحد بمنصبه بعد ما طبّق عمله وفق فتاواه، فإنّ له دور الإفتاء والكشف عن الحكم الشرعي للمكلّفين، وليس له شأن اعتقادي. بينما الباب والسفير، لابد من الاعتقاد بمقامه قبل

---

١. النمل: ١٧.
٢. النمل: ٢٠-٣١.
٣. القصص: ٧.
٤. آل عمران: ٤٢-٤٦؛ مريم: ١٧-٢١.
٥. آل عمرن: ٤٧-٥٠.

العمل بمقاله. وأنّ الإيمان أو بعض درجات الإيمان متوقّف علىٰ الإيمان به وبمقامه.

ومن الفوارق أيضاً: أن الباب داخل ضمن محور التولي والتبري، كما ورد في هذه الزيارة: جئتك مخلصاً بتوحيد الله وموالاة أوليائك والبراءة من أعدائهم ومن الذين خالفوك يا حجة المولىٰ وبك إليهم توجهي وبهم إلىٰ الله توسلي[١].

ومرّ عن أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قوله: «يَا أَبَاذَرٍّ إِنَّ سَلْمَانَ بَابُ اللهِ فِي الأَرْضِ، مَنْ عَرَفَهُ كَانَ مُؤْمِناً ومَنْ أَنْكَرَهُ كَانَ كَافِراً، وإِنَّ سَلْمَانَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[٢].

فلابد من التبري من كل من خالف الباب، كما يجب تولي كل من يوالي الباب. وهذا مقام عظيم لا ينال غير المعصوم، أو من ضمن المعصوم عدم زيغه وصوابه.

وأمّا عموم المؤمنين والفقهاء والعلماء - مهما عظم مقامهم ورفع قدرهم - فلا يجوز جعلهم محوراً للتولي والتبري، وإنما هذا من الشؤون الحصرية للمعصومين عليهم السلام. وبما أن السفير داخل ضمن مجموعة دولة خليفة الله، ويكون مراقَباً من قِبَل المعصوم، فيكون تولي وليه والتبري من عدوه ضمن تولي المعصوم والتبري من عدوه.

ومن غير الصحيح ما قد يشاهد في بعض الأوساط الإيمانية حيث يجعلون غير المعصوم محوراً لتوليهم وتبريهم، فيوالون كلّ من يوالي من يعتقدون فيه من العلماء والمراجع والفقهاء والأولياء، ويتبرؤون من كل من لا يواليه أو يتبرّأ منه. علينا أن نفهم أن ذلك المنصب خاص بأهل بيت العصمة عليهم السلام، كما ورد في زيارة عاشوراء: «ولي لمن والاكم وعدوّ لمن عاداكم».

---

١. تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٨.

٢. رجال الكشي: ص١٤، ح٣٣.

موقف فقهاء الطائفة تجاه مقام الباب:

لخطورة هذا المقام، كانت الطائفة تقوم بامتحان واختبار من نُصّ علىٰ نيابته الخاصة، وكانوا يلعنون ويتبرؤون ممن يدّعي هذا المقام كذباً، كما خصّصوا في كتبهم باباً لذكر السفراء المذمومين. مما يدلّ علىٰ أنّ عدم الإيمان بالسفير كتقمّص مقام السفارة، كلاهما يوجب الخروج عن المذهب، ويسوّغ اللعن والبراءة.

وهو حكم تسالمت عليه الطائفة في الغيبة الصغرىٰ. فكانت الطائفة تتبرّأ ممن لا يؤمن بمقام أبواب الإمام عليه السلام وسفرائه، أو من يتقمّص هذا المقام كذباً.

روىٰ الشيخ الطوسي عن أبي علي بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد عليه السلام، فاجتمعت الشيعة علىٰ وكالة محمد بن عثمان رضي الله عنه بنص الحسن عليه السلام في حياته، ولما مضىٰ الحسن عليه السلام قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة؟

فقال لهم: لم أسمعه ينص عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه - يعني عثمان بن سعيد - فأمّا أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه فقالوا:

قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف علىٰ أبي جعفر، فلعنوه وتبرؤا منه. ثم ظهر التوقيع علىٰ يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن[1].

وحكىٰ الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن الشيخ المفيد، عن الشيخ أبي القاسم بن محمّد ابن قولويه - صاحب كتاب كامل الزيارات، وهو أُستاذ الشيخ المفيد، وكان زعيم الطائفة في وقته معاصراً للصدوق في أوائل الغيبة الكبرىٰ - قال:

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٣٩٩.

وَقَدْ كُنَّا وَجَّهْنَا إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ البَغْدَادِيِّ لَمَّا ادَّعَىٰ لَهُ هَذَا مَا ادَّعَاهُ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وحَلَفَ عَلَيْهِ فَقَبِلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ. فَلَمَّا دَخَلَ بَغْدَادَ مَالَ إِلَيْهِ وعَدَلَ عَنِ الطَّائِفَةِ وأَوْصَىٰ إِلَيْهِ لَمْ نَشُكَّ أَنَّهُ عَلَىٰ مَذْهَبِهِ، فَلَعَنَّاهُ وبَرِئْنَا مِنْهُ لِأَنَّ عِنْدَنَا أَنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَىٰ الأَمْرَ بَعْدَ السَّمُرِيِّ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ مُنَمِّسٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ وبِاللهِ التَّوْفِيقُ[1].

علّة كفر مدّعي السفارة كذباً:

إن مَن يتقمّص هذا المقام ويدّعي كذباً أنّه الباب والممثل الرسمي لأهل البيت عليهم السلام، فإنه قد ارتكب العديد من المحاذير الموجبة للخروج عن المذهب، منها:

١ - دعوىٰ التغلب والتمرد علىٰ النظام الإلهيّ، كمن يدّعي لنفسه زوراً أنه الممثل الرسمي من قبل دولة معيّنة، فنفس هذه الدعوىٰ بعينها إعلان للمعارضة والمجابهة العلنية مع تلك الدولة. وهذا بعينه هو الوجه في كفر عبدة الأصنام، حيث كانوا يختارون من عند أنفسهم وسائط بينهم وبين الله تعالىٰ، ولم ينزل الله تعالىٰ بها من سلطان. وهذا يعني أنّ العباد يفرضون رأيهم علىٰ الله عزّ وجلّ، وهو الكفر بعينه. وقد ردّ الله عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ ويَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ ولا فِي الأَرْضِ سُبْحانَهُ وتَعالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (يونس: ١٨).

٢ - دعوىٰ الهيمنة علىٰ ظواهر الكتاب والسنة، وأنّ قوله يُحَكَّم علىٰ ظواهر الدين ولو بالتأويل. لأنه يدعي أن عنده قناة ارتباط مباشر غيبي مع صاحب الشريعة، فيكون صاحب القول الفصل، يقفز ويتمرد علىٰ ظواهر وثوابت

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٧٩، باب ذكر أمر أبي بكر البغدادي ابن أخي الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وأبي دلف المجنون.

سنن النبي صلى الله عليه وآله أو مذهب أهل البيت عليهم السلام. ففي الأول كفر الإسلام وفي الثاني كفر الإيمان. مع أنّه في الأولىٰ يدّعي الارتباط بالله تعالىٰ كما كان للنبي صلى الله عليه وآله، بل يزعم أنّ حجية تلقيه عن الله تعالىٰ تفوق حجية تلقي النبي، حيث يقدّم قوله علىٰ قول الرسول صلى الله عليه وآله. وفي الثانية يدّعىٰ الارتباط بالرسول صلى الله عليه وآله دون توسط الأئمة عليهم السلام، والمفروض أنّه غير منصوب من قبلهم عليهم السلام. فدعواه أنّ له صلاحية فوق صلاحية الفقهاء وفوق المستفاد من ظواهر الدين، هي دعوىٰ الوصاية علىٰ الدين، وأنّ له صلاحية التمرّد علىٰ سنن وتعليمات الأئمة عليهم السلام.

ومن هنا تراهم غالباً لا يقفون عند دعوىٰ السفارة والبابية، بل يرتقون إلىٰ دعوىٰ الإمامة والنبوة، بل الألوهية، كما في الحلاج وعلي محمد الباب.

قال الشيخ قدس سره في كتاب الغيبة في السفراء المذمومين:

أولهم المعروف بالشريعي أخبرنا جماعة، عن أبي محمد التلعكبري، عن أبي علي محمد بن همام قال: كان الشريعي يكنىٰ بأبي محمد. قال هارون: وأظن اسمه كان الحسن وكان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي بعده عليهم السلام وهو أول من ادعىٰ مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلاً له، وكذب علىٰ الله وعلىٰ حججه عليهم السلام ونسب إليهم ما لا يليق بهم، وما هم من براء، فلعنه الشيعة، وتبرأت منه وخرج توقيع الإمام بلعنه والبراءة منه. قال هارون: ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد قال: وكل هؤلاء المدعين إنما يكون كذبهم أولاً علىٰ الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلىٰ موالاتهم ثم يترقىٰ الأمر بهم إلىٰ قول الحلاجية كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترىٰ[1].

١. بحار الأنوار: ج٥١، ص٣٦٧.

موقعية الفقهاء والفرق بينهم وبين النائب الخاص:

والفرق بين مقام الفقيه ومقام النائب الخاص:

أولاً: حاكمية الصفات الكمالية:

إنّ الفقهاء لم يشخصوا بأسمائهم بل بتوفر صفات كمالية علمية وعملية فيهم، تؤهلهم للتصدي والإفتاء. ويكون المعنيّ بتشخيص توفّر تلك المواصفات فيهم، هم عامة الناس عبر آليات موضوعية كالرجوع لأهل الخبرة. ويكون الفقيه مراقَباً دائماً من أهل الخبرة والمجتمع، لضمان استمرارية هذه الصفات فيه.

فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإنّه من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئاً ولا كرامة»[١].

وفي مقبولة عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«انظروا إلىٰ من كان منكم قد روىٰ حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليهم حاكماً»[٢].

ثانياً: محورية الأدلّة والوسط الخبروي:

مدار الحجيّة في الفقهاء إنما يتمحور في الثقلين والأدلّة الشرعيّة، وليس دور الفقيه إلّا كدور أهل الخبرة في التخصّصات الأخرىٰ. ومن هنا تكون آراؤه محل النقد والمناقشة في الوسط الخبروي، وليس لشخص الفقيه أية حجيّة وراء حجيّة الأدلّة الشرعية من ظواهر الكتاب والسنة. ومن هنا يبحث العامي عن المجتهد وعن الأعلم، ومتىٰ ما فقد الاجتهاد أو صار غيره أعلم يعدل

١. الاحتجاج: ج٢، ص٤٥٨.

٢. الكافي: ج٧، ص٤١٢.

عنه. وهذه المنظومة الإعجازية من أئمة أهل البيت عليهم السلام تجعل الهيمنة والريادة للكتاب والسنة وليس لشخص الفقيه، وأنّ موقف الفقهاء لابد وأن يُحكّم بمحكمات الكتاب والسنة.

ومن هنا، فإنّ فقهاء الشيعة دائماً يكونون تحت رقابة شديدة، وتناقش أفكارهم وآراؤهم من قبل سائر العلماء والمتخصصين باستمرار. وأيضاً لا يغفل دور الناس في أن تكون سلوكياتهم تحت النظر، وهي تولّد بيئة رقابية ينشأ منه نوعٌ من الحصانة عن الزلل والزيغ. وفيما لو تجاوزوا الخطوط التخصصية المحددة يسقط اعتبارهم، كما حصل في ابن أبي العذاقر الشلمغاني وغيره.

وقد نهىٰ أئمة أهل البيت عليهم السلام من جعل الشخص غير المعصوم محوراً للحجية والتولي والتبري، كما ورد عنهم عليهم السلام: «إياك وأن تنصب رجلاً دون الحجة فتصدقه في كل ما قال»[1].

ومن السذاجة بمكان الاعتقاد في واحد من علمائنا الأخيار وفقهائنا الأبرار، أنّ له صلاحية فوق صلاحية المتخصّص والخبير، شأنه شأن سائر المتخصّصين والخبراء علىٰ اختلاف درجات التخصص والخبروية. فيكون الشخص محور الحجية والتولي والتبري. وهو يقرب من دعوىٰ النيابة الخاصة والسفارة والعصمة.

وقد يشاهد أنّ بعض الأتباع يغالون في علم من أعلام المذهب، فينزلونه فوق منزلة الفقيه والعالم ليجعلوه وصياً علىٰ الدين. وهذه المغالاة قد تبرز في السلوك العملي لهم دون أن يصرّحوا بذلك. فمن الخطأ لو نزّلنا العالم فوق أن ينتقد حتىٰ من قبل سائر أهل الاختصاص، أو عدم جواز الرجوع لغيره من سائر المتخصصين، وحكر الدين والمذهب علىٰ الشخص الواحد. كأنّما قد يُدعىٰ أنه أتىٰ بما لا يسبقه ولا يلحقه فيه أحد، وأنّه لا طريق للوصول إلىٰ

١. الكافي: ج٢، ص٢٩٨.

الدين إلّا من خلاله، فمن رام الوقوف علىٰ الدين والوحي الإلهي فلابد أن ينظر من خلال نافذته، وكلّ من لا ينظر منها يكون مجانباً للصواب.

هذه المغالاة في العلماء والفقهاء، ترجع في لبّها لدعوىٰ صلاحيات النائب الخاص، وهي - مع خطورتها عند الطائفة حتىٰ جعلوها من موجبات الخروج عن المذهب كما مر - تولّد بيئة خصبة لظهور المذاهب والأديان الضالة.

نموذج من مذهب البابية والبهائية وتأثرهم بالمدرسة الشيخية:

ظهرت البابية علىٰ يد السيد علي محمد الشيرازي، حيث ادَّعىٰ أنّه باب الحجة، ثم ادَّعىٰ أنّه هو المهدي الموعود، وأنّه نبي، فآل أمر أتباعه إلىٰ القول بنبوّة الميرزا حسين علي النوري الملقّب عندهم ببهاء الله، وأنّه الذي أظهره الله ناسخاً للإسلام، من هنا ظهرت الديانة البهائية.

التي تنسب جذورها إلىٰ بعض تلامذة المدرسة الشيخية الذين بالغوا في مكانة الشيخ أحمد الأحسائي، وبعد رحيل الشيخ الأحسائي رجع أكثرهم إلىٰ السيد كاظم الرشتي الذي يعدّ عند بعضهم من أخص تلامذة الأحسائي، وقد نقلوا عن الأحسائي أنّه قال في الرشتي: (ولدي كاظم يفهم، ولا يفهم غيره)[1] وذكر كريمخان الكرماني تلميذ الرشتي أنّه سئل الشيخ الأحسائي: (أنّه إذا افتقدناك فممّن نأخذ العلم؟ فقال: من السيد كاظم فإنّه أخذ مني مشافهة، وقد أخذت العلم مشافهة عن أهل البيت عليهم السلام، والسيد كاظم أخذ العلم عن الله مباشرة)[2].

وبعد ما توفىٰ السيد كاظم الرشتي وقع الخلاف بين تلامذته في الوصي من بعده. فنشأت آراء مختلفة. فبعضهم تبع كريمخان الكرماني تلميذ السيد

١. فهرست، أبو القاسم إبراهيمي: ج١، ص١١٥؛ هداية الطالبين، محمد كريمخان كرماني: ص٦٧؛ تير شهاب در رد باب مرتاب، محمد كريمخان كرماني: ص١٧.

٢. هداية الطالبين، محمد كريمخان كرماني: ص٦٧.

كاظم الرشتي. وقد كان يؤكّد وبإصرار على لزوم وجود المؤمن الكامل أو الركن الرابع من بعد الأركان الثلاثة أي التوحيد والنبوة والإمامة. وملئت كتب ودروس الكرماني بلزوم تولي الركن الرابع والتبري من أعدائه، وأنّه هو السبب في بقاء الأرض ولولاه ساخت الأرض وأنّ ببقائه تبقى الحجة، وغير ذلك مما هو من أوصاف الإمام المعصوم، قد نزّلها وطبّقها الكرماني على من سمّاه بالمؤمن الكامل، أو الركن الرابع[1]. فالمغالاة عند الكرماني تجاوزت عن حدها، فنزّل الركن الرابع منزلة الإمام المعصوم.

وهذه الفكرة راجت عند أتباع مدرسة الشيخ الأحسائي حتى الإحقاقية، لكنّها بأسماء وعناوين أخرى، فبين من يسمّيه الركن الرابع كالشيخية الكرمانية، ومن يسمّيه بالمؤمن الكامل، أو أحكام التولي والتبري، أو لزوم التبعية عن الفقيه الشيخي من سلالة المؤسسين وإن لم يكن من أهل الخبرة والاختصاص أو أقل خبرة من غيره ويسميه بالمولى، وغير ذلك. وكلّ ذلك يرجع في لبّه لفكرة النائب الخاص، وإعطاء صلاحيات تفوق صلاحية الفقهاء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وجعل المحورية في الشخص بدل أن تكون في الأدلّة وظواهر الكتاب والسنّة.

وفي مثل هذه الأجواء رأى السيد علي محمد الشيرازي - الذي تتلمذ فترة عند السيد كاظم الرشتي - مجالاً واسعاً لنشر أطروحته، فادّعى لنفسه البابية. وكانت تتميّز هذه الدعوى بصرامة وصراحة أكثر من دعوى غيره كالكرماني، فتبعه ثمانية عشر من تلامذة الرشتي. وقد سماهم الشيرازي بحروف عدد

١. راجع كتاب فصل الخطاب، كريمخان الكرماني. وهذا كتاب حديثي بوبه ورتبه على مسائل التوحيد ثم النبوة ثم الإمامة، ومن ثم في الركن الرابع أو المؤمن الكامل، أو مسائل التولي والتبري، وسرد فيها كثيراً من الأخبار الواردة في أئمة أهل البيت عليهم السلام أسقطها على من سمّاه بالمؤمن الكامل.

الحي[١]، حيث إنّهم من أوّل من آمن به وراج متاعه بسببهم، وعدد حروف الحي ١٨ بحسب الأبجد.

ففي الخطوة الأولىٰ كان يسمي نفسه باب الإمام المهدي عليه السلام وأنّه مرسَل من قبله ليكون ذكراً للعالمين[٢] وقد أدخل اسمه في الأذان بعد الشهادة الثالثة[٣]. ثم ارتقىٰ بعد ذلك وادّعىٰ أنّه هو المهدي الموعود[٤]. وفي الخطوة الثالثة ادّعىٰ لنفسه النبوة وأتىٰ بكتابه الذي زعمه أنّه من الله وسمّاه بالبيان[٥]. وأكّد في البيان علىٰ مجيء من يظهره الله من بعده.

وبعد ما توفّيٰ علي محمد الشيرازي لجأ القسم الأكبر من أتباعه إلىٰ الميرزا حسين علي النوري ولقبّوه ببهاء الله، وزعموا أنّه هو الذي بشّر به الباب في كتابه البيان، وهكذا تولّدت الديانة البهائية الزاعمة بأنّ البهاء هو النبي المرسل من قبل الله كإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلى الله عليه وآله، وقد أنزله الله ناسخاً للإسلام.

وطبعاً أنّ الشيخية الذين رفضوا دعوة الباب والبهاء، رفضوا أيضاً أن يكون محمد علي الشيرازي خريج مدرسة السيد كاظم الرشتي أو الشيخ الأحسائي، واعتقدوا أنّه قد ألصق نفسه بالسيد الرشتي ليكسب جمهور أتباعه. ونحن لا نريد الآن أن ندخل في مثل هذا النقاش. إنما الذي يهمّنا بحسب هذه الدراسة، محاولة كشف منشأ الزيغ والانحراف الذي أدّىٰ لهذه النتائج المأساوية، لنتداركها ونتجنّب عنها. فإنّنا وإن برّأنا الشيخ الأحسائي من دعوىٰ النيابة

---

١. الكوكب الدرية في المآثر البهائية، آيتي: ج١، ص٤٣.
٢. أحسن القصص، علي محمد الباب: ص١.
٣. بهائيان، محمد باقر نجفي: ص١٦٨.
٤. نقطة الكاف، حاجي ميرزا جاني كاشاني: ص١٣٥.
٥. البيان، علي محمد الباب: ص٣.

الخاصّة في نفسه، إلّا أننا لا نبرّأ أتباعه من إيجاد هذا الانطباع الخاطئ في عقليّة الناس بالنسبة للشيخ الأحسائي. وقد يكون السبب أو بعض السبب يرجع للشيخ نفسه بسبب عدم رعاية بعض موازين الكتمان والإذاعة والبث. ثم السيد الرشتي زاد في الطين بلّة، فحتىٰ ولو قلنا وسلّمنا بأنّه لم يدع يوماً السفارة والبابية، إلّا أنّه لا يمكننا أن نبرّأه من إيجاده هذه الأرضية والبيئة الخصبة لظهور مثل هذه الأفكار والانحرافات، حيث يتمحور الشخص بدل محورية الثقلين.

إنّ فرض الوصاية لفقيه من الفقهاء علىٰ المذهب وجعله فوق أن ينتقد، وجعله محوراً للتولي والتبري، بحجة أنّه المؤمن الكامل أو الولي أو المولىٰ أو الوسيط أو الركن الرابع، وغير ذلك مما هو من متبنيات المدرسة الشيخية بتشعباتها المختلفة، يؤدّي إلىٰ هذه الانحرافات بمرور الزمن. فيأتي الأتباع ويزيدون علىٰ ما ذكره المؤسس ثم أتباع الأتباع، وكلما تسير للأمام يزدد البعد عن الحق، إلىٰ أن يؤول إلىٰ تأسيس ديانة جديدة. وهكذا تتولّد الفرق والمذاهب والأديان!

زلّة من بعض الأكابر تنتج غواية في الأتباع نزولاً في عمود الزمان.

أدلة انقطاع النيابة الخاصة:

كان للإمام المهدي عجل الله فرجه أربعة من السفراء، توسّطوا بينه وبين الناس وقاموا بدور الباب من ٨ ربيع الأول سنة ٢٦٠ إلىٰ ١٥ شعبان سنة ٣٢٩، فكان المجموع ٦٩ عاماً. وهم:

١ – عثمان بن سعيد العمري رحمه الله.

٢ – محمد بن عثمان العمري رحمه الله.

٣ – حسين بن روح النوبختي رحمه الله.

٤ – علي بن محمد السمري رحمه الله.

وبوفاة السمري أغلقت هذه الباب وانقطعت السفارة الخاصّة. وهذا الانقطاع وسد باب النيابة الخاصة بات من ضروريات مذهب الإمامية، وكانت الطائفة تتبرّأ وتلعن كلّ من ادَّعىٰ السفارة من بعد السمري.

إنّ انقطاع السفارة في الغيبة الكبرىٰ وعدم وجود ممثل رسمي وباب فيما بين الإمام المهدي عجل الله فرجه وبين الناس، من ضروريات مذهب الإمامية. وقد عدّ المخالف لذلك خارجاً عن المذهب. ويدلّ عليه جملة من الأمور:

الأول: الغيبة تعني العمل السري، ومن أوليات وضروريات العمل السري الخفاء وعدم الظهور، وهذا ينافي وجود التمثيل الرسمي المعلن بين الناس. وهذا واضح عند من يعرف لغة الأمن والتنظيمات السريّة. وقد حكىٰ القرآن فعاليات الخضر عليه السلام للحيلولة دون فساد الظالمين وبثّ العدالة في المجتمع. فإنّ البرمجة الأمنية المتشددة اقتضت أن يكون الخضر في غاية الخفاء ويعمل بسريّة تامّة. وقد بلغ من شدة ستر الله تعالىٰ للخضر عليه السلام أنّه تعالىٰ أعطىٰ لموسىٰ عليه السلام وهو نبي من أولي العزم شفرات ليعرف موعد لقائه بالخضر عليهما السلام. شفرات أمنية مشدّدة لا تقبل الاختراق. حتىٰ وصي موسىٰ يوشع بن نون الذي كان يرافقه، لم يعرف موعد اللقاء بهذه الشفرات.

فالأجواء أمنية للغاية ومتشددة، والستار الأمني ضارب بجذوره، فلا يكتفي بأن يكون محل الوعد هو مجمع البحرين، بل يجعل انسياب السمك في البحر دليلاً آخر علىٰ محل اللقاء. فلن يعرفه غير من يريد اطلاعه. قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف: ٦٣-٦٤).

إنّ تغييب الله لأوليائه ليس كما عند البشر بحيث تتخلّله خروقات أمنية، إنّها حراسة إلهية لا يمكن أن تخترق.

ومن هنا فإنّ من يدَّعي أنّه من رجال الغيب ومرتبط بالإمام الغائب وله صفة رسمية من قبله عجل الله فرجه، فهو كذّاب لا محالة، لأن نفس دعواه هذه دليل على كذبه. إنّ من يعرف لغة السر وطبيعة عمل المجموعات التي تعمل بخفاء، يدري بأنّ السرية والخفاء من أوليات برامج تلك المجموعات، وأنّ من يريد أن يتخطّى عن هذا القانون فسوف يُعفى عن منصبه، بل يُعاقَب وقد تصل عقوبته إلى التصفية الجسدية، كيلا يسبب الخسائر والفشل في المشروع.

الثاني: ما ورد في متواتر الأخبار من وقوع الغيبتين الصغرى والكبرى. وهذه الروايات رويت عن أغلب المعصومين عليهم السلام حتى عن نفس الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه. وقد عبّر عن الثانية بالغيبة التامة وأنّه لا يطّلع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره إلّا المولى الذي يلي أمره. كلّ ذلك ينافي وجود الممثل الرسمي له في الغيبة الكبرى. ودلالة تثنية الغيبة على اختلاف الغيبتين القصيرة عن الطويلة بيّنة واضحة على ذلك، وإلّا لكانتا معاً غيبة واحدة لا غيبتين، واختلاف الغيبتين ليس إلّا بوجود السفراء والنوّاب الأربعة في الأُولى دون الثانية. فإنّه لو كان لديه ممثلاً وسفيراً يتوسّط بينه وبين الناس، لم يكن هنالك فرق ومائز بين الغيبتين، وهذا خلاف تلكم الروايات المتواترة.

وهذه الروايات المتواترة رواها الصدوق في كمال الدين، والطوسي في الغيبة، والنعماني في الغيبة، والكليني في الكافي، وقد رويت عن الرسول صلى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن بقيّة الأئمّة عليهم السلام.

فقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام – في حديث –: «أما أنّ لصاحب هذا الأمر فيه غيبتين: واحدة قصيرة، والأُخرى طويلة»[1].

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ص١٦٣.

وروىٰ النعماني في الغيبة بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتّىٰ يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قُتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقىٰ علىٰ أمره من أصحابه إلّا نفر يسير، لا يطّلع علىٰ موضعه أحد من وليّ ولا غيره، إلّا المولىٰ الذي يلي أمره»[1].

وكون الرواية ذكرت وجود ولي يلي الأمر للإمام عجل الله فرجه لا مع الناس، وهو لا يتنافىٰ مع الغيبة التامة.

الثالث: إجماع وتسالم الأصحاب علىٰ ذلك، بل علىٰ كفر وضلال مدّعي السفارة من بعد السمري. وهذا التسالم والضرورة بلغت إلىٰ حدّ أنّ الطائفة تبرأت من ابن أخ عثمان بن سعيد العمري (السفير الثاني) حينما ادّعىٰ السفارة ولعنوه دون تريّث، مما يدل علىٰ وضوح بطلان ادِّعاء السفارة بعد السفير الرابع.

حكىٰ الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن الشيخ المفيد، عن الشيخ أبي القاسم بن محمّد ابن قولويه - صاحب كتاب كامل الزيارات، وهو أُستاذ الشيخ المفيد، وكان زعيم الطائفة في وقته معاصراً للصدوق في أوائل الغيبة الكبرىٰ - قال:

(وَقَدْ كُنَّا وَجَّهْنَا إِلىٰ أَبِي بَكْرٍ البَغْدَادِيِّ لَمَّا ادَّعَىٰ لَهُ هَذَا مَا ادَّعَاهُ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وحَلَفَ عَلَيْهِ فَقَبِلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ. فَلَمَّا دَخَلَ بَغْدَادَ مَالَ إِلَيْهِ وعَدَلَ عَنِ الطَّائِفَةِ وأَوْصَىٰ إِلَيْهِ لَمْ نَشُكَّ أَنَّهُ عَلَىٰ مَذْهَبِهِ، فَلَعَنَّاهُ وبَرِئْنَا مِنْهُ لِأَنَّ عِنْدَنَا أَنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَىٰ الأَمْرَ بَعْدَ السَّمُرِيِّ رحمه الله فَهُوَ كَافِرٌ مُنَمِّسٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ وبِاللهِ التَّوْفِيقُ)[2].

---

١. الغيبة للنعماني: ص١٧٢.

٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٧٩، باب ذكر أمر أبي بكر البغدادي ابن أخي الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وأبي دلف المجنون.

والمُلفِت للنظر أنّ زعماء الطائفة لم يرتابوا في اللعن والتبري من مدّعي السفارة بمجرّد دعواه، قبل النظر في كلامه وأدلّته على ذلك. وهذا لا يكون إلّا في ضروريات الدين ومحكماته. فإنّ التريّث في رفض القول المخالف للمحكمات بحجّة النظر في الأدلّة، يكون من الشاكّ في محكمات الدين، وهو طريق أهل الزيغ الذين يحاكمون المحكمات بالأدلّة المتشابهة الواقعة في المرتبة الثانية بعد المحكمات. بينما أهل الرشد يحسمون الرفض القاطع لكلّ دعوىٰ تخالف المحكمات. وهذا مؤدّىٰ الآية السابعة من سورة آل عمران كما مرّ.

ونبّه علىٰ هذه الضرورة المذهبية كلّ من:

سعد بن عبد الله الأشعري في (المقالات والفرق) والشيخ المفيد في (الإرشاد) قال:

(وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرىٰ كما جاءت بذلك الأخبار، فأمّا القصرىٰ منهما فمنذ وقت مولده إلىٰ انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة. وأمّا الطولىٰ فهي بعد الأولىٰ وفي آخرها يقوم بالسيف)[1].

وأيضاً الشيخ الصدوق في (كمال الدين)[2] والشيخ الطوسي في (الغيبة)[3] والنعماني وهو ابن أبي زينب تلميذ الكليني في (الغيبة) قال:

(هذه الأحاديث التي يذكر فيها أن للقائم عليه السلام غيبتين أحاديث قد صحت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمة عليهم السلام، وأظهر برهان صدقهم فيها. فأمّا الغيبة الأولىٰ فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين، موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج علىٰ أيديهم غوامض العلم، وعويص الحكم والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه

١. الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد: ج٢، ص٣٤٠.
٢. كمال الدين: ج٢، ص٤٣٣.
٣. الغيبة للطوسي: ص٣٩٦-٤١٥.

من المعضلات والمشكلات. وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرَّمت مدتها. والغيبة الثانية، هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالىٰ، والتدبير الذي يمضيه في الخلق، ولوقوع التمحيص والامتحان والبلبلة والغربلة والتصفية علىٰ من يدَّعي هذا الأمر. كما قال الله ﷻ: ﴿ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلىٰ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وهذا زمان ذلك قد حضر، جعلنا الله فيه من الثابتين علىٰ الحق وممن لا يخرج في غربال الفتنة. فهذا معنىٰ قولنا له غيبتان، ونحن في الأخيرة. نسأل الله أن يقرب فرج أوليائه منها ويجعلنا في حيز خيرته وجملة التابعين لصفوته، ومن خيار من ارتضاه وانتجبه لنصرة وليه وخليفته فإنه ولي الإحسان جواد منان)[١].

الفتال النيشايوري في (روضة الواعظين)[٢]، وأمين الإسلام فضل بن حسن الطبرسي في (إعلام الورىٰ)[٣]، وأحمد بن علي الطبرسي في (الاحتجاج)[٤]، والإربلي في (كشف الغمّة)[٥]، وابن صبّاغ المالكي في (الفصول المهمّة)[٦]، والعلامة الحلي في (الرجال)[٧] وفي (المستجاد من الإرشاد)[٨]، وابن داوود في (الرجال)[٩]، والخواجة نصير الدين في (التجريد)، والفيض الكاشاني في (المحجة البيضاء)[١٠]، العلامة

١. الغيبة للنعماني: ص١٧٣.
٢. روضة الواعين: ج٢، ص٢٦٧.
٣. إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ: ص٤٤٥.
٤. الاحتجاج: ج٢، ص٤٧٨.
٥. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن أبي الفتح الإربلي: ج٣، ص٢٤٤.
٦. الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ص١١٠٠.
٧. خلاصة الأقوال: ص٢٥١، في ترجمة علي بن محمد السمري.
٨. المستجاد من الإرشاد: ٢٣٢.
٩. رجال ابن داوود: ص١٥٨، في ترجمة علي بن محمد السمري.
١٠. المحجة البيضاء: ج٤، ص٣٣٥.

المجلسي في (بحار الأنوار)[١] و(مرآة العقول)[٢].

الرابع: الروايات التي تبين أحداث الظهور، تشترك جميعها في مفاد واحد، وهو عدم وجود صفة ممثل رسمي للإمام قبل ظهوره وقبل الصيحة السماوية.

الخامس: الروايات المستفيضة الآمرة بالانتظار وبالصبر والمرابطة، وعدم الانزلاق مع كلّ منادٍ لشعار إقامة الحقّ والعدل، وكذلك روايات التمحيص والامتحان، ومقتضاها انقطاع السفارة والاتّصال. فإنّ هذه الحيرة والاضطراب ليست إلّا للانقطاع وفقد الاتّصال، وهو مقتضىٰ الصبر والانتظار والترقّب، وكذلك مفاد روايات التمحيص والامتحان بسبب شدّة المحنة في غيبته بفقد واسطة الارتباط، فتزداد الريبة حتّىٰ يرجع أكثر القائلين بإمامته عن هذا الاعتقاد، لاسيّما مع كثرة الفتن والمحن والبلاء.

فقد روىٰ النعماني بسنده عن أبي بصير، قال:

قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: «إنّما مثل شيعتنا مثل أندر - يعني: بيداً فيه طعام فأصابه آكل - أي السوس فَنُقّي، ثمّ أصابه آكِل - أي السوس فَنُقّي حتّىٰ بقي منه ما لا يضرّه الآكِل، وكذلك شيعتنا يميّزون ويمحّصون حتّىٰ تبقىٰ منهم عصابة لا تضرّها الفتنة»[٣].

السادس: الروايات الخاصة المصرّحة بانقطاع السفارة الخاصة، نظير التوقيع المروي عن النائب الرابع علي بن محمد السمري، رواه الشيخ في الغيبة، ورواه الصدوق في كمال الدين قال: حدثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفّىٰ فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد

---

١. بحار الأنوار: ج٥١، ص٣٥٨ باب ذكر أمر أبي الحسين علي بن محمد السمري بعد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح وانقطاع الأعلام به وهم الأبواب.

٢. مرآة العقول: ج٤، ص٢ و٥٣، وج٦، ص١٨٦.

٣. الغيبة للنعماني: ص٢١١.

السمري فحضرته قبل وفاته فأخرج إلىٰ الناس توقيعاً نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توصِ إلىٰ أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية (التامة)، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله ﷻ، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادَّعىٰ المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم»... فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه، وقضىٰ. وهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه[1].

وسند التوقيع قطعي، حيث رواه الصدوق عن شيخه الحسن بن أحمد المكتب القمي وهو من كبار مشايخ قم وترضّىٰ عليه الصدوق. وهذا مع التشدد الذي كان يبذله الأصحاب حول التوقيعات الصادرة لخطورتها، وحساسية الوضع الأمني بخلاف آبائه عليهم السلام. وقد كان السمري معاصراً لأصحاب الكتب الحديثية فلم يتوسط بينهم وبين السمري كثير من الرواة. وقد تلقتها الطائفة بالقبول من المفيد والطوسي والصدوق وابن قولويه، وكلهم معاصرون للسمري أو بفاصل زمني قصير وهم أعمدة المذهب وأعلامها. وهذا ما لا يقبل التزوير.

بل إنّ ذكر التوقيع مقروناً بقرائن قطعية دلَّت علىٰ إظهار التوقيع للناس وإعلانهم بذلك، ولم يكن أمراً خفياً لا يطلع عليه سوىٰ المكتب. فلو كان كذباً لم يخف علىٰ أوتاد المذهب المعاصرين للحدث لاسيما مع التشددات الأمنية في مثل هذه التوقيعات.

---

١. كمال الدين: ج٢، ص٥١٦؛ الغيبة للشيخ الطوسي: ص٣٩٥.

ويلاحظ أنّ الصيحة هي أكبر علامة حتمية للظهور، وهي لا تقبل الدجل، فجعل الصيحة غاية لانقطاع السفارة، يبطل كلّ من يدّعي ذلك طول الغيبة الكبرىٰ.

هذا وقد ذكر الشيخ الطوسي في الغيبة عند تعرّضه لترجمة وبيان حال النائب الرابع، خمسة روايات لانقطاع السفارة بخمسة طرق[١].

السابع: أنّ عدم وجود الممثّل والسفير للإمام عجل الله فرجه في الغيبة الكبرىٰ بات من معالم مذهب الشيعة وشعارها، فعُرفت الشيعة بذلك، وبات من المسلَّمات عند ساير طوائف المسلمين أنّ الشيعة لا يرون سفيراً للإمام الغائب. ولذا تراهم يستشكلون علىٰ الشيعة أنّه ما فائدة الإمام الغائب؟ وهذا الإشكال لا وقع له لو كان هنالك أبواب وسفراء.

فمثلاً نظر إلىٰ كلام الشهرستاني في الملل والنحل وهو يعترض علىٰ الشيعة: والإمام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل والجماعة مكلفون بالاقتداء به والاستنان بسنته، ومن لا يُرىٰ كيف يُقتدىٰ به[٢].

بل صرّح بعضهم بأنّ انقطاع السفارة من معالم المذهب الشيعي. قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: والقائلون من الرافضة بأن الحجة هذا هو المهدي يقولون لم يخلف أبوه غيره ومات وعمره خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة كما آتاها يحيىٰ عليه الصلاة والسلام صبياً وجعله إماماً في حال الطفولية كما جعل عيسىٰ عليه السلام. كذلك توفي أبوه بسر من رأىٰ وتستر هو بالمدينة وله غيبتان صغرىٰ من منذ ولادته إلىٰ انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وكبرىٰ وفي آخرها يقوم[٣].

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٣٩٣.

٢. الملل والنحل للشهرستاني: ج١، ص١٧٢.

٣. الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي المكي: ص١٦٧.

انقطاع السفارة لا يعني انقطاع التشرفات:

مرَّ في توقيع النائب الرابع قوله عليه السلام: «وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعىٰ المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ»، وهذا الكلام عطف علىٰ انقطاع السفارة الخاصة، والمراد بالمشاهدة المنفية إنما هي المشاهدة علىٰ النحو التي كانت للسمري وغيره من الأبواب، فإنّ قوله: «فمن ادّعىٰ المشاهدة» عطف علىٰ انقطاع السفارة وعدم الوصية لأحد بعد.

والكلام مُركَّز علىٰ ادَّعاء السفارة والارتباط الدائم مع الإمام عجل الله فرجه. وهذا لا ينفي وجود رجال الغيب وأصحاب السرّ الذين يعملون معه في دولته الخفية في غيبته، لكنما بقاءهم بهذه الصفة والارتباط مرهون بعدم إفصاحهم وإعلانهم، فادِّعاء هذا المقام يناقض مسؤوليتهم، لأنّ السرية وعدم الظهور من مقومات مسؤولياتهم. كما في لقاء موسىٰ بالخضر عليهما السلام وسريّة موقع اللقاء بحيث لم يلتفت إليه حتىٰ وصي موسىٰ عليه السلام.

كما لا ينفي حصول التشرفات واللقاءات دون تمثيل وصفة رسمية، فإنّها موجودة في كل عصر وزمان. وقد جرت سنّة المحدثين أنّهم أفردوا باباً في كتبهم لذكر قصص من التقىٰ بالإمام المهدي عجل الله فرجه في الغيبة.

قال العلامة المجلسي بعد ذكر توقيع السمري رحمه الله:

(لعله محمول علىٰ من يدَّعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلىٰ الشيعة، علىٰ مثال السفراء لئلا ينافي الأخبار التي مضت وستأتي فيمن رآه عليه السلام والله يعلم)[1].

إنّ التشرفات في الغيبة الكبرىٰ ليست باختيار الإنسان، بل ولا الرؤية باختيار الإنسان ولا الكلام باختياره، فبقدر ما يؤذن له يراه ويتكلم ويعرفه ويتحرك

١. بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٥١.

نحوه. وهذا كيلا ييأس المؤمنون ولا ينسوا إمامهم، فينشطهم ويذكّرهم بين حين وآخر بلقاء ومشاهدة، كما حصل ذلك للعشرات من المؤمنين.

التشرفات واللقاءات ومقدار حجيتها والفرق بينها وبين البابيه، هو الفرق بين الممثل الرسمي للدولة والذي يكون علىٰ ارتباط دائم ودائب مع الدولة، وبين مواطن عادي اتفق له أن التقىٰ بالملك، وليست له أية صفة رسمية. وهذا من جملة الفوارق بين الغيبة الصغرىٰ والكبرىٰ.

هذه التشرفات تكون منبّهات ومذكّرات للإمام الغائب والشمس المستور بالسحاب. وارتفاع السحب في موارد نادرة ومحدودة ومن دون تنسيق سابق، عن وجه الشمس لكي يراه البعض فيحكي للآخرين ويكون ذلك تذكيراً للإمام الغائب، ولا يحمل أياً من معاني السفارة والنيابة، ولا تمنع عنه أدلّة انقطاع السفارة. أنّه مزيد لطف وعناية منه عجل الله فرجه لشيعته، فيرتبط بهم ويُنشّطهم بين حين وأخر بلقاء ومشاهدة تنقل أخبارها كما نقل من ذلك المئات. بل خصّص المحدّثون منذ بداية الغيبة الكبرىٰ باباً في كتبهم الحديثية لذكر من رآه والتقىٰ به من الناس.

ومن هنا لا وقع لما قد يثار من شبهة من قبل بعض المتهجّمين، يُنكر ويستغرب تشرّف بعض المؤمنين بلقاء الإمام عجل الله فرجه، وأنّه أغاثهم وأنجاهم. يقول: ليس من شأن الإمام إغاثة اللهفان كبعض المؤسسات الخيرية التي تصب عملهم في إعانة المحتاجين. ثم يُشكل ثانياً بأنّه لِمَ لا تعمّ هذه الإغاثة لجميع المحتاجين والفقراء والتائهين؟

وينقض عليه: أنّه لِمَ لا يشفي الله تعالىٰ جميع المرضىٰ والمحتاجين، بل يغيث البعض دون الآخرين؟ ولِمَ لم يبرئ النبي عيسىٰ عليه السلام جميع المرضىٰ ولَم يُحي جميع الموتىٰ؟ ولِمَ خصّص موسىٰ عليه السلام نزول المنّ والسلوىٰ وانفجار اثنتي عشرة عيناً

من الحجرة بطائفة معينة وفي زمان ومكان محدود ولم يعمّمه للآخرين؟ وهكذا في كلّ إعجازات الأنبياء والأوصياء.

والحل:

١ - إنّه ليس من سنة الله تعالىٰ أن يبطل نظام الأسباب والمسببات في عالم الدنيا، بل أبىٰ أن يجري الأمور إلّا بأسبابها. غير أنّه قد يفعل من دون الأسباب الظاهرية ليكون برهاناً علىٰ نبوة النبي وإمامة الوصي. وهذا لا يقتضي التعميم، بل بمقدار ما تثبت به الحجة ويذكّر به الناس، والزائد علىٰ ذلك يكون من باب اللطف الزائد غير الواجب عليه.

٢ - إنّ هنالك حِكماً ومصالح في الفعل الإلهي، تقتضي هذه الاختلافات، شأنها شأن سائر أنواع الاختلاف في الفعل الإلهي.

٣ - بل إنّ تصرّفاته تعالىٰ غير منحصرة في العمل الإعجازي، فإنّ ما يتحقق بالأسباب أيضاً يكون بتدبيره وتقديره وتهيئته للأسباب.

٤ - إنّ هنالك حسابات حكيمة في النظام المحكم الإلهي، تحول دون الفساد المطبق في الأرض. ويكون خليفة الله والإمام هو المَعنيّ بذلك من قبل الله تعالىٰ. فهو قد يتصرّف في المفاصل المهمّة في حياة الإنسان، رعاية للتوازنات في دار الأسباب والمسببات، حتىٰ لا يطبق الفساد علىٰ وجه الأرض. وقد ذكر الله تعالىٰ في القرآن قصّة الخضر الذي أنجىٰ المساكين من الفقر والمجاعة وحال دون مصادرة سفينتهم من قبل الملك الظالم، وأنجىٰ المجتمع من وجود طاغوت يفرض الكفر علىٰ الناس، وسبّب في إيصال كنز اليتيمين إليهما ببناء الجدار. فهل كان للخضر مؤسسة خيرية مثلاً ليقوم بهذه التصرفات؟ إنّها سذاجة في الطرح، وتخدير للسذج من العوام! بل إنّ الله تعالىٰ زوّد الخضر بالعلم اللدنّي وخوّل له تنفيذ هذه المهمات، للحفاظ علىٰ الصلاح النسبي في الأرض.

* * *

ALMAUOOD

السيدة نرجس عليها السلام
شبهات وردود

الشيخ علي الفياض

المقدمة:

لا يخفى أن من الأساليب المتبعة لدىٰ البعض في نقد عقيدتنا في الإمام المهدي عجل الله فرجه هو إثارة التساؤلات والشكوك والشبهات حول أُم الإمام السيدة نرجس عليها السلام، فكان هذا البحث في الدفاع عن هذه السيدة الجليلة عليها السلام.

وفي التمهيد ذكرنا الأقوال في أصلها، ورجحنا القول الأول وهو قدومها من بلاد الروم.

وحاولنا جمع كل ما أثير حولها عليها السلام من شبهات، فكان المهم منها عشرة، وقد ذكرنا الأجوبة التي قيلت وبشكل موجز ليناسب البحث.

وهناك تساؤلات أخرىٰ لم نذكرها إمّا لأنها لا تستحق الرد، أو لأن الأسلوب المتَّبع في طرحها هو أسلوب السب والشتم والتهريج، وهي حرفة العاجز.

أصل السيدة نرجس عليها السلام:

تختلف الروايات والآراء في بيان أصل السيدة نرجس عليها السلام ومن أين قدمت، أو أين كانت، وفي ذلك يمكن ذكر الأقوال التالية:

القول الأول: من بلاد الروم:

الرأي المشهور يقول إن السيدة نرجس عليها السلام أصلها من الروم، وهذا الرأي

يعتمد على النصوص الواردة في هذا المجال، وأن اسمها مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، ذكر ذلك كل من الشيخ الصدوق[١]، والشيخ الطبري[٢]، والشيخ الطوسي[٣].

وتنص هذه الرواية المشهورة، على أنها عليها السلام جاءت من بلاد الروم عندما حصلت حرب بين المسلمين والروم ووقعت في الأسر، ومن ثم بيعت في سوق النخاسين ببغداد واشتراها بشر بن سليمان النخاس وهو الشخص الذي أرسله الإمام الهادي عليه السلام من سامراء إلى بغداد لهذا الغرض، ثم أخذها إلى سامراء حيث بيت الإمام الهادي عليه السلام وسلّمها إلى السيدة حكيمة عليها السلام لتعلمها الأحكام الشرعية.

وأيضاً توجد رواية للفضل بن شاذان تنص على أن أصل السيدة نرجس عليها السلام من الروم[٤].

القول الثاني: ولدت في بيت السيدة حكيمة عليها السلام:

وهذا الرأي يختلف عن سابقه حيث يصرح بولادة السيدة نرجس عليها السلام في بيت السيدة حكيمة عليها السلام، وأول من نقل ذلك فيما نعلم هو الشيخ حسين عبد الوهاب في كتابه (عيون المعجزات) حيث يقول:

(قرأت في كتب كثيرة بروايات كثيرة صحيحة أنه كان لحكيمة بنت أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام جارية ولدت في بيتها وربّتها، وكانت تسمّى نرجس، فلما كبرت دخل أبو محمد فنظر إليها، فقالت له عمته حكيمة: أراك يا سيدي تنظر إليها، فقال عليه السلام: «إني ما نظرت إليها متعجباً، أما أن المولود الكريم على

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٤١٧.
٢. دلائل الإمامة: ٤٩٢.
٣. الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٠٨.
٤. مختصر إثبات الرجعة: ج٩، ح١١، المطبوع في مجلة تراثنا العدد١٥/ ٢١١-٢١٢.

الله يكون منها»، ثم أمرها أن تستأذن أبا الحسن أباه عليه السلام في دفعها إليه، فقلت، فأمرها بذلك)[١].

وقال الشيخ الصدوق بسند ينتهي إلىٰ محمد بن عبد الله الطهوي: (قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام... قالت: نعم كانت لي جارية يقال لها: نرجس فزارني ابن أخي... فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال: «استأذني في ذلك أبي عليه السلام»،...)[٢].

وهذه الرواية تدل علىٰ أن السيدة نرجس عليها السلام كانت في بيت حكيمة، وأنها ملك لها وإن كانت رواية الشيخ الصدوق لا تصرح بالولادة في بيتها.

وقال الشيخ المسعودي: (إن بعض أخوات أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام كانت لها جارية ولدت في بيتها وربَّتها تسمىٰ نرجس، فلما كبرت وعبلت دخل أبو محمد عليه السلام فنظر إليها فأعجبته... ثم أمرها أن تستأذن أبا الحسن في دفعها إليه...)[٣].

والرواية تصرح بالولادة في بيت حكيمة وأنها ربَّتها وأعطتها الإمام الهادي عليه السلام ووهبتها إلىٰ الإمام العسكري عليه السلام.

ونقل كلام المسعودي صاحب أعيان الشيعة قال: (قال المسعودي في كتاب إثبات الوصية: روىٰ لنا الثقات من مشايخنا أن بعض أخوات أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام كانت لها جارية ولدت في بيتها وربَّتها تسمىٰ نرجس...)[٤].

وروىٰ المحدث البحراني في مدينة المعاجز نقلاً عن الطبري: (... وأنه كان عندي صبية يقال لها نرجس وكنت أربيها من بين الجواري ولا يلي تربيتها

---

١. عيون المعجزات: ١٢٧.
٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٦-٤٣٠.
٣. إثبات الوصية: ٢٧٢.
٤. أعيان الشيعة: ٦/ ٢١٧.

غيري...)[١]، وهو حياوي من جهة الولادة في بيتها، وإن كان فيه إشعار لذلك بملاحظة (كان عندي صبية) فهي منذ صغرها في بيتها.

القول الثالث: من النوبة في السودان:

إن القول بأن أُم القائم عليه السلام كان أصلها من بلاد النوبة في السودان هو قول ضعيف لأن من قال بذلك اعتمد على رواية القافة[٢]، حيث ورد التعبير فيها: «... بأبي ابن خيرة الإماء ابن النوبية الطيبة المنتجبة الرحم...»، التي قد يفهم فيها أن المقصود هي أُم القائم عليه السلام، ولكن التحقيق أن الوصف هذا وارد في أُم الإمام الجواد عليه السلام، ولغرض التوضيح ننقل الرواية الطويلة بتمامها:

روى الشيخ الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني جميعاً، عن زكريا بن يحيى بن النعمان الصيرفي قال: سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين فقال: والله لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام، فقال له الحسن: إي والله جعلت فداك لقد بغى عليه إخوته، فقال علي بن جعفر: إي والله ونحن عمومته بغينا عليه، فقال له الحسن: جعلت فداك كيف صنعتم فإني لم أحضركم؟

قال: قال له إخوته ونحن أيضاً: ما كان فينا إمام قط حائل اللون[٣]، فقال لهم الرضا عليه السلام: «هو ابني»، قالوا: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قضى بالقافة فبيننا وبينك القافة، قال: «ابعثوا أنتم إليهم، فأمّا أنا فلا، ولا تعلموهم لما دعوتموهم ولتكونوا في بيوتكم».

فلما جاءوا أقعدونا في البستان واصطف عمومته وإخوته وأخواته وأخذوا الرضا عليه السلام وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها ووضعوا على عنقه مسحاة وقالوا له: ادخل البستان كأنك تعمل فيه، ثم جاءوا بأبي جعفر عليه السلام فقالوا:

---

١. مدينة المعاجز ٨/ ٣٤.

٢. القافة: جمع القائف وهو الذي يعرف الآثار والأشياء ويحكم بالنسب.

٣. الحائل: المتغير اللون.

ألحقوا هذا الغلام بأبيه، فقالوا: ليس له ههنا أب، ولكن هذا عم أبيه، وهذا عم أبيه، وهذا عمه، وهذه عمته، وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان، فإن قدميه وقدميه واحدة، فلما رجع أبو الحسن عليه السلام قالوا: هذا أبوه.

قال علي بن جعفر: فقمت فمصصت ريق أبي جعفر عليه السلام ثم قلت له: أشهد أنك إمامي عند الله، فبكىٰ الرضا عليه السلام، ثم قال: «يا عم، ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإماء، ابن النوبية الطيبة الفم، المنتجبة الرحم، ويلهم لعن الله الأعيبس[1] وذريته، صاحب الفتنة، ويقتلهم سنين وشهوراً وأياماً يسومهم خسفاً ويسقيهم كأساً مصبرة، وهو الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة، يقال: مات أو هلك، أي واد سلك، أفيكون هذا يا عم إلّا مني»، فقلت: صدقت جعلت فداك[2].

وبعد ذكر الرواية يتّضح أن المقصود بـ«النوبية الطيبة» هنا، هي أُم الإمام الجواد عليه السلام، وأمّا المقصود بالابن فيمكن القول إن فيه احتمالان هو الابن المباشر وهو الإمام الجواد عليه السلام وهذا يتناسب مع سياق الرواية.

والثانية الابن بواسطة وهو الإمام القائم عجل الله فرجه وهو يتناسب مع الفقرة البعدية من الرواية «ويقتلهم سنين»، وتكون أُم الإمام الجواد عليه السلام أمًّا للإمام المهدي عجل الله فرجه باعتبارها جدة.

قال في معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: (المقصود بـ(ابن خيرة الإماء النوبية) الإمام الجواد عليه السلام الذي ورد في وصفه أنه يميل إلىٰ السمرة...)[3].

وقال في المعجم الموضوعي: (... ورد في تعبير (ابن خيرة الإماء) في حق الإمام المهدي عليه السلام وفي حق جده الإمام الجواد عليه السلام وأُمّه نوبية سوداء رضي الله عنها...)[4].

---

١. (ويلهم) أي ويل لبني العباس، و(الاعيبس) مصغر الأعبس وهو كناية عن العباس لاشتراكهما في معنىٰ كثرة العبوس أو هو من باب القلب والمستتر في تقتلهم للذرية (راجع كتاب الوافي ٢/ ٣٨٠).

٢. الكافي: ج٢، ص٣٢٢-٣٢٣.

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ج٤، ص١٥٨.

٤. المعجم الموضوعي: ص٧٧٤.

وقال العلامة المجلسي مضعفاً هذا القول، أي إن للقائم أُمًّا سوداء بقوله: (بيان قوله عليه السلام: «ابن أَمَة سوداء» يخالف كثيراً من الأخبار التي وردت في وصف أُمِّه عليها السلام ظاهراً، إلّا أن يحمل على الأُم بالواسطة أو المربية)[١].

القول الرابع: من المدينة المنورة:

وهذا الرأي ضعيف أيضاً وهو يفترض أن أُم القائم عجل الله فرجه هي مريم بنت زيد العلوية أخت محمد بن زيد والحسن بن زيد الداعي بطبرستان وهما من المدينة المنورة، فيكون أصلها وولادتها في المدينة المنورة.

قال الشهيد الأول[٢]، في الدروس: (أُمُّه صقيل، وقيل: نرجس، وقيل: مريم بنت زيد العلوية)[٣].

وإذا رجعنا إلىٰ المصادر التي قبل وقت الشهيد الأول لم نجد ذكراً لهذا الاسم إلّا من الخصيبي في كتابه (الهداية الكبرىٰ) المتوفىٰ سنة (٣٣٤هـ)، حيث ذكر ذلك وضعَّفه، وذكر أن الصحيح في اسم السيدة هو (نرجس)، قال: (وأُمُّه صقيل، وقيل: نرجس، ويقال: سوسن، ويقال: مريم ابنه زيد أخت حسن ومحمد بن زيد الحسيني الداعي بطبرستان، وأن التشبيه وقع علىٰ الحواري أُمّهات الأولاد والمشهور الصحيح: نرجس...)[٤].

وأمّا الحسن بن زيد فهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني الزيدي الملقب بالداعي الخارج بطبرستان، ولد ونشأ في المدينة ثم أقام بالعراق فضاقت عليه الأمور هناك، فقصد بلاد الديلم وأسلم علىٰ يده جماعة وسكن الري، ولما كثر ظلم محمد

---

١. بحار الأنوار: ج٥١، ص٢١٩.

٢. محمد بن مكي العاملي (٧٣٤-٧٨٦) هو المحقق الجليل المتضلع في الفقه المعروف بإمام الفقه، من مصنفاته كتاب (الذكرىٰ) و(الدروس الشرعية في فقه الإمامية) و(غاية المراد في شرح نكت الإرشاد) و(اللمعة الدمشقية) وغيرها (موسوعة طبقات الفقهاء (المقدمة): ج٢، ص٣٣٠).

٣. الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ج٢، ص١٦.

٤. الهداية الكبرىٰ: ص٣٢٨.

بن أوس البلخي في طبرستان كتب هو إلىٰ الحسن يبايعونه علىٰ أن يحكم فيهم بالعدل والإنصاف ويسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، فجاءهم وزحف بهم فاستولىٰ علىٰ طبرستان وكثر جيشه، فملك جرجان ونواحيها، ثم دخل الري بعد هزيمة جيوش المستعين العباسي ودعا إلىٰ الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، واستمر ملكه عشرين سنة وتوفي بطبرستان سنة (٢٧٠هـ)[١].

وأمّا أُم الحسن بن زيد، فهي آمنة بنت عبيد الله بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين عليه السلام[٢].

والمفروض أن مريم بنت زيد العلوية هي بنت لها وفي حدود تتبعنا لم نعثر في المصادر علىٰ بنت لآمنة أو لزيد بهذا الاسم، وهذا يضعف هذا الرأي كون أُم القائم عجل الله فرجه هي مريم بنت زيد، وقد ذكر أيضاً في المصادر أن ختن الحسن بن زيد الداعي الكبير هو أبو الحسين أحمد بن محمد بن إبراهيم[٣]، والختن[٤] هو زوج البنت أو زوج الأخت.

فلو كان الإمام العسكري عليه السلام ختنا للحسن بن زيد لذكرته المصادر التاريخية ولم تهمله، وكيف تهمل مثل هكذا شرط ولم تنقله، وهذا يجعلنا في اطمئنان أن مريم بنت زيد - إنْ وجدت - فهي ليست أُمًّا للقائم عجل الله فرجه.

الخلاصة:

وأنه يوجد أربعة أقوال في أصل السيدة نرجس عليها السلام:

الأول: المشهور أنه من بلاد الروم وهو الراجح لاشتهار رواية محمد بن بشر الشيباني واعتضادها بروايتين للفضل بن شاذان.

---

١. موسوعة طبقات الفقهاء: ج٣، ص١٨٥.

٢. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب - ابن عتبه: ق٨٢٨/ ٣١٦.

٣. عمدة الطالب: ٩٦.

٤. قال في لسان العرب: ١٣/ ١٣٨.

وأمّا الثاني: هو كونها ولدت في بيت السيدة حكيمة عليها السلام، فيأتي في المرتبة الثانية لتضعيفه من قبل المتقدمين كما ذكرنا.

وأمّا الثالث: وكونها من النوبة فقد تقدمت مناقشته.

وكذا الرابع: القائل بأنها مريم بنت زيد العلوية لا يمكن المصير إليه لما تقدم.

الشبهات والإشكالات المثارة حول السيدة نرجس عليها السلام:

الإشكال الأول:

إن إسلامها عليها السلام وزواجها كان في عالم الرؤيا[1]، وهو مما لا يمكن الاعتراف بشرعيته وقانونيته.

الجواب:

إن هذا الحديث وإن كان يشير إلىٰ حصول الخطبة والزواج في عالم الرؤيا، إلّا أنه بنفسه - أي الحديث - يذكر أنه تحقق في الواقع وأنها أصبحت مسلمة في عالم اليقظة، لاحظ حوارها مع الإمام الهادي عليه السلام حيث يقول: «... كيف أراك الله عزَّ الإسلام وذل النصرانية، وشرف أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله»؟

---

١. تقول السيدة نرجس عليها السلام: (... إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريين ومن القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار سبعمائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقواد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهو ملكه عرشاً مسوغاً من أصناف الجواهر إلىٰ صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة، فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكفا ونشرت أسفار الإنجيل، تسافلت الصلبان من الأعالي فلصقت بالأرض، وتقوضت الأعمدة فانهارت إلىٰ القرار، وخرَّ الصاعد من العرش مغشياً عليه، فتغيرت ألوان الأساقفة، وارتعدت فرائصهم... فأريت في تلك الليلة كان المسيح والشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدي... فدخل عليهم محمداً صلى الله عليه وآله مع فتية وعدة من بنيه فيقوم إليه المسيح فيعتنقه فيقول: يا روح الله إني جئتك خاطباً... - إلىٰ أن يقول: - وخطب محمد صلى الله عليه وآله وزوجني وشهد المسيح عليه السلام وشهد بنوا محمد صلى الله عليه وآله والحواريون، فلما استيقظت من نومي...). [كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٠].

قالت: كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به مني؟[١].

فإن تصريح الإمام عليه السلام بأن الله أراها الإسلام واعترافها هي برسالة الرسول صلى الله عليه وآله يدل على إسلامها[٢]، وأمّا زواجها فقد تم بإنشاء الإمام الهادي عليه السلام حيث يقول لأخته السيدة حكيمة: «... يا بنت رسول الله أخرجيها إلىٰ منزلك وعلِّميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد وأُم القائم عليه السلام...»[٣].

الإشكال الثاني:

إن حديث بشر النخاس دال علىٰ تساقط الصلبان والأعمدة من دون سبب ظاهر[٤].

الجواب:

يمكن استظهار سببين معقولين علىٰ هذه الحادثة:

أحدهما: استنكار بقاء هؤلاء علىٰ الدين المسيحي، مما يستدعي حصول هذا التساقط كإنذار لهم.

ثانيهما: استنكار زواج هذه المرأة من ابن عمها، فإنها مقدَّرة في علم الله تعالىٰ أن تكون زوجة للإمام العسكري عليه السلام وأُمًّا لصاحب الزمان عجل الله فرجه[٥].

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٣.

٢. هنا نشير فقط إلىٰ عناوين الأدلة علىٰ إسلامها عليها السلام، وللمزيد من التفصيل يمكن مراجعة مقالة (تمام الكلام في إسلام أُم الإمام عجل الله فرجه) للشيخ حميد الوائلي، أما الأدلة فهي:

أ - الوضوح عند الإمامية.

ب - عبادتها من صلاة وغيرها.

ج - طهارة أرحام أُمَّهات الأئمة عليهم السلام.

د - استحباب اختيار المرضعة المسلمة.

هـ - دفنها في بيت الإمامين العسكريين عليهما السلام.

و - وجودها في بيت ثلاثة من الأئمة: الإمام الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٣.

٤. المصدر السابق.

٥. تاريخ الغيبة الصغرىٰ: ص٢٥٢ (ذكرناه مختصراً).

ومن الراجح أن يكون زلزال القصر قد حدث كرامةً وإعجازاً للسيدة نرجس عليها السلام وليس كنتيجة طبيعية لوقوع زلازل في عدة مدن، على أننا وإن استظهرنا وجود سبب مادي للحادثة، فهذا لا يعني الجزم به، وليس العجز عن تفسير حادثة تساقط الصلبان الأعمدة بضار فيما نعتقده في أمر أُم الإمام عجل الله فرجه.

الإشكال الثالث:

وجود تنافي في الرواية، فإنها تنص في أولها على أن الإمام الهادي عليه السلام هو الذي كتب الكتاب حيث يقول بشر النخاس: (... فإذا أنا بكافور الخادم رسول مولانا أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام يدعوني إليه، فلبست ثيابي ودخلت عليه... فكتب كتاباً ملصقاً بخطٍ رومي ولغةٍ رومية، وطبع عليه بخاتمه...)[١]، بينما تدل بعد ذلك أن كاتبه هو الإمام العسكري عليه السلام حيث قالت الرواية: (... فدخل عليهم محمداً صلى الله عليه وآله مع فتية وعدة من بنيه، فيقوم إليه المسيح فيعتنقه فيقول: يا روح الله إني جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا، وأومأ بيده إلى أبي محمد صاحب هذا الكتاب...)[٢].

الجواب:

أولاً: أن الرواية دلَّت على أن الكاتب هو الإمام الهادي عليه السلام ولكن الجارية كانت تتوهم أن كاتبه هو الإمام العسكري عليه السلام[٣].

وثانياً: أن رواية الشيخ الطوسي لا يوجد فيها هذا التنافي بل فيها تصريح أن صاحب الكتاب هو الإمام الهادي عليه السلام حيث ورد في الفقرة الثانية: (وأومأ بيده إلى أبي محمد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب)[٤].

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٤١٩.
٢. المصدر نفسه: ٤٢١.
٣. تاريخ الغيبة الصغرى: ص٢٥٣ (ذكرناه مختصراً).
٤. الغيبة للشيخ الطوسي: ٢١١.

الإشكال الرابع:

هو إشكال على رواية محمد بن بحر الشيباني[١] ويقول الإشكال: إن الرواية تضمنت علم الإمام الهادي عليه السلام بالغيب مع أن الغيب لا يعلمه إلّا الله تعالىٰ.

الجواب:

لا ندَّعي أن الإمام يعلم بالغيب مباشرة ومن دون تعليم إلهي، ولكن إذا أراد أن يعلم شيئاً أعلمه الله تعالىٰ، وقد نطقت بذلك الأخبار، فعلم المعصوم يأتي في طول العلم الإلهي لا في عرضه لكي يستلزم محذور الاستقلالية، أي أن الإمام عليه السلام لا يعلمه بنفسه ولكن بتعليم منه تعالىٰ، يدل على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦-٢٧).

ومن الروايات ما ورد عن عمار الساباطي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام، يعلم الغيب؟ فقال: «لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك»[٢].

الإشكال الخامس:

إن الإيمان بمضمون الرواية يتوقف على الإيمان بالأحلام ومما لا شك.

الجواب:

إن الخرافة هي الفكرة القائمة على مجرد التخيلات دون الحصول في الواقع

١. في الرواية أن الإمام الهادي عليه السلام يخبر بشر النخاس بأمور مستقبلية غيبية: «... واحضر معبر الفرات ضحوة كذا، فإذا وصلت إلىٰ جانبك زوارق السبايا وبرزن الجواري منها، فستحدق بهم طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشراذم من فتيان العراق، فإذا رأيت ذلك فاشرف من البعد على المسمىٰ عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك إلىٰ أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرتين صفيقتين، تمتنع من السفور ولمس المعترض، والانقياد لمن يحاول لمسها ويشغل نظره بتأمل مكاشفها من وراء الستر الرقيق فيضربها النخاس فتصرخ صرخة رومية، فاعلم أنها تقول: واهتك ستراه...» [كمال الدين وتمام النعمة: ٤١٩].

٢. الكافي ١/ ٢٥٧.

وأن ما ذكر في الرواية صار مطابقاً للواقع فالمدار ليس على ما في الحلم وإنما على التحقق الخارجي.

ثانياً: يمكن القول إن البعض من الرؤيا تكون صادقة ولا بأس أن نذكر هنا بعضاً من الروايات الواردة حول الرؤيا الصادقة:

١ - عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «رأي المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزءاً من أجزاء النبوة»[١].

٢ - عن معمر بن خلاد، عن الرضا عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أصبح قال لأصحابه: هل من مبشرات؟ يعني به الرؤيا»[٢]، [٣]، وفيها دلالة على أهمية الرؤيا وكون البعض منها صادقاً.

٣ - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، قال: هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشر بها في دنياه»[٤].

٤ - عن سعد بن أبي خلف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله تعالى للمؤمن، وتحذير من الشيطان، وأضغاث أحلام»[٥].

---

١. الكافي ٢٦/ ٥٤٦.

٢. تقول السيدة نرجس عليها السلام: (... فرأيت أيضاً بعد أربع ليال كأن سيدة النساء قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف وصيفة من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيدة النساء أم زوجك أبي محمد عليه السلام، فأتعلق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمد من زيارتي، فقالت لي سيدة النساء عليها السلام: إن ابني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله وعلى مذهب النصارى، وهذه أختي مريم تبرأ إلى تعالى من دينك، فإن ملت إلى رضا الله عز وجل ورضا المسيح ومريم عنك وزيارة أبي محمد إياك فتقولي: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن - أبي - محمداً رسول الله، فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني سيدة النساء إلى صدرها فطيبت لي نفسي...) [كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٢].

٣. الوافي ٢٦/ ٥٤٧.

٤. الوافي ٢٦/ ٥٤٧ - ٥٤٨.

٥. الوافي ٢٦/ ٥٤٨.

ثالثاً: الرؤيا في الرواية يمكن حملها علىٰ نحو من الرمزية والإشارة إلىٰ الإلهام بقرينة الانطباق السريع والدقيق الحاصل بعد ذلك.

إشكالات الدكتور جاسم حسين:

ذكر الدكتور جاسم حسين في كتابه الغيبة[١]، عدة إشكالات حول رواية محمد بن بحر الشيباني[٢] خصوصاً الجزء الأخير منها ننقلها هنا مع جوابنا عليها.

الإشكال السادس:

لا توجد معركة كبيرة بين العباسيين والبيزنطيين بعد سنة (٢٤٢هـ)، وأيضاً لا توجد مؤشرات في المصادر علىٰ أن إمبراطور الروم أراد أو قام بتحرير حفيدته.

وهذا الإشكال يحتوي علىٰ نقطتين:

النقطة الأولىٰ: نفيٰ حصول معركة كبيرة بعد سنة (٢٤٢هـ).

النقطة الثانية: لا توجد مؤشرات علىٰ أن الإمبراطور أراد أو قام بتحرير حفيدته من العباسيين.

ونقدم الإجابة علىٰ النقطة الثانية.

فنقول:

١ - إن عدم العثور في المصادر علىٰ مؤشرات أن إمبراطور الروم قام بطلب الفداء لحفيدته نرجس، هذا لا يعني عدم وجود ذلك، فكما يقال عدم الوجدان لا يدل علىٰ عدم الوجود.

فالدكتور جاسم حسين لم يعثر علىٰ مؤشر، ولكن من قال لا يوجد أي مؤشر؟

ومن قال إنه استقصىٰ جميع المصادر التاريخية؟

---

١. الغيبة - د. جاسم حسين: ص٦٤.

٢. يقول بشر النخاس: (... وكيف وقعت في الأسارىٰ؟ فقالت: أخبرني أبو محمد عليه السلام ليلة من الليالي أن جدك سيسير جيشاً إلىٰ قتال المسلمين يوم كذا وكذا ثم يتبعهم، فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت ذلك فوقعت علينا طلايع المسلمين حتىٰ كان من أمري ما رأيت وشاهدت، وما شعر بأني ابنة ملك الروم إلىٰ هذه الغاية أحد سواك، وذلك باطلاعي إياك عليه...) [الغيبة للشيخ الطوسي: ٢١٣].

٢ - لو تنزلنا وقلنا: لا يوجد مؤشر علىٰ طلب الفداء، وأن ملك الروم لم يطلب، وربما يكون هذا لأسباب وموانع من قبيل أنه كان يراها قتلت، أو لأجل مانع لا نعلمه وعلىٰ أي حال أن الطعن في الرواية من هذا الجانب نراه ضعيفاً جداً.

والآن نرجع إلىٰ النقطة الأولىٰ: وقد حققنا وقوع معارك بين الروم والعباسيين ووجدنا وقوع معركة في التاريخ المذكور.

متىٰ وقعت المعركة؟

ينفي الدكتور جاسم حسين وقوع حرب كبيرة بعد (٢٤٢هـ)، وفي مقام الإجابة نقول لا يشترط أن تكون الحرب كبيرة وعظيمة حتىٰ يحصل فيها أسر، بل يمكن من وقوع بعض الغزوات حصول ذلك، وعلىٰ أي حال توجد في المصادر التاريخية عدة غزوات ومعارك ومناوشات حصلت بين المسلمين من جهة وبين الروم البيزنطيين من جهة أخرىٰ، وليس بالضرورة أن تقع الحرب بعد سنة (٢٤٢هـ)، فيمكن أن تكون قبل ذلك، ويقع الأسر غايته سوف تكون فترة بقاء السيدة نرجس عليها السلام في بيت السيدة حكيمة عليها السلام فترة طويلة، وهذا لا يشكل مانعاً.

الاحتمال الأول: أن المعركة وقعت سنة (٢٤٢هـ):

ذكر الطبري في أحداث سنة (٢٤٢هـ) قال: (خرجت الروم من ناحية شمشاط بعد خروج علي بن يحيىٰ الأرمني[1]، من الصائفة حتىٰ قاربوا آمد ثم خرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا عدة قرىٰ وأسروا نحواً من عشرة آلاف إنسان، وكان دخولهم من ناحية إبريق قرية قرباس ثم انصرفوا راجعين إلىٰ

١. علي بن يحيىٰ الأرمني أبو الحسن: قائد من الأمراء في العصر العباسي، أصله من الأرمن، استعرب أبوه، فنشأ في بيئة عربية، وولي الثغور الشامية ثم أرمينية وأذربيجان ومصر، وكان شديد الوطأة علىٰ الروم، له فيهم غزوات وفتوح، وقتل في إحدىٰ وقائعه معهم بالثغور الجزرية. (الأعلام غير الدين الزركلي ٥/ ٣١).

بلادهم فخرج قرباس وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوعة في إثرهم فلم يلحقوا منهم أحداً، فكتب إلىٰ علي بن يحيىٰ أن يسير إلىٰ بلادهم شاتيا)[١].

الاحتمال الثاني: أنها وقعت سنة (٢٤٥هـ):

قال الطبري في أحداث سنة (٢٤٥هـ): (وفيها أغارت الروم علىٰ سميساط فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمائة وغزا علي بن يحيىٰ الأرمني والصائفة)[٢]،[٣].

وكذلك قال ابن الجوزي في أحداث سنة (٢٤٥هـ)[٤].

وأيضاً ابن الأثير قاله في حوادث (٢٤٥هـ)[٥].

وكذا نقل الذهبي في أحداث نفس السنة[٦].

وقال ابن خلدون: (وفي سنة خمس وأربعين أغارت الروم علىٰ سميساط فغنموا، وغزا علي بن يحيىٰ الأرميني بالصائفة كركرة وانتقض أهلها علىٰ بطريقهم فقبضوا عليه وسلموه إلىٰ بعض موالي المتوكل فأطلق ملك الروم في فداء البطريق ألف أسير من المسلمين)[٧].

الاحتمال الثالث: أنها وقعت سنة (٢٤٦هـ):

قال الطبري في تاريخه: (ثم دخلت سنة (٢٤٦هـ)... فمن ذلك غزو عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة فأخرج سبعة آلاف رأس وغزوة قرباس، فأخرج خمسة آلاف رأس، وغزو الفضل بن قارن بحراً في عشرين مركباً فافتتح حصن

---

١. تاريخ الطبري ٧/ ٣٨٠ والصائفة هي الغزوة في الصيف (لسان العرب ٩ / ٢٠١) وتطلق علىٰ غزوة الروم لانهم يغزون صيفا لمكان البرد والثلج.

٢. سميت غزوة الروم الصائفة لأن سنتهم أن يغزوا صيفاً ويغفل عنهم قبل الشتاء لمكان البرد والثلج (لسان العرب ابن منظور ٩/ ٢٠٢).

٣. تاريخ الطبري ٧/ ٣٧٨.

٤. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك/ ابن الجوزي ١١/ ٣٣٠.

٥. الكامل في التاريخ ٧/ ٨٩.

٦. تاريخ الإسلام ١٨/ ١٦.

٧. تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٧٨.

أنطاكية، وغزوة بلكاجور فغنم وسّبىٰ، وغزو علي بن يحيىٰ الأرمني الصائفة فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحواً من عشرة آلاف...)[١].

وقال ابن الأثير في أحداث (٢٤٦هـ): (وفيها غزا عمرو بن عبد الله الأقطع الصائفة فأخرج سبعة عشر ألفاً...)[٢].

وقال ابن الجوزي قبل ذلك[٣].

الاحتمال الرابع: أنها وقعت سنة (٨٤٢هـ):

قال ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة (٢٤٨هـ): (في هذه السنة أغزىٰ المنتصر وصيفاً التركي إلىٰ بلاد الروم وكان سبب ذلك... وأمر وصيفاً أن يوازي ثغر ملطية... كتب إليه المنتصر يأمره بالمقام بالثغر أربع سنين يغزو في أوقات الغزو منها... وفيها غزا الصائفة وصيف وكان مقيماً بالثغر الشامي فدخل بلاد الروم فافتتح حصن فرورية)[٤].

وقال في موضع آخر: (ووصل إلىٰ إفريقية خفاجة بن سفيان أميراً علىٰ صقلية، فوصل في جمادىٰ الأولىٰ سنة (٢٤٨)، فأول سرية أخرجها سرية فيها ولده محمود فقصد سرقوسة[٥]، فغنم وخرب وأحرق وخرجوا إليه فقاتلهم فظفر وعاد فاستأمن إليه أهل رغوس)[٦].

الاحتمال الخامس: أنها في سنة (٩٤٢هـ):

ذكر ابن الأثير في حوادث سنة (٢٤٩هـ): (في هذه السنة غزا جعفر بن

---

١. تاريخ الطبري ٧/ ٣٨٨.

٢. الكامل في التاريخ ٧/ ٩٣.

٣. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١١/ ٣٤٠.

٤. الكامل في التاريخ٧/ ١١، وذكر هذا الاحتمال مركز الأبحاث العقائدية فراجع.

٥. مدينة في جزيرة صقلية.

٦. الكامل ٧/ ١٠٦.

دينار الصائفة فافتتح حصناً ومطامير واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع في المسير إلىٰ بلاد الروم، فأذن له، فسار في خلق كثير من أهل ملطية، فلقيه الملك في جمع عظيم من الروم بمرج الأسقف، فحاربه محاربة شديدة قتل فيها من الفريقين خلق كثير.

ثم أحاطت به الروم وهم خمسون ألفاً، وقتل عمر وممن معه ألفان من المسلمين في منتصف رجب، فلما قتل عمر بن عبيد الله خرج الروم إلىٰ الثغور الجزرية وكلبوا عليها وعلىٰ أموال المسلمين وحرمهم فبلغ ذلك علي بن يحيىٰ وهو قافل من أرمينية إلىٰ ميافارقين في جماعة من أهلها ومن أهل السلسلة، فنفر إليهم فقتل في نحو من أربعمائة رجل وذلك في شهر رمضان)[١].

وقال اليعقوبي في تاريخه في أحداث سنة (٢٤٩هـ): (وولىٰ المستعين علي بن يحيىٰ الأرمني أرمينية في هذه السنة... وأغارت الروم وتوسطت بلاد المسلمين... فلقي عسكر الروم، فقاتل قتالاً شديداً، فقتل، وأخذ الروم بدنه، وعدوه فتحاً عظيماً لما كان قد أشجاهم)[٢].

وقال المسعودي (ت ٣٤٦هـ) في مروج الذهب: (وكانت وفاة عمرو بن عبيد الله الأقطع، وعلي بن يحيىٰ الأرمني في سنة واحدة...، وذلك في (٢٤٩هـ) في خلافة المستعين بالله... وقد كان عمرو بن عبيد الله غازياً في تلك السنة في الملطيين، فلقي ملك الروم في خمسين ألفاً)[٣].

الاحتمال السادس: أنها في سنة (٢٥٢هـ):

قال الطبري في تاريخه في حوادث سنة (٢٥٠هـ): (وغزا الصائفة فيها بلكاجور...)[٤].

١. الكامل ٧/ ١٢١.
٢. تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٩٦.
٣. مروج الذهب ٤/ ١٢٥.
٤. تاريخ الطبري ٧/ ٤٣٤.

الاحتمال السابع: أنها في سنة (١٥٢هـ):

قال الطبري في تاريخه في حوادث سنة (٢٥١هـ): (وفيها كانت لبلكاجور غزوة فتح فيها ذكر فيها مطمورة أصاب فيها غنيمة كثيرة وأسر جماعة من الأعلاج وورد بذلك على المستعين كتاب تاريخه يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥١هـ...)[١].

الاحتمال الثامن: أنها في سنة (٢٥٢هـ):

قال ابن الأثير في الكامل: (وفي سنة ٢٥٢ سار خفاجة إلى سرقوسة ثم إلى جبل النار... ففتحها وسبى أهلها)[٢].

الاحتمال التاسع: أنها في سنة (٣٥٢هـ):

قال ابن الأثير: (وفي سنة ٢٥٣ سار خفاجة من بلرم إلى مدينة سرقوسة وقطانية... وسارت سراياه إلى أرض صقلية فغنموا غنائم كثيرة...)[٣].

الاحتمال العاشر: أنها في سنة (٤٥٢هـ):

قال ابن الأثير: (وفي سنة ٢٥٤ سار خفاجة... وسير ابنه محمد على الحراقات وسّير سرية إلى سرقوسة فغنموا وأتاهم الخبر أن بطريقاً قد سار من القسطنطينية في جمع كثير فوصل إلى صقلية فلقيه جمع من المسلمين فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة ورحل خفاجة إلى سرقوسة...)[٤].

الاحتمال الحادي عشر: أنها في سنة (٥٥٢هـ):

قال ابن الأثير: (وفي سنة ٢٥٥ سير خفاجة ابنه محمد إلى مدينة طبرسين (صقلية)... وشرعوا في السبي والغنائم)[٥].

---

١. تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٦.
٢. الكامل ٧/ ١٠٦.
٣. الكامل ٧/ ١٠٦.
٤. الكامل ٧/ ١٠٦.
٥. الكامل ٧/ ١٠٦.

أي الاحتمالات أرجح:

بعد ذكر الاحتمالات حول السنة التي وقعت فيها الحرب بين المسلمين والروم ومن ثم تأسير السيدة نرجس عليها السلام يمكن القول بترجيح الاحتمال الخامس، أي وقوع الحرب سنة (٢٤٩هـ) فإنه أقرب الاحتمالات للأسباب التالية:

١ - إنها حرب شديدة وقد قتل فيها خلق كثير ومقتل عمر بن عبد الله الأقطع.

٢ - إن ملك الروم كان حاضراً في المعركة وهذا يتطابق مع رواية محمد بن بحر الشيباني التي يفهم منها بحضوره في المعركة[١].

٣ - إن هذه السنة تتناسب مع كون عمر السيدة نرجس عليها السلام في سن الزواج أو قبل هذا السن بقليل حيث إن تاريخ زواجها من المحتمل أنه سنة (٢٥٤هـ) علىٰ أبعد التقادير أو بدايات سنة (٢٥٥هـ)، وذلك لأن عادة النساء الوضع والولادة بعد سنة بناءً علىٰ أن ولادة الحجة عجل الله فرجه حصلت سنة (٢٥٥هـ) كما هو الأشهر.

الإشكال السابع:

الرواية لم يشر إليها القمي[٢] والنوبختي[٣] والكليني والمسعودي المعاصرون

---

١. يقول بشر النخاس مخاطباً السيدة نرجس عليها السلام: (... فقلت لها: وكيف وقعت في الأسر؟ فقالت: أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي أن جدك سيسرب جيوشاً إلىٰ قتال المسلمين يوم كذا، ثم يتبعهم فعليك باللحاق بهم...) [كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٢].

٢. يقصد بالقمي يعني سعد بن عبد الله الأشعري القمي المتوفىٰ سنة (٢٩٩هـ) أو بعدها بسنتين وهو صاحب كتاب المقالات والفرق وأسمائها وصنوفها (الذريعة ٢١ / ٣٩٤).

٣. ويقصد بالنوبختي هو أبو محمد الحسن بن موسىٰ النوبختي المتوفىٰ بعد الثلاثمائة وهو صاحب كتاب فرق الشيعة (الذريعة ١٦/ ١٧٩).

للـراوي محمـد بـن بحـر الشـيباني[١] إضافـة إلىٰ اتهـام الشـيباني بالغلـو مـن قبـل الكـشي والنجـاشي وابـن داود[٢].

الجواب: ضمن نقاط:

١ - أمّـا أن الروايـة لم يذكرهـا سـعد بـن عبـد الله الأشـعري القمـي فإنـه مـن علـماء الـكلام وكتابـه يتحـدث عـن الفـرق والاعتقـادات، وليـس هـو كتـاب حديـث لتذكـر فيـه الروايـات كـما هـو حـال كتـاب كـمال الديـن للشـيخ الصـدوق الـذي نقـل الروايـة، وليـس مـن دأب علـماء الـكلام نقـل الروايـات سـيما إذا كانـت طويلـة.

٢ - إن عـدم الوجـدان لا يـدل عـلىٰ عـدم الوجـود، وهـل عـدم نقـل القمـي لهـا، يعنـي أنهـا مكذوبة.

٣ - أمّـا الشـيخ الكلينـي الـذي اهتـم بنقـل الأصـول والفـروع فعـدم نقلـه لهـذه الروايـة ربـما يكـون بسـبب عـدم وصولهـا إليـه وليـس كل شيء لم يذكـره فهـو غـير صـادر، فبعـض الروايـات لم ينقلهـا الشـيخ الكلينـي، ومـع ذلـك فـإذا ثبتـت مـن خـلال الكتـب الأخـرىٰ تكـون حجـة يؤخـذ بهـا.

٤ - وأمّـا المسـعودي فإنـه مـن المؤرخـين وعـدم ذكـره للروايـة لا يـدل عـلىٰ عـدم مجـيء السـيدة نرجـس مـن تلـك البـلاد كـما هـو واضـح، نعـم المسـعودي نقـل روايـة أخـرىٰ في ولادة السـيدة نرجـس وأنهـا ولـدت في بيـت السـيدة حكيمـة عليها السلام وقـد تقـدم ذكـر ذلـك وبيـان وجـه الحـال فيـه.

---

١. محمد بن بحر الرهني أبو الحسين الشيباني ساكن نرماشير من أرض كرمان.
قال بعض أصحابنا: إنه كان في مذهبه ارتفاع، وحديثه قريب من السلامة.
ولا أدري من أين قيل ذلك.
لـه كتـب، منهـا: كتـاب البـدع، كتـاب البقـاع، كتـاب التقـوىٰ، كتـاب الاتبـاع وتـرك المـراء في القـران، كتـاب البرهـان، كتـاب الأول والعـشرة، كتـاب المتعـة، كتـاب القلائـد، فيـه كلام عـلىٰ مسـائل الخـلاف التـي بيننـا وبـين المخالفـين (رجـال النجـاشي: ٣٨٤).

٢. الغيبة - د. جاسم حسين: ص٦٥.

٥ – وأمّا اتّهام الشيباني بالغلو فيمكن الإجابة عنه بما يلي:

أ – فإن الغلو هو تجاوز الحد والخروج عن القصد قال تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء: ١٧٧)، يطلق علىٰ من يقول في النبي والأئمة عليهم السلام بالألوهية أو أنهم شركاء في الخلق والرزق.

وله إطلاقات أخرىٰ فيطلق علىٰ من يقول بنفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وكذا علىٰ الراوي الذي يبالغ في نقل معجزاتهم عليهم السلام وهذان الإطلاقان مقبولان، أي لا يشكلان مشكلة عقائدية، قال السيد الخوئي قدس سره: (علىٰ أن بعض أنواع الغلو يمكن القول به كما في نفي السهو عن الأئمة عليهم السلام).

ويظهر أن إطلاق الغلو علىٰ محمد بن بحر الشيباني كان بسبب نقله فضائل الأئمة عليهم السلام وقوله بتفضيلهم علىٰ الأنبياء والملائكة علىٰ الأنبياء، وإذا كان هذا السبب فهذا ليس فيه مشكلة عقائدية ولا يؤدي إلىٰ ضعف في الراوي.

ب – إن ظاهر عبارة النجاشي إن الاتّهام عليه بالغلو من البعض، وليس من النجاشي بل يظهر أن النجاشي يجيب عنها بأن رواياته وأحاديثه قريبة من السلامة، أي لا يوجد فيها غلو أو ارتفاع[١]، أو تفويض[٢]، وأمّا ما رماه به الكشي من الغلو في ترجمة زرارة بن أعين فيبدو أن السبب هو تفضيله الأئمة عليهم السلام علىٰ الملائكة في الرسالة التي أوردها الشيخ الصدوق في العلل ونقلها الشيخ المجلسي في بحاره، وكيف ما كان، فإن الظاهر من كلمات الرجاليين أنه غير متهم بالكذب والخيانة فيصح الاعتماد عليه[٣].

---

١. الارتفاع هو التجاوز بالأئمة عليهم السلام إلىٰ ما لا يجوز وهو قسم من الغلو.

٢. التفويض عبارة عن تسليم الأمر إلىٰ الخلق ورده إليه وهو علىٰ وجهين أحدهما تفويض أمور الخلق إلىٰ أنفسهم وهو الذي قال به القدرية، والوجه الثاني تفويض أمور الخلق إلىٰ النبي والأئمة عليهم السلام. (للمزيد راجع منهاج البراعة ٤/ ٣٥٨).

٣. مجموعة الرسائل للشيخ الصافي الكلبايكاني ٢ / ١٤٩.

الإشكال الثامن:

إنها كانت تدين بالمسيحية وأن والديها مشركان؟

الجواب:

يمكن ذكر عدة أدلة علىٰ إسلامها عليها السلام[١] منها:

الدليل الأول: عبادتها:

تصرح النصوص الشريفة أن السيدة نرجس عليها السلام كانت تمارس العبادة الإسلامية من وضوء وصلاة وغيرها كما أنها تعلمت الأحكام الواجبة وغيرها من السيدة حكيمة عليها السلام، وهذا يدل علىٰ أنها كانت مسلمة، جاء في كمال الدين: (ثم قامت فصلت...)[٢]، وفي كتاب الغيبة: (... ثم عادت فصلَّت صلاة الليل وبلغت إلىٰ الوتر...)[٣]، وقال الإمام الهادي عليه السلام للسيدة حكيمة: «يا بنت رسول الله أخرجيها إلىٰ منزلك وعلِّميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام»[٤].

الدليل الثاني: الوضوح عند الإمامية:

هناك وضوح عند الإمامية علىٰ إسلام أُمِّ الإمام المهدي عجل الله فرجه، فلم يثبت عندهم مخالف في هذه المسألة، فالإمامية لم يعهد عنهم أنها عليها السلام بقيت علىٰ نصرانيتها أو أنها مشركة، ولو كان هذا الأمر معروفاً لكان بائناً.

الدليل الثالث: طهارة أرحام أُمَّهات الأئمة عليهم السلام:

ما دلَّ علىٰ أن أُمَّهات الأئمة عليهم السلام أرحامهم طاهرة حيث ورد في زيارة أئمة البقيع عليهم السلام: «... لم تزالوا بعين الله ينسخكم في أصلاب المطهرين وينقلكم في

---

١. نقلنا الأدلة جلّها، ولكن بتصرف من مقالة (تمام الكلام في إسلام أُمِّ الإمام عليها السلام) للشيخ حميد الوائلي.

٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٤.

٣. الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٣٥.

٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٣.

أرحام المطهرات، لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء، و لم تشرك فيكم فتن الأهواء، طبتم وطاب منبتكم»[١]، فإن الفقرات «أصلاب المطهرين» و«أرحام المطهرات» و«لم تدنسكم» و«طاب منبتكم»، تدل على طهارة أُمَّهات الأئمة عليهم السلام من الكفر وكذا السفاح.

ويمكن القول إنها تدل على إسلامها ولو بالمعنى الأعم، أي بمعنى ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج: ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١)، فيدل على إسلام السيدة نرجس عليها السلام ولو بالمعنى الأعم للإسلام.

وأيضاً ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «... أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها...»[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٩)، حيث نقل عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «ونقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية»[٣]، وقد اختلف في تفسير معنى الطهارة فقيل بأنها تنزيه الأمهات عن السفاح، وقيل بأنها تنزيه الظهور والبطون عن الشرك[٤]، إذ لو كان أحد الآباء مشركاً لما استحق أن يوصف بالطهارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨).

وأيضاً يدل على ذلك قول الإمام الباقر عليه السلام: «... ثم أودعنا بذلك النور صلب آدم عليه السلام، فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام من صلب إلى صلب...»[٥]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «... ثم قذفنا في صلب آدم

١. الوافي: باب كيفية زيارة أئمة البقيع عليهم السلام: ١٣٧٦.
٢. مصباح المتهجد: ٧٢١.
٣. مستدرك سفينة البحار - الشاهرودي: ج١، ص٤٢.
٤. عقيدة أبي طالب - السيد طالب الرفاعي: ٩٣.
٥. بحار الأنوار: ج٢٥، ص٢٠.

ثم أخرجنا إلىٰ أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر...»[١].

وأيضاً ورد عنه صلى الله عليه وآله: «ما زلت أنتقل من أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام المطهرات...»[٢].

الدليل الرابع: استحباب اختيار المرضعة المسلمة:

يستحب للإنسان المسلم أن يختار لوليده المرضعة المسلمة، كما صرَّح بذلك الأصحاب، ومن البعيد جداً أن المعصوم - وهنا الإمام العسكري عليه السلام - أن يختار مرضعة غير مسلمة، لذا لابد أن تكون المرضعة التي اختارها - وهي زوجته السيدة نرجس عليها السلام - مسلمة، وهذا خير دليل علىٰ إسلامها عليها السلام. وتشير الرواية إلىٰ انحصار المرضعة في السيدة نرجس عليها السلام ولم تكن للإمام المهدي عجل الله فرجه مرضعة غيرها.

قالت السيدة حكيمة عليها السلام: (... فتناولته أُمُّه فأرضعته، فرددته إلىٰ أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف علىٰ رأسه، فصاح بطير منها، فقال له: «احمله واحفظه وردّه إلينا في كل أربعين يوماً»، فتناوله الطير وطار به في جو السماء وأتبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول: «أستودعك الله الذي أودعته أُم موسىٰ، موسىٰ»، فبكت نرجس فقال لها: «اسكتي فإن الرضاع محرَّم عليه إلّا من ثديك، وسيعاد إليك كما ردّ موسىٰ إلىٰ أُمّه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾»[٣].

ولننقل هنا بعض كلمات الأصحاب التي صرَّحت باستحباب اختيار المرأة المسلمة للرضاعة:

---

١. علل الشرائع: ج١، ص٢٠٨-٢٠٩.
٢. التفسير الكاشف: ج١، ص٢٠٥.
٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٩.

١ – قال العلامة الحلي في تذكرة الفقهاء: (يستحب ارتضاع العفيفة العاقلة المسلمة الوضيئة الحسنة. لما رواه محمد بن مروان عن الباقر عليه السلام، قال: قال لي: «استرضع لولدك بلبن الحسان، وإياك والقباح، فإن اللبن قد يعدىٰ»[١].

٢ – قال العلامة الحلي في تبصرة المتعلمين: (ويستحب اختيار المسلمة الوضيئة العفيفة العاقلة للرضاع)[٢].

٣ – قال الشهيد الثاني في الروضة البهية: ((ويستحب في) الاسترضاع (اختيار) المرضعة (العاقلة المسلمة العفيفة الوضيئة) الحسنة (للرضاع)، لأن الرضاع مؤثر علىٰ الطباع، والأخلاق، والصورة...)[٣].

الدليل الخامس: الدفن في بيت الإمامين العسكريين عليهما السلام:

من الأحكام المجمع عليها هو أنه لا يجوز دفن غير المسلم في مقبرة المسلمين، ومن الثابت تاريخياً أن السيدة نرجس عليها السلام دفنت في بيت الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام، فلو كانت غير مسلمة فلم يصح دفنها في هذه البقعة الطاهرة.

قال في أعيان الشيعة: (وكان طريق السرداب ودرجه من داخل حرم العسكريين عليهما السلام قريباً من قبر نرجس أُم المهدي عجل الله فرجه)[٤].

ولننقل هنا نماذج من كلمات الفقهاء والدالة علىٰ عدم جواز دفن غير المسلم في مقبرة المسلمين:

١ – قال العلامة الحلي: (ولا يدفن في مقبرة المسلمين غيرهم إلّا الذمية الحامل من المسلم، فيستدبر بها القبلة)[٥].

---

١. تذكرة الفقهاء: ج٢، ص٦٢٧.
٢. تبصره المتعلمين في أحكام الدين: ١٧٧.
٣. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ج٥، ص١٦٥.
٤. أعيان الشيعة: ج٢، ص٥٨٨.
٥. تبصرة المتعلمين في أحكام الدنيا: ٣١.

٢ - وقال الشهيد الأول: (أجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يدفن في مقابر المسلمين كافر لئلا يتأذى المسلمون بعذابهم، ولأنها إن كانت وقفاً ففيه إخراج له عن شرطه ولأنه أنسب بتعظيم المسلم)[١].

٣ - وقال المحقق الكركي: (لا يجوز أن يدفن في مقبرة المسلمين غيرهم من الكفار على اختلاف أنواعهم، كما لا يجوز تغسيلهم وتكفينهم...)[٢].

الدليل السادس: ولادتها في بيت السيدة حكيمة على قول:

بناءً على من يقول إن السيدة نرجس عليها السلام ولدت في بيت السيدة حكيمة عليها السلام، فإن مسألة إسلامها تكون واضحة، إذ تكون قد ولدت في بيت من بيوتات أولاد الأئمة عليهم السلام.

الدليل السابع: وجودها في بيت ثلاثة من الأئمة عليهم السلام:

إن السيدة نرجس عليها السلام عاشت في بيت ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم الإمام الهادي والإمام العسكري والإمام المهدي عجل الله فرجه، ومن البعيد جداً أن تكون غير متأثرة بأجواء هذا البيت ولا تكون مسلمة.

الإشكال التاسع:

هناك تناقض بين كونها أَمَة سوداء، وبين كونها رومية؟

الجواب:

وهنا ننقل جواب العلامة المجلسي رحمه الله وهو يعلق على رواية الشيخ النعماني[٣]، حيث يقول: (قوله عليه السلام: «ابن أمة سوداء» يخالف كثيراً من الأخبار التي وردت في وصف أُمِّه عليها السلام ظاهراً، إلّا أن يحمل على الأُم بالواسطة أو المربية)[٤].

---

١. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ج٢، ص٤٢.
٢. جامع المقاصد: ج١، ص٤٤٧.
٣. الغيبة للنعماني ١٦٦.
٤. بحار الأنوار ٥١/ ٢١٩.

ولعل المقصود بالأُم بالواسطة هي السيدة خيزران[١] أُم الإمام الجواد عليهما السلام[٢].

الإشكال العاشر:

إن السيدة نرجس عليها السلام حملت بالإمام المهدي عجل الله فرجه ولكن كان حملها في الجنب، وليس في البطن وأنه عجل الله فرجه ولد من الفخذ[٣].

الجواب:

هذا الإشكال مأخوذ من الرواية القائلة على لسان الإمام العسكري عليه السلام: «... إنّا معاشر الأوصياء، لسنا نحمل في البطون وإنما نحمل في الجفون، ولا نخرج من الأرحام، وإنما نخرج من الفخذ ولا يمكن من أمهاتنا لأننا نور الله لا تنالـه الدانسات...»[٤].

١ – هذه الفقرة من الرواية وردت كزيارة تفرد بها الحسين بن حمدان الخصيبي ولم تذكر في رواية كمال الدين.

٢ – ورد أن السيدة مريم عليها السلام أيضاً أنها ولدت عيسىٰ عليه السلام من الفخذ[٥]، فإذا قبلناه هناك فلنقبله هنا.

٣ – يوجد تعليل في الرواية يذكر السبب، وأن سبب الولادة من الفخذ لكي لا يدنسوا عليهم السلام بالنجاسات، حيث إن الولادة الطبيعية تكون مصحوبة بالدم الذي هو نجس ظاهراً، ولأنهم أنوار الله تعالىٰ فلا يمكن أن ينجسهم دم الولادة.

٤ – الرواية تنص علىٰ حصول معجزة من الله تعالىٰ كرامة لهذا المولود الطاهر، لذا من الممكن مخالفة العادة والقوانين لأنها معجزة.

٥ – لو سلَّمنا عدم الأخذ بهذه الرواية فإنه لا يترتب عليه أثر، فالولادة حاصلة علىٰ كل حال.

---

١. قد يظهر ذلك من رواية الكافي التي نقلناها في المقدمة في القول الثالث.

٢. ويرىٰ البعض أن كلمة (سوداء) في نسخة النعماني زائدة (راجع معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ج٣، ص٢٣٩).

٣. متىٰ يشرق نورك أيها المنتظر – عثمان الخميس: ١٥٢.

٤. بحار الأنوار: ج٥١، ص٢٦، وقد نقل العلامة المجلسي هذه الرواية من كتاب الهداية الكبرىٰ للحسين بن حمدان الخصيبي وهو المصدر الأصلي لهذه الرواية.

٥. الموقع الالكتروني لمركز الأبحاث العقائدية – الأسئلة العقائدية – النبي عيسىٰ عليه السلام – رواية ولادته من الفخذ الأيمن.

ALMAUOOD

أخبار المهديين بين النفي والإثبات

السيد زين العابدين المقدس الغريفي

إن المتدبر في النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة يدرك عظمة شخصية (المهدي عجل الله فرجه) ومنصبه؛ لكونه الامتداد الطبيعي لسلسلة الحجج المجعولة من المولىٰ عزّ وجلّ علىٰ الناس في كل زمان ومكان، إذ لولاهم لساخت الأرض بأهلها وانقطع سبب بقائها وديمومتها، طبقاً لمبدأ الاصطفاء الإلهي لقوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨).

إذ إن التنصيب الإلهي للمهدي المنتظر عجل الله فرجه أمر مقطوع عند الإمامية، وقد وردت فيه الأحاديث المتواترة، منها ما رواه الصدوق بسند صحيح عن الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنىٰ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلِّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتىٰ يردوا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»[1].

وما رواه الصدوق بسند معتبر عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام

١. الصدوق، محمد بن علي: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٦٠ باب النصوص علىٰ الرضا عليه السلام بالإمامة في جملة الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام ح٢٥.

قال: «قال رسول الله ﷺ: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتىٰ تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[١].

ولكون خروجه عجل الله فرجه في آخر الزمان، فقد استفاضت النصوص الشريفة في بيان أحواله في غيبته، وما يرافق ذلك من الفتن والاضطرابات، والعلامات الملازمة للظهور الشريف، وما يحدث بعده من قضايا غيبية، وكان منها مورد البحث، وهي أخبار «المهديين الاثني عشر» وما يرتبط بها من زواج الإمام عجل الله فرجه وإنجابه للذرية والأولاد.

وفي الجملة: إن أمثال هذه الأخبار الغيبية لا تخلو من غموض وإبهام، حيث يقع فيها الخلط والاشتباه، والتعارض والاضطراب، لعوامل وأسباب كثيرة، منها:

جهل الرواة بموضوعاتها واعتمادهم علىٰ النقل بالمعنىٰ واختلاط الصحيح منها بالضعيف بل والموضوع أحياناً[٢]، ودخول الإسرائيليات فيها لأغراض

١. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة: باب ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الغيبة بالقائم عجل الله فرجه ح٤.

٢. يعد الوضع والدس في الأخبار من أقدم الظواهر التي رافقت تدوين السنة الشريفة، تبعاً لأغراض ودواعي متعددة، منها ما يرجع لغرض سياسي كترجيح كفة الحاكم أو تصحيح بعض تصرفاته أو إبعاد الأُمّة وإشغالها بوضع أخبار تروِّج لقصص وحكايات لا أصل لها، ومنها ما كان دينياً فيضع كل مذهب أخباراً توافق معتقداته ومبانيه، وغيرها من الأسباب، وغالباً ما يشتمل الخبر الموضوع علىٰ خصوصيات في السند أو المتن تشابه الخبر الصحيح وتماثله إلىٰ حد كبير فيضع السند الصحيح لمتن مكذوب، فيشتبه الحال علىٰ غير المتخصص ويظنها صحيحة لعدم وجود المعرفة الكافية في تمييز الموضوعات والمكذوبات، حتىٰ تسرب بعضها إلىٰ بعض المدونات الحديثية، ونتيجة لتقادم الزمان قد يختلط علىٰ المتأخرين أمرها، وقد سعىٰ علماؤنا قدس سرهم إلىٰ غربلتها وتجنبها بالرجوع إلىٰ الأصول المعتبرة والأخذ منها لاسيما في كتبنا الأربعة، وفي مثل هذه الحالات يقوم الفقيه أو المحدث بعرض هذه الأخبار الغريبة علىٰ القرآن أو السنة المقطوعة أو المتسالم عند الأصحاب، فإن وافقها يؤخذ بها وإلّا فتسقط عن الحجية والاعتبار أو يرجئ علمها إلىٰ المعصوم عليه السلام.

دينية وسياسية، ومن أهمها: تعمد أئمة أهل البيت عليهم السلام إخفاء بعض الحقائق واعتمادهم طريق الإشارات والرموز في بيان تلك الأحداث، لأجل الحفاظ على سلامة الحجة المنتظر عجل الله فرجه في غيبته والتمهيد لظهوره وقيامه؛ ومن هنا يلزم عقلاً عدم الركون إليها كلياً ما لم يثبت منها بدليل يفيد القطع أو الاطمئنان أو الحجة المعتبرة.

ولذا فقد استغل بعض الأدعياء على طول خط التاريخ الإسلامي هذه القضية، لكونها تمثل الأمل الذي ينتظره المستضعفون برفع الظلم والحيف عنهم، حيث استفادوا من انتشار الجهل والفقر في كثير من المدن والمناطق الإسلامية لخداعهم ببعض الأباطيل وإيهامهم بدعوى المهدوية أو السفارة عنه، بيد أنه سرعان ما يفتضح أمرهم ويكشف زيفهم لعدم امتلاكهم الحجة، وانكشاف أهدافهم وغاياتهم من هذه الدعوى وأشباهها.

ومن أهم ما استند عليه هؤلاء في إثبات دعواهم هي (أخبار المهديين)، حيث أخذوا يروجون بانطباق مضمونها على صاحبهم بإسقاط فروض واحتمالات تعكس متبنياتهم وقبلياتهم النفسية والاجتماعية والسياسية، فخرجوا لنا برؤية هجينة بعيدة عن مدلول الروايات، ولهذا كان لابد من مناقشتها سنداً ودلالة من خلال الرجوع إلى المصادر الأصلية، وتشخيص نقاط الخطأ في الاستدلال، وازالة مواطن الإبهام والاشتباه حتى لا نقع في شباك الدعاوى الضالة.

وسوف يقع الكلام على مطالب أربعة:

المطلب الأول: عرض روايات المهديين ونقدها:

تعددت الإخبارات الغيبية لأئمة أهل البيت عليهم السلام حول علامات آخر الزمان وما يحدث فيها ويخرج منها من أشخاص وأفراد، سواء من جهة

دولة الحق وأعوانها أم دولة الباطل وأعوانها، وكان من جملة ما أخبروا به هو خروج اثني عشر مهدياً بعد ظهور المهدي المنتظر عجل الله فرجه ويظهر من خلال التتبع والاستقراء لكتب الحديث الشريف عند الإمامية أنها أخبار آحاد لا ترتقي لمستوىٰ الاطمئنان فضلاً عن القطع، وهي إجمالاً سبعة أخبار جميعها مخدوشة سنداً ودلالة بحيث لا تصلح للاحتجاج فضلاً علىٰ إثبات أمر عقدي، وسوف يقع الكلام في جهات ثلاث:

الأولىٰ: ذكر الأخبار المثبتة لظهورهم:

الخبر الأول:

ما رواه الطوسي بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي كانت فيها وفاته لعلي عليه السلام: «يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة». فأملا رسول الله صلى الله عليه وآله وصيته حتىٰ انتهىٰ إلىٰ هذا الموضع فقال: «يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماماً، سماك الله تعالىٰ في سمائه علياً المرتضىٰ، وأمير المؤمنين، والصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لأحد غيرك. يا علي أنت وصيي علىٰ أهل بيتي حيهم وميتهم... فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلىٰ ابنه محمد المستحفظ من آل محمد عليهم السلام. فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلىٰ ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي، هو أول المؤمنين»[1].

وهذا الخبر واهي الإسناد، إذ يحتوي علىٰ مجاهيل عدة، منهم: أحمد بن محمد بن الخليل وجعفر بن أحمد المصري، إضافة إلىٰ تصريح الحر العاملي بكونها عامية بقوله: (روىٰ الشيخ في كتاب الغيبة في جملة من الأحاديث التي

١. الطوسي، محمد بن الحسن - الغيبة: ١٥٥.

رواها من طرق العامة في النص على الأئمة عليهم السلام)[١]، فلا يمكن الاستدلال بها على إثبات أي قضية دينية فضلاً عما يرتبط بالأصول والعقائد كالاستناد إليها في إثبات السفارة والنيابة الخاصة.

مضافاً إلى إعراض علمائنا المتقدمين عنها مما يقتضي وهنها وسقوطها عن الحجية والاعتبار، فكل من تعرض لها نسبها إلى خلاف المشهور[٢]، إذ يمكن التساؤل: كيف صح أن يُعرِضوا عنها مع أهمية هذه القضية وخطورتها على الصعيد العقدي للإنسان الشيعي؟!، ولماذا انحصر ذكر الوصية بهؤلاء المهديين في رواية يتيمة ضعيفة السند، ولا يوجد ما يعضدها، بل القرائن والشواهد على خلافها أوضح وأبين؟!، فتأمل.

بل إن القراءة المتفحصة لها توجب سقوطها لظهور التناقض بين صدرها وذيلها، ففي صدر الرواية خص أمير المؤمنين عليه السلام بلقب (المهدي) ونفيه عن غيره مطلقاً، إذ الاستثناء بعد النفي في قوله: (فلا تصح هذه الاسماء لاحد غيرك) يفيد الحصر والقصر، بينما يسمي أول المهديين في نفس الرواية بالمهدي وهذا تناقض واضح.

مع وضوح بطلان الحصر، بعد أن صح في روايات مستفيضة أن وصف المهدي شامل لجميع الأئمة والمعصومين، منها ما رواه الصدوق بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما عرج بي إلى ربي جل جلاله أتاني النداء: يا محمد... يا محمد قد اخترت لك من الآدميين علي بن أبي طالب... وأعطيتك أن أخرج من صلبه أحد عشر مهدياً كلهم من ذريتك من البكر البتول،

١. الحر العاملي، محمد بن الحسن – الإيقاظ من الهجعة: ٣٩٤.

٢. ظ: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: الارشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٣٦٢؛ الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٣/ ٢٦٦؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن: اعلام الورى بأعلام الهدى: ٢/ ٢٩٥؛ البياضي، علي بن يونس: الصراط المستقيم: ٢/ ٢٥٢؛ وغيرهم.

وآخر رجل منهم يصلي خلفه عيسىٰ بن مريم، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت منهم ظلماً وجوراً»[١].

وما رواه الصفار بسنده عن عبد الرحمن بن سالم الأشل عن أبيه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا سالم إن الإمام هادي مهدي...»[٢].

وما رواه الصفار بسنده عن سليم الشامي أنه سمع علياً عليه السلام يقول: «إني وأوصيائي من ولدي مهديون، كلنا محدثون»، فقلت: يا أمير المؤمنين من هم؟ قال: «الحسن والحسين عليهما السلام ثم ابني علي بن الحسين عليه السلام» قال: وعلي يومئذٍ رضيع ثم ثمانية من بعده واحداً بعد واحد[٣].

وفي دعاء العشرات: «وَأَشْهَدُ أَنّ عَلِيّ بِنْ أَبِي طَالِب أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقّاً حَقّاً، وَأَنّ الأَئِمّةُ مِنْ وُلْدِهِ هُمْ الأَئِمّةُ الْهُدَاةُ الْمَهْدِيّونَ غَيْرُ الضَالّينَ وَلَا الْمُضِلّينَ»[٤].

ثم أن الذي له أسماء ثلاثة هو المهدي عجل الله فرجه لا ابنه، حيث روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عن حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر المهدي فقال: «أنه يبايع بين الركن والمقام اسمه أحمد وعبد الله والمهدي، فهذه أسماؤه ثلاثتها»[٥]، فيكون الضمير (له) راجع إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه لا إلىٰ ابنه، ليكشف عن احتمال حصول تحريف أو نقل بالمعنىٰ، فتدبر.

الخبر الثاني:

ما رواه الصدوق بسنده عن أبي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: يا بن رسول الله إني سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: (يكون بعد القائم اثنا عشر

١. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة: ١/ ٣٥٩ - ٣٦٠ باب نص الله تبارك وتعالىٰ على القائم ح١.
٢. الصفار، محمد بن الحسن: بصائر الدرجات: ٥٤٣ باب في التسليم لآل محمد ح٢١.
٣. الصفار، محمد بن الحسن: بصائر الدرجات: ٣٩٢ باب في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ح١٦.
٤. الطوسي، محمد بن الحسن: مصباح المتهجد: ٨٥؛ ابن طاووس، علي: فلاح السائل: فصل فيما نذكره من دعاء الغروب ح٢١.
٥. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٤٥٤.

مهدياً)، فقال: (إنما قال: اثنا عشر مهدياً، ولم يقل: اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلىٰ موالاتنا ومعرفة حقنا)[١].

وسنده مختلف فيه لوقوع علي بن أبي حمزة البطائني فيه، مضافاً إلىٰ تناقض دلالته مع الخبر المتقدم حيث ينفي عن المهديين وصف الإمامة بقرينة التفصيل، فيحمل عليه ليكون مفسراً لمضمونه وشارحاً لدلالته.

الخبر الثالث:

ما رواه الطوسي بسنده عن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل أنه قال: «يا أبا حمزة إن منا بعد القائم أحد عشر مهدياً من ولد الحسين عليه السلام»[٢].

وهذا الخبر يمكن أن يستظهر منه احتمالات عدة، منها أنه قد يراد منه خروج المهديين من ولد الحسين عليه السلام خاصة بعد رجعته، فلا علاقة لها بوجود ذرية للمهدي، مضافاً إلىٰ حصول التعارض بينه وبين الخبرين السابقين من حيث بيان عدد المهديين.

الخبر الرابع:

ما رواه الطوسي من دعاء مروي عن صاحب الزمان عجل الله فرجه بقوله: خرج إلىٰ أبي الحسن الضراب الأصفهاني بمكة بإسناد لم نذكره اختصاراً نسخته: (... اللهم صل علىٰ محمد المصطفىٰ وعلي المرتضىٰ وفاطمة الزهراء والحسن الرضا والحسين المصفىٰ وجميع الأوصياء مصابيح الدجىٰ وأعلام الهدىٰ ومنار التقىٰ والعروة الوثقىٰ والحبل المتين والصراط المستقيم وصل علىٰ وليك وولاة عهدك والأئمة من ولده، ومد في أعمارهم وزد في آجالهم وبلغهم أقصىٰ آمالهم ديناً ودنيا وآخرة إنك علىٰ كل شيء قدير)[٣].

١. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٨.

٢. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٤٧٨ فصل في ذكر طرف من صفاته ومنازله ح٥٠٤.

٣. الطوسي، محمد بن الحسن: مصباح المتهجد: ٢٩٠ - ٢٩٢.

وهذا الخبر ساقط سنداً لجهالة أبي ضراب الأصفهاني وهو: يعقوب بن يوسف، حيث أهمل ذكره في كتب الرجال، مضافاً إلىٰ جهالة الواسطة بين الطوسي والضراب، وبين الضراب والناحية المقدسة حيث لم يعلم أنه لقاه، ولو حصل اللقاء فلا يثبت حجيته إلا له خاصة؛ لعدم امكان اثبات صحته فضلاً عن القطع به.

ومخدوش دلالة من حيث إن وصف الأئمة مختص بالاثني عشر من العترة الطاهرة دون ما سواهم، وهذا الأمر مرتكز عند الشيعة الإمامية ودلت عليه الأخبار المتواترة منها ما رواه الصدوق بسنده عن الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي وأوليائي، وحجج الله علىٰ أمتي بعدي، المقر بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر»[1].

وما رواه أيضاً بسنده عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن سيد الشهداء الحسين بن علي عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها»[2].

فكل خبر يدل علىٰ إمامة غيرهم ساقط عن الحجية فلابد من تأويله وحمله علىٰ وجه يرتفع معه التعارض، كحمله علىٰ المعنىٰ اللغوي للإمام أو نصبهم قادة تحت لواء الإمام المنتظر عجل الله فرجه أو إرجاع الضمير إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام.

الخبر الخامس:

ما رواه الطوسي مرسلاً عن يونس بن عبد الرحمن: أن الرضا عليه السلام كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر بهذا: «اللهم ادفع عن وليك وخليفتك وحجتك علىٰ

١. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٩ باب ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله ح٤.
٢. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٢ باب ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله ح٣٥.

خلقك... اللهم صل علىٰ ولاة عهده والأئمة من بعده وبلغهم آمالهم وزد في آجالهم وأعز نصرهم وتمم لهم ما اسندت إليهم من أمرك لهم، وثبت دعائمهم واجعلنا لهم أعواناً وعلىٰ دينك أنصاراً، فإنهم معادن كلماتك وخزان علمك وأركان توحيدك ودعائم دينك وولاة أمرك وخالصتك من عبادك وصفوتك من خلقك وأولياؤك وسلائل أوليائك وصفوة أولاد نبيك والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته»[١].

وهو ساقط سنداً بالإرسال، وأمّا دلالة فليس نصاً في إثبات وجود أئمة بعد القائم المهدي عجل الله فرجه بلحاظ أن (صاحب الأمر) عنوان يطلق علىٰ كل إمام في عصره فيحتمل أن يراد منه الرضا عليه السلام أو ابنه الجواد عليه السلام، حيث يصح الدعاء له ولذريته من الأئمة عليهم السلام، ويؤيد ما ذكرناه أن وصف الأئمة مختص بالاثني عشر عليهم السلام، كما تقدم أن المهديين ليسوا أئمة في بعض الأخبار.

ولو أغمضنا النظر عما تقدم فإن هذا الدعاء لا يدل إلّا علىٰ قضية غيبية مستقبلية، حيث إنه صدر قبل ولادة المهدي عجل الله فرجه، فغاية ما تدل عليه أن المهدي سوف يولد وتكون له ذرية في المستقبل، وأمّا إطلاق وصف الأئمة عليهم فقد يراد منه المعنىٰ اللغوي الذي يقتضي التقديم كما في إمام الجماعة وقائد الجيش.

الخبر السادس:

خرج إلىٰ القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمد عليه السلام: «أن مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان فصمه وادع فيه بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك بحق المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته بكته السماء ومن فيها والأرض ومن عليها ولمّا يطأ لابتيها قتيل العبرة وسيد الأسرة

١. الطوسي، محمد بن الحسن: مصباح المتهجد: ٢٩٢ – ٢٩٣.

الممدود بالنصرة يوم الكرة المعوض من قتله أن الأئمة من نسله والشفاء في تربته والفوز معه في أوبته والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته حتىٰ يدركوا الأوتار ويثأروا الثأر ويرضوا الجبار...»[١].

حيث قيل: إن هذا نص صريح علىٰ وجود (الأوصياء بعد القائم) من ذرية الحسين عليه السلام عن طريق حفيده المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

بيد أن هذا فهم سقيم للرواية، إذ إن هذا الخبر مرتبط بزمان الرجعة بقرينة ذكر «الممدود بالنصرة يوم الكرة»، حيث يرجع الإمام الحسين عليه السلام لينتقم ممن ظلمه، فقد روىٰ الصدوق بسنده عن مثنىٰ الحناط، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «أيام الله عز وجل ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامة»[٢].

فيكون المراد من «والأوصياء من عترته بعد قائمهم» هم الأئمة المعصومين عليهم السلام في زمان الرجعة.

الخبر السابع:

ما ذكر مضمونه الشيخ المفيد في الإرشاد بقوله: (وليس بعد دولة القائم عليه السلام لأحد دولة إلّا ما جاءت به الرواية من قيام ولده إن شاء الله ذلك، ولم يرد به علىٰ القطع والثبات، وأكثر الروايات: أنه لن يمضي مهدي الأُمّة إلّا قبل القيامة بأربعين يوماً، يكون فيها الهرج، وعلامات خروج الأموات، وقيام الساعة للحساب والجزاء، والله أعلم بما يكون)[٣]، وقريب منه ما ذكره الأربلي[٤] والطبرسي[٥].

---

١. الطوسي، محمد بن الحسن: مصباح المتهجد: ٨٢٦.
٢. الصدوق، محمد بن علي: الخصال: ١٠٨ ح٧٥.
٣. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: الارشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد: ٣٦٢.
٤. ظ: الأربلي، علي بن عيسىٰ بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٣/ ٢٦٦.
٥. ظ: الطبرسي، الفضل بن الحسن: أعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ: ٢/ ٢٩٥.

وهو ضعيف سنداً بالإرسال، حيث إن الأعلام قد ذكروه بلا سند، ونسبوه إلىٰ خلاف المشهور، مما يقتضي ضعفه ووهنه.

قال البياضي العاملي: (الرواية بالاثني عشر بعد الاثني عشر شاذة، ومخالفة للروايات الصحيحة المتواترة الشهيرة بأنه ليس بعد القائم دولة، وأنه لم يمض من الدنيا إلّا أربعين يوماً فيها الهرج، وعلامة خروج الأموات، وقيام الساعة)[١].

الثانية: دراسة حول إمكانية صدور هذه الأخبار:

تبين من خلال العرض السابق ضعف أسناد هذه الأخبار؛ فتكون حينئذٍ خارجة عن نطاق الحجية، ولا يمكن التمسك بها لإثبات أمر عقدي، إذ لا يكتفىٰ بالظن فيه؛ بلحاظ أن العقيدة تتطلب إيماناً وإذعاناً قطعياً، وخبر الواحد لا يورث القطع وليس من شأنه ذلك، كما أن نسبتها بنحو القطع إلىٰ أهل البيت عليهم السلام قد تستلزم الكذب وهو قبيح عقلاً وشرعاً.

يقول الحر العاملي في معرض حديثه عنها: (فلا يخفىٰ أنها غير موجبة للقطع واليقين لندرتها وقلتها، وكثرة معارضتها، كما أشرنا إلىٰ بعضه، وقد تواترت الأحاديث بأن الأئمة اثني عشر، وأن دولتهم ممتدة إلىٰ يوم القيامة، وأن الثاني عشر خاتم الأوصياء والخلفاء... فلو كان يجب علينا الإقرار بإمامة اثني عشر بعدهم لوصل إلينا نصوص متواترة تقاوم تلك النصوص)[٢].

ومما يؤكد عدم صدورها معارضتها لطوائف كثيرة من الأخبار، منها:

الطائفة الأولىٰ: عدم وجود ولد لصاحب الأمر عجل الله فرجه:

حيث صرحت بعض الأخبار بعدم الذرية للإمام المهدي عجل الله فرجه في حضوره فضلاً عن غيبته، ومنها ما رواه الطوسي بسند معتبر عن الحسن بن علي الخزاز قال: دخل علي بن أبي حمزة علىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له: أنت

١. ظ: البياضي، علي بن يونس: الصراط المستقيم: ٢/ ٢٥٢.

٢. الحر العاملي، محمد بن الحسن: الإيقاظ من الهجعة: ٤٠١.

إمام؟ قال: «نعم»، فقال له: إني سمعت جدك جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: «لا يكون الإمام إلّا وله عقب». فقال: «أنسيت يا شيخ أم تناسيت؟ ليس هكذا قال جعفر عليه السلام، إنما قال جعفر عليه السلام: لا يكون الإمام إلّا وله عقب إلّا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي عليهما السلام فإنه لا عقب له»، فقال له: صدقت جعلت فداك هكذا سمعت جدك يقول[1].

فإن المهديين حسب الفرض هم من ذرية الإمام المهدي عجل الله فرجه، في حين أن هذا الخبر ينفي ذلك فيستقر حينئذٍ التعارض، مما يقتضي سقوطهما عن الحجية، بل قد يقال بترجيح عدم الولد، بلحاظ اعتبار سندها واعتضادها بطوائف أخرىٰ كأخبار رجعة الإمام الحسين عليه السلام بعد الإمام المهدي عجل الله فرجه بلا فصل، ونحوها.

مضافاً إلىٰ اضطراب أخبار المهديين، فيقتضي الأخذ بالوجه الذي يمكن معه الجمع، وهو حمل أخبار المهديين علىٰ كونهم من ولد الإمام الحسين عليه السلام بعد رجعته كما يحتمل من خبر البطائني[2] فتأمل.

فإن قلت: إن الجمع ممكن، بلحاظ أن المراد بالإمام الذي لا عقب له هو الثاني عشر من المهديين، حيث بموته يحل زمان الرجعة ويخرج عليه الإمام الحسين عليه السلام، فيرتفع حينئذٍ التعارض.

قلت: بأنه جمع باطل، لاختصاص وصف (الإمام) بالاثني عشر من العترة الطاهرة دون المهديين، ومما يؤكد ذلك ظهور أخبار الرجعة في تولي الحسين عليه السلام لدفن الحجة المنتظر عجل الله فرجه.

الطائفة الثانية: أخبار الرجعة:

وهي كثيرة، حيث تصرح برجعة الإمام الحسين عليه السلام بعد الإمام المهدي عجل الله فرجه

١. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٢٢٤ رقم ١٨٨.

٢. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٤٧٨ فصل في ذكر طرف من صفاته ومنازله ح٥٠٤.

مباشرة وبلا فصل، منها ما رواه الكليني بسنده عن عبد الله بن القاسم البطل، عن أبي عبد الله عليه السلام: «... خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهب لكل بيضة وجهان، المؤدون إلىٰ الناس أن هذا الحسين قد خرج حتىٰ لا يشك المؤمنون فيه وأنه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السلام جاء الحجة الموت فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين بن علي عليه السلام ولا يلي الوصي إلّا الوصي»[١].

وما روي بسنده عن أحمد بن عقبة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام: سأل عن الرجعة أحق هي؟ قال: «نعم»، فقيل له: من أول من يخرج؟ قال: «الحسين عليه السلام يخرج علىٰ أثر القائم عليه السلام»، قلت: ومعه الناس كلهم؟ قال: «لا، بل كما ذكر الله تعالىٰ في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ [النبأ: ١٨] قوم بعد قوم»[٢].

وبالإسناد نفسه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ويقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الذين قتلوا معه ومعه سبعون نبياً كما بعثوا مع موسىٰ بن عمران عليه السلام فيدفع إليه القائم عليه السلام الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواري به في حفرته»[٣].

ودلالة هذه الأخبار علىٰ خروج الإمام الحسين عليه السلام وحكمه بعد دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه واضحة، فتعارض دلالة أخبار المهديين من جهة تسليم الحكم إلىٰ ابن المهدي وقيامه بتلك المهمة.

---

١. الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي: ٨/ ٢٠٦ ح ٢٥٠.
٢. الحلي، حسن بن سليمان: مختصر بصائر الدرجات: ٤٨.
٣. الحلي، حسن بن سليمان: مختصر بصائر الدرجات: ٤٨.

الطائفة الثالثة: حصر الأئمة بالاثني عشر:

وهي روايات متواترة ومتَّفق علىٰ صحتها بين العامة والخاصة، حيث تدل علىٰ حصر عدد الأئمة بالاثني عشر، منها:

ما رواه الصدوق بسنده عن الأسود بن سعيد الهمداني قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»، فلما رجع إلىٰ منزله أتيته فيما بيني وبينه، وقلت: ثم يكون ماذا؟ قال: «ثم يكون الهرج»[١].

وما رواه الصدوق بسنده عن عبد الملك بن عمير أنه سمع جابر بن سمرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر الناس ماضياً حتىٰ يلي عليهم اثنا عشر رجلاً»، ثم تكلم بكلمة خفيت عليَّ فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: قال: «كلهم من قريش»[٢].

وما رواه عباد عن عمرو عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إني وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض، أعني أوتادها وجبالها، وقد وتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الأحد عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا»[٣].

ودلالتها علىٰ قيام الساعة بعد رحيل الاثني عشر واضحة، حيث إن سلامة الدين وبقاء النظام حاصل ما دامت الحجة قائمة بهم، فإذا توفي آخرهم حصل الهرج والمرج وبداية قيام الساعة، وهذا يناقض الأخبار الدالة وجود اثني عشر مهدياً وبداية حصول حكمهم بعد الاثني عشر إماماً.

---

١. الصدوق، محمد بن علي: الخصال: ٤٧٢ ح٢٦ باب الاثني عشر.

٢. الصدوق، محمد بن علي: الخصال: ٤٧٣ ح٢٧ باب الاثني عشر.

٣. الأصول الستة عشر: ١٤٠ أصل أبي سعيد عباد العصفري ح٦، وقريب منه ما ذكره الكليني: الكافي: ١/ ٥٣٤ باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم ح١٧.

ولعل منشأ توهم إمامة المهديين هو كبرىٰ عدم خلو الأرض من حجة، فبعد فرض وفاة الإمام المهدي عجل الله فرجه لابد من قائم منصب من قبل الله تعالىٰ يقوم بمهام الإمامة، ولا مصداق في الأخبار إلّا المهديين.

بيد أن هذا الوهم يندفع بأدنىٰ تأمل؛ حيث إن الحكمة الإلهية اقتضت تطويل عمر المهدي المنتظر عجل الله فرجه لاستمرار الحجة إلىٰ يوم القيامة، ودعوىٰ امتداد الحجج بعده خلاف الحكمة ونقض للطريقة التي اختارها الشارع.

مضافاً إلىٰ استفاضة الأخبار الدالة علىٰ رجعة الإمام الحسين عليه السلام بعد الإمام المهدي عجل الله فرجه مباشرة، فلا يصار إلىٰ فرض وجود إمام غيره، لاسيما بعد علمنا بعدم وجود إمامين فعليين في آن واحد.

الثالثة: دراسة متون هذه الأخبار:

إن هذه الأخبار لا تدل علىٰ معنىٰ واحد، بل يوجد بينها من التهافت والتناقض ما يمنع من صدور بعضها أو جميعها عن المعصوم عليه السلام ومن ذلك:

١ - إن الخبر الأول ظاهر في كون المهديين أئمة، وقد تم وصفهم في الخبر الرابع بالأئمة، في حين أن رواية الصدوق تنفي عنهم منصب الإمامة وتحصر وظيفتهم بالدعوة إلىٰ موالاة الأئمة عليهم السلام والتعريف بحقوقهم.

٢ - إن الخبرين الأول والثاني يذكران أن عدد المهديين اثنا عشر، بينما تخبر الرواية الثالثة بأن عددهم أحد عشر رجلاً.

٣ - إن فرض كون المهديين من ولد الحسين عليه السلام - كما هو ظاهر الخبر الثالث - من غير توسط المهدي عجل الله فرجه يناقض دلالة الخبر الأول الذي يصرح بكونهم من ذرية المهدي عجل الله فرجه مباشرة.

ومع هذه الإشكالات يمتنع الوثوق بصدورها والركون إليها، ولذا يكتفىٰ منها بالقدر المتيقن وهو أنهم جماعة من الشيعة يظهرون في زمن الإمام عجل الله فرجه

يدعون له وينوبون عنه في القيام ببعض شؤون الدعوة والحكم، وبذلك نرفع اليد عن ظهور خبر الوصية في إمامتهم وحكمهم، ويساعد عليه التفصيل بين الأئمة والمهديين الذي يقتضي عدم إمامتهم.

محاولات الجمع بين الأخبار ورفع التعارض:

بذلت محاولات عدة في سبيل الجمع بين الأخبار المتقدمة ورفع التناقض والاضطراب عنها أهمها ثلاثة:

المحاولة الأولىٰ:

أن يراد بالمهديين أئمة يحكمون بعد الإمام المهدي عجل الله فرجه بلا فصل؛ لعدم جواز خلو الأرض من حجة عقلاً وشرعاً، ويدل عليه ظاهر ما ورد في الأخبار المتقدمة كالوصية، ولا ينافيه وصفهم بالشيعة في بعض الأخبار، بلحاظ أن المشايعة والمتابعة عنوان منطبق علىٰ الأنبياء والأوصياء، حتىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات:٨٣)، كما أن أمير المؤمنين علي عليه السلام من شيعة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولا تعارض أخبار الرجعة، إذ إن زمان الرجعة يبدأ من حين انتهاء زمان المهديين، حيث يخرج الحسين علىٰ المهدي الثاني عشر عليهما السلام ليقوم بدفنه وتجهيزه، وبذلك يرتفع التعارض.

ويرد عليها:

إن المقطوع به اختصاص الإمامة بالاثني عشر عليهم السلام وكون الوصية فيهم خاصة، حتىٰ أصبح هذا الرقم عنواناً وشعاراً يعرف به الإمامية، والأخبار متواترة لفظاً ومعنىٰ في ذلك، ولو تنزلنا عن ذلك لأصبح عدد الأئمة أربعة وعشرون وهو خلاف وصفنا بالاثني عشرية، فتأمل.

وأن وصف الشيعة في أخبار أهل البيت عليهم السلام - إذا انفرد - يباين الأئمة،

وهـذا واضـح لمـن يعـرف معاريـض كلامهـم، فالإمامـة قيـادة دينيـة وسياسـية والشـيعة هـم الأتبـاع والأنصـار.

كـما أن وصـف (المهـدي) أو (القائـم) إذا انفـرد يحمـل عـلىٰ الحجـة بـن الحسـن العسـكري عجل الله فرجه خاصـة وينـصرف إليـه، وإذا أريـد منـه غـيره فلابـد مـن ذكـر دليـل أو قرينـة وهـي مفقـودة في المقـام.

المحاولة الثانية:

أن يـراد بهـم مجموعـة مـن خلـص الشـيعة يقومـون بالدعـوة وشـؤون الدولـة في زمـان الإمـام ومـا بعـده، ويـدل عليـه خـبر البطائنـي، وبذلـك يرتفـع التنـافي مـع أخبـار الرجعـة حيـث لا يمتنـع وجودهـم في ظـل إمامـة الحسـين عليه السلام.

المحاولة الثالثة:

أن تكـون أخبـار المهديـين ناظـرة إلىٰ رجعـة أهـل البيـت عليهم السلام، فيكـون المـراد منهـم هـو النبـي صلى الله عليه وآله وأحـد عـشر إمامـاً مـا خـلا القائـم عليهم السلام، وبذلـك نرفـع اليـد عـن بعـض الخصوصيـات والقيـود الـواردة، جمعـاً بـين الأخبـار لرفـع التعـارض بينهـا، وإنـما عـبر عنهـم بالمهديـين مـن بـاب الكنايـة باسـتعمال معنـىٰ مـلازم للمعنىٰ الحقيقـي لخطـورة التصريـح بعقيـدة الرجعـة في ظـل حكـم الظالمـين.

وفي هـذه المحاولـة إمّـا يفـترض حصـول التحريـف والخطـأ في نقـل الروايـة حيث إن الضمـير في خـبر الوصيـة يرجـع إلىٰ الإمـام الحـادي عـشر فيكـون المـراد بـأول المهديـين هـو ابنـه المهـدي المنتظـر عجل الله فرجه بقرينـة تسـمية المهـدي عجل الله فرجه بهـذه الأسـماء، كـما روىٰ الشـيخ الطـوسي بسـنده عـن حذيفـة، قـال: سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وذكـر المهدي فقـال: «إنـه يبايـع بـين الركـن والمقـام، اسـمه أحمـد وعبـد الله والمهـدي فهـذه أسـماؤه ثلاثتهـا»[1]، فيكـون مرجـع الضمـير (لـه) إلىٰ المهـدي عجل الله فرجه لا إلىٰ ابنـه، أو بالرجـوع إلىٰ التأويـل والتـصرف بمدلـول الخـبر كـما احتملـه المحـدث المجلـسي رحمه الله[2].

١. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٤٥٤.

٢. المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار: ٥٣ / ١٤٨.

ويؤكد ذلك تسمية المهدي المنتظر عجل الله فرجه بأحمد في بعض الأخبار منها ما رواه الصدوق بسنده عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض اللون، مشرب بالحمرة... له اسمان: اسم يخفى واسم يعلن، فأمّا الذي يخفى فأحمد وأمّا الذي يعلن فمحمد...»[1].

وهو احتمال وارد، وإن كان الثاني أقوى لعدم الحاجة فيه إلى التأويل بالخروج عن مدلول اللفظ وظاهره.

الإيمان بالمهديين ليس من العقيدة:

تقدم أن ما دل على ظهورهم في آخر الزمان هو أخبار آحاد فلا يعتمد عليه في إثبات عقيدة، لاسيما بعد معارضتها لما ثبت بضرورة المذهب من حصر الإمامة الإلهية باثني عشر رجلاً من أهل البيت عليهم السلام، حتى عد ذلك العدد شعاراً للإمامية يمتازون به عن سائر المذاهب ويعرفون به عند المذاهب الأخرى[2]، فلا يجب الاعتقاد بالمهديين الاثني عشر، فالمقتضي للاعتقاد بخروجهم مفقود والمانع موجود حيث ورد اختصاص وجوب الاعتقاد بالأئمة الاثني عشر وعدم التعدي عنه، فقد روى النعماني عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: «الوصية نزلت من السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً مختوماً، ولم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلّا الوصية، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد هذه وصيتك في أُمّتك إلى أهل بيتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أي أهل بيتي يا جبرئيل؟ فقال: نجيب الله منهم وذريته ليورثك علم النبوة قبل إبراهيم وكان عليها خواتيم، ففتح علي عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما أمر فيه، ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى لما أمر به، ثم فتح الحسين عليه السلام

١. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين: ٣٥٣.

٢. عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة: ٧٥٨.

الخاتم الثالث فوجد فيه أن قاتل وأقتل وتقتل وأخرج بقوم للشهادة، لا شهادة لهم إلّا معك، ففعل، وثم دفعها إلىٰ علي بن الحسين عليه السلام ومضىٰ، ففتح علي بن الحسين الخاتم الرابع فوجد فيه أن أطرق واصمت لما حجب العلم، ثم دفعها إلىٰ محمد بن علي عليهما السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيه أن فسر كتاب الله تعالىٰ وصدق أباك وورث ابنك العلم واصطنع الأُمّة، وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلّا الله، ففعل، ثم دفعها إلىٰ الذي يليه»، فقال معاذ بن كثير: فقلت له: وأنت هو؟ فقال: «ما بك في هذا إلّا أن تذهب يا معاذ فترويه عني، نعم أنا هو»، حتىٰ عدد علىٰ اثني عشر اسماً ثم سكت، فقلت: ثم من؟ فقال: «حسبك»[1].

وخلاصة المخاض: أن الاعتقاد بوجود ذرية للقائم أو بوجود مهديين بعد القائم ليس بلازم، ولا يمكن الاستناد علىٰ هذه الأخبار في إثبات ذلك، لضعف سندها، واضطراب دلالتها، ومعارضتها بغيرها، وعدم وجود ما يعضدها ويقوي صدورها، ولما كان خروج اثني عشر مهدياً بعد المهدي أمراً غيبياً، فلا ريب في دخوله ضمن دائرة البداء حيث لا يعد خروجهم من الحتميات فيمكن أن يقع ويمكن أن يرفع لمصلحة عند الشارع.

المطلب الثاني: دعوىٰ خروج المهديين قبل ظهور المهدي عجل الله فرجه:

وهي دعوىٰ معاصرة ظهرت علىٰ يد بعض الأدعياء، إذ لم يعرف لها وجود من قبل في كتبنا المعتبرة لم يعهد لها قائل، وحاصلها: إرسال المهدي المنتظر عجل الله فرجه لابنه الذي يلي الحكم بعده للدعوة إليه والتمهيد لظهوره، وهو نفسه المقصود بخبر الوصية بأول المؤمنين أو المهديين، وقد استندت علىٰ وجوه باطلة، أهمها وجهان:

---

١. النعماني، محمد بن إبراهيم: الغيبة: ٥٣، وقريب منه ما رواه الكليني في الكافي: ١ / ٢٧٩.

الوجه الأول: ما ورد في بعض الأخبار من تواصل ولده الذي يلي أمره معه في حال غيبته، فقد روىٰ الطوسي بسنده عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتىٰ يقول بعضهم: مات، ويقول بعضهم: قتل، ويقول بعضهم: ذهب، حتىٰ لا يبقىٰ علىٰ أمره من أصحابه إلّا نفر يسير لا يطلع علىٰ موضعه أحد من ولده ولا غيره إلّا المولىٰ الذي يلىٰ أمره»[1]، مما يؤكد وجود الذرية والأولاد أولاً، وتواصل أحدهم معه ثانياً.

بيد أن الرواية ضعيفة سنداً بجهالة: عبد الله بن المستنير؛ حيث أهمل ذكره في كتب الرجال.

ولا يمكن الاستدلال بلفظ (ولده) لإثبات وجود ذرية لأن الشيخ النعماني قد روىٰ نفس هذا الخبر من دون ذكر للولد، فعن المفضل بن عمر الجعفي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتىٰ يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقىٰ علىٰ أمره من أصحابه إلّا نفر يسير، لا يطلع علىٰ موضعه أحد من ولي ولا غيره إلّا المولىٰ الذي يلي أمره»[2]، وعند تعارض النقل يسقط الاستدلال من هذه الحيثية.

وعلىٰ فرض قبولها، فهي مجملة، إذ لم تبين لنا شخصية (الذي يلي أمره) هل هو من الولد أم لا، ليمكن تطبيقها حينئذٍ علىٰ رواية الوصية المتقدمة، فهي بذلك أعم من المدعىٰ، فضلاً عن الاعتماد عليها في إثبات السفارة أو النيابة عن الإمام عجل الله فرجه في عصر الغيبة، فأقصىٰ ما يمكن أن تدل عليه هو وجود هذه الشخصية حال الغيبة وتواصله مع الإمام المعصوم عجل الله فرجه، وأمّا تحديد مصداقها ووظائفها فدونه خرط القتاد.

١. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ١٢٠.

٢. النعماني، محمد بن إبراهيم: الغيبة: ١٧٢.

وأضعف من ذلك الاستدلال بما رواه نعيم بن حماد بسنده عن الهيثم بن عبد الرحمن عمن حدثه عن علي عليه السلام أنه قال: (يَخْرُجُ رَجُلٌ قَبْلَ المَهْدِيِّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بِالمَشْرِقِ، يَحْمِلُ السَّيْفَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، يَقْتُلُ وَيُمَثِّلُ وَيَتَوَجَّهُ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَلَا يَبْلُغُهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ)[1].

فإنها ساقطة سنداً ودلالة.

فأمّا سنداً فهي عامية لم ترد في مصادرنا المعتبرة، وضعيفة بالإرسال، فلا يصح الاستناد عليها في إثبات هذه الدعوىٰ، وأمّا دلالة فهي مجملة، إذ إن الأهل عبارة عن عموم القرابة وهي متحققة في جميع السادة من أولاد علي وفاطمة عليهما السلام وتخصيصها بالأبناء دون غيرهم ترجيح بلا مرجح فتكون أعم من المدعىٰ، كما يمكن حملها علىٰ الخراساني لكونه صاحب راية المشرق كما ورد في الأخبار.

الوجه الثاني: دعوىٰ رجوع نسب اليماني إلىٰ المهدي عجل الله فرجه وأنه من أولاده، وحيث إن اليماني يخرج قبل المهدي عجل الله فرجه بل أنه من علاماته، فلابد أن يكون حينئذٍ أول المهديين.

وهذا الوجه واضح البطلان؛ بلحاظ وجود التباين التام بين الشخصيتين في الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فاليماني رجل من اليمن من صنعاء يخرج قبل الظهور الشريف، ولا يرتبط بعلاقة نسبية بالمهدي عجل الله فرجه، كما أن ظهور أول المهديين بعد والده أو معه، فهما مختلفان من حيث الزمان والمكان والنسب.

مضافاً إلىٰ الاختلاف الوظيفي، فإن وظيفة اليماني هي التمهيد لخروج الإمام عجل الله فرجه والدعوة له والقيام بواجب النصرة، بينما وظيفة أول المهديين ودوره حسب خبر الوصية يبدأ بعد رحيل والده بالقيام بشؤون الحكم وتولي منصب

١. المروزي، نعيم بن حماد: كتاب الفتن: ٢١٦ ح٩٢٠.

الخلافة من بعده أو الدعوة إلىٰ موالاة أهل البيت عليهم السلام والتعريف بحقوقهم كما هو مفاد خبر البطائني.

فشخصية اليماني حسب الأخبار الشريفة:

١ - معلومة النسب: فقد روىٰ ابن طاووس بسنده عن عبّاد بن محمّد المدائني قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام بالمدينة... قلت: فله علامة قبل ذلك؟ قال: «نعم، علامات شتّىٰ»، قلت: مثل ماذا؟ قال عليه السلام: «خروج راية من المشرق وراية من المغرب، وفتنة تضلّ أهل الزوراء، خروج رجل من ولد عمّي زيد باليمن، وانتهاب ستارة البيت، ويفعل الله ما يشاء»[١].

٢ - معلومة الموطن: فقد روىٰ الصدوق بسنده عن محمد بن مسلم الثقفي الطحان قال: دخلت علىٰ أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد صلىٰ الله عليه وعليهم، فقال لي مبتدئاً: «... وإن من علامات خروجه: خروج السفياني من الشام، وخروج اليماني من اليمن، وصيحة من السماء في شهر رمضان، ومناد ينادي من السماء باسمه واسم أبيه»[٢].

٣ - معلومة الزمان: حيث روىٰ الطوسي بسنده عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خمس قبل قيام القائم من العلامات: الصيحة والسفياني، والخسف بالبيداء، وخروج اليماني، وقتل النفس الزكية»[٣].

ومنه يظهر عدم وجود دليل معتبر يمكن الاستناد عليه في إثبات ظهورهم قبل ظهور المهدي المنتظر عجل الله فرجه، وبذلك تبطل كل الدعاوىٰ التي يمكن أن تتمسك بهذه الأخبار لإثبات مشروعيتها وحقانيتها.

---

١. ابن طاووس، علي: فلاح السائل ونجاح المسائل: ١٧١.

٢. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٨ باب ما أخبر به الباقر عليه السلام ح٧.

٣. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٤٣٧ رقم٤٢٧.

ولو تنزلنا بإمكان ذلك ووقوعه، فلا شك في عدم إمكان معرفة مصداق المقصود بالأخبار فيبقىٰ مجهولاً مبهماً، ولا يوجد طريق معتبر إلىٰ تمييزه حينئذٍ ومعرفة صدقه سوىٰ المعجزة البينة بشروطها المقررة في علم الكلام.

المطلب الثالث: بطلان دعوىٰ أحمد إسماعيل واستدلاله بالوصية:

ظهر خلال هذه السنوات مدعٍ جديد ينسب لنفسه ألقاباً متعددة ومناصب مختلفة كـ(اليماني) و(سفير المهدي) و(ابن المهدي) و(أول المهديين) و(القائم) و(الإمام المعصوم) ونحوها، مستدلاً بالأخبار المتقدمة علىٰ صدق دعواه، حيث استغل وجود اسم أحمد في ذيل خبر الوصية للتبشير بظهوره كما يزعم.

وهذا استدلال واضح الوهن لوجه عدة:

الأول: تباين شخصية اليماني مع أول المهديين، من حيث النسب والموطن والزمان والوظيفة كما تقدم.

وتغاير كلا الشخصيتين مع دعوىٰ المدعي وانعدام العلاقة بينهما، فلا ينطبق عليه مكان اليماني ولا وصفه حيث إنه رجل مولود في مدينة البصرة في العراق، ولا ينطبق عليه عنوان (أول المهديين) بلحاظ أن الخبر يدل علىٰ كونه ولداً مباشراً للمهدي بينما يدعي هو أن بينه وبين الإمام المهدي عجل الله فرجه أربع وسائط.

الثاني: لم يثبت بدليل قاطع أو حجة معتبرة زواج الإمام المهدي عجل الله فرجه وإنجابه، علىٰ أننا لو سلمنا بحدوث ذلك فمن أين لنا معرفة شخوص أولاده وذريته وتحديد أوصافهم ما لم يتصد المعصوم بنفسه ويبين لنا ذلك، بل الذي يزيد الأمر سخرية أن هذا المدعي معروف الأب والأُم عند أهل البصرة، فكيف صار من ولد المهدي يا ترىٰ؟!

وقد تقدم في بعض الأخبار عدم وجود ولد للإمام المهدي عجل الله فرجه عند ظهوره فضلاً عن غيبته، ويضاف إليها ما روي عن المفضل بن عمر قال: سمعت

أبا عبد الله عليه السلام يقول: «... يا مفضل ترىٰ هذه الشمس»؟ قلت: نعم، قال: «والله أمرنا أنور وأبين منها، وليقال المهدي في غيبته مات ويقولون بالولد منه وأكثرهم يجحد ولادته وكونه وظهوره أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والرسل والناس أجمعين»[١].

وما رواه الصدوق بسنده عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «صاحب هذا الأمر الشريد الطريد الفريد الوحيد»[٢].

الثالث: بطلان ادِّعائه للعصمة؛ من خلال كثرة اللحن في كلامه وصدور الأخطاء النحوية التي لا تصدر عن فاضل فضلاً عمن يدعي مقام الإمامة والعصمة، فهو من المعايب التي تقدح بالإنسان العربي بحيث يوصف صاحبه بالجهل ويخفض من قدره ومنزلته بين الناس، ولذا روىٰ الكليني بسند صحيح عن جميل بن دراج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «اعربوا حديثنا فإنّا قوم فصحاء»[٣]، إضافة إلىٰ صدور الخطأ في الاستدلال والتأويل المجحف ولي عنق كثير من النصوص لتتناسب مع آرائه وأطروحاته.

الرابع: أن أخبار المهديين وأمثالها لا تنفع المدعي في إثبات دعواه، بل هي حجة عليه، إذ إن سياقها يدل بوضوح علىٰ ظهور المهديين بعد الظهور الشريف للإمام المهدي عجل الله فرجه، وأن دور أول المهديين يبدأ حين حضور وفاة الإمام المهدي عجل الله فرجه حيث يتسلم الوصية، بقرينة (ثم) التي تفيد الترتيب مع التراخي، بينما ظهر هذا المدعي قبل ظهور الإمام عجل الله فرجه، فلا زمان الرواية ينطبق علىٰ هذا الزمان ولا أوصافه تنطبق عليه حيث إن الخبر يدل علىٰ تسليم الوصية إلىٰ الابن المباشر للإمام عجل الله فرجه، فهل (أحمد إسماعيل) الابن المباشر لصاحب الزمان؟!

١. الخصيبي، الحسين بن حمدان: الهداية الكبرىٰ: ٣٦١.
٢. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة: ٣٠٣ ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام ح١٣.
٣. الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي: ١/ ٥٤ باب رواية الكتب والحديث ح١٣.

ودعوىٰ مجرد انطباق اسم وصي الإمام المهدي عجل الله فرجه عليه سخيفة؛ إذ إن بمقدور أي فرد ادِّعاء ذلك بل هو واقع حيث ادّعي ذلك للمهدي العباسي بدعوىٰ تسميته بمحمد ومن ثم وضعت بعض الأخبار والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله لتتناسب مع شخصه، وفي العصر الحديث ادّعىٰ (غلام أحمد القادياني) المهدوية والنبوة في الهند، حيث ربط بين ادِّعاء تسميته (أحمد) وبين النصوص القرآنية[1] المبشرة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله بدعوىٰ باهتة مفادها: تباين شخصية أحمد في القرآن مع الرسول محمد صلى الله عليه وآله مشيراً بذلك إلىٰ تبشير الأنبياء والرسل ببعثة رجل في آخر الزمان اسمه أحمد ومن ثم تطبيق ذلك عليه، فما أشبه القوم بالقوم.

ولذا لو ادّعىٰ أحد أنه محمد بن الحسن العسكري عجل الله فرجه فهل يجب تصديقه لمجرد اتفاق الاسم؟ أو لابد من إبراز البينة علىٰ صدق دعواه لعدم حصول المعرفة بشخصه وإن علم اسمه وإمامته، فإن قلنا إن ادّعاء الاسم كافٍ لزم منه تصديق كل مدعٍ، والتالي باطل فالمقدم مثله.

الخامس: لم يأت بدليل من إعجاز أو كرامة يدل علىٰ صدق دعواه، فمن يدّعي الاتصال بالغيب يلزم أن يأتي بأمر خارق للعادة، كقلب العصا ثعباناً بالنسبة لموسىٰ عليه السلام، وإحياء الموتىٰ بالنسبة لعيسىٰ عليه السلام، وشق القمر ورد الشمس بالنسبة لرسولنا محمد صلى الله عليه وآله، وأمّا المدعي فلم يأت إلّا بأوهام وأباطيل كالاستناد علىٰ الاستخارة والأحلام.

المطلب الرابع: الضوابط التي يرجع إليها في مواجهة الدعاوىٰ الضالة:

لخطورة هذه الدعاوىٰ وأشباهها فقد وضع أئمتنا ضوابط وموازين تعرض عليها كل شبهة تتعلق بقضايا الإمام المهدي عجل الله فرجه منها:

أولاً: انقطاع النيابة الخاصة والسفارة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه في زمن الغيبة الكبرىٰ، فكل من ادّعىٰ النيابة الخاصة يجب تكذيبه، فقد ورد في التوقيع

١. سورة الصف: الآية ٦.

الشريف: «فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالىٰ ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدَّعي المشاهدة، ألا فمن ادَّعىٰ المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر»[١]، وهذه الرواية صحيحة الإسناد مضافاً إلىٰ اعتضادها بالارتكاز القطعي الثابت عند المتشرعة مما يجعلها تفيد القطع أو الاطمئنان المتاخم له.

ولهذا أفتىٰ علماؤنا الأبرار بكفر مدّعي السفارة الخاصة بعد السمري رضي الله عنه، فيقول الشيخ ابن قولويه القمي قدس سره: (إن كل من ادَّعىٰ الأمر بعد السمري رحمه الله فهو كافر منمس ضال مضل، وبالله التوفيق)[٢].

ثانياً: تكذيب مدَّعي المشاهدة، حيث جرت سيرة الإمامية علىٰ ذلك بنحو يوجب الاتصال بالإمام عجل الله فرجه، وهي سيرة متصلة بعصر المعصوم كابراً عن كابر، فتكون كاشفة عن صدور هذا المضمون عن العترة الطاهرة عليهم السلام.

ثالثاً: ضرورة التمسك بالتراث الثابت عند الشيعة مما نقل عن الأئمة عليهم السلام، وعدم التسرع في الانجرار خلف كل مدَّعي، حتىٰ يستبين لهم صدق دعواه بوضوح وجلاء، حيث أمر المعصوم عليه السلام شيعته بذلك في روايات كثيرة منها ما رواه الصدوق بسنده عن عبد الله بن سنان قال: دخلت أنا وأبي علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقال: «فكيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدىً، ولا علماً يُرىٰ، ولا ينجو منها إلّا من دعا دعاء الغريق»، فقال له أبي: إذا وقع هذا ليلاً فكيف نصنع؟ فقال: «أمّا أنت فلا تدركه، فإذا كان ذلك فتمسكوا بما في أيديكم حتىٰ يتضح لكم الأمر»[٣].

---

١. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦؛ الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٤٠٤.

٢. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٤٢١.

٣. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين: ٣٤٨ باب ما روي عن الصادق عليه السلام ح ٤٠.

وما رواه أيضاً بسنده عن أبان بن تغلب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يأتي على الناس زمان يصيبهم فيه سبطة يأرز العلم فيها بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها، يعني بين مكة والمدينة، فبينا هم كذلك إذ أطلع الله عزوجل لهم نجمهم»، قال: قلت: وما السبطة؟ قال: «الفترة والغيبة لإمامكم»، قال: قلت: فكيف نصنع فيما بين ذلك؟ فقال: «كونوا على ما أنتم عليه حتى يطلع الله لكم نجمكم»[١].

ما رواه أيضاً بسند مرسل عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «كيف أنتم إذا بقيتم دهراً من عمركم لا تعرفون إمامكم»؟ قيل له: فإذا كان ذلك فكيف نصنع؟ قال: «تمسكوا بالأمر الأول حتى يستبين لكم»[٢].

ومفاد هذه الأخبار إرشاد إلى ما دلت عليه السيرة العقلائية الجارية على عدم تصديق أي دعوى ما لم يبرهن على صدقها، لاسيما في مواطن الاشتباه والالتباس، وعدم العدول من قول لآخر بدون حجة وبرهان خصوصاً في القضايا المهمة كالعقيدة.

ولذا جرت سيرة الإمامية على الرجوع إلى الفقهاء الصالحين في عصر الغيبة، بمقتضى التنصيب العام الصادر من الناحية المقدسة بقوله: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[٣]، حيث يؤخذ منهم الحلال والحرام ويرجع إليهم في تمييز مواطن الالتباس والشبهة بمقتضى دلالة الإطلاق ومقدمات الحكمة.

---

١. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين: ٣٤٨ باب ما روي عن الصادق عليه السلام ح٤١.

٢. الصدوق، محمد بن علي: كمال الدين: ٣٤٨ باب ما روي عن الصادق عليه السلام ح٣٨.

٣. الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ١٨١ باب ٤٥ ح٤؛ الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ١٩٧ فصل ظهور المعجزات الدالة على صحة إمامته ح٢٤٧.

رابعاً: المطالبة بالمعجزة:

ضرورة أن كل دعوة تتصل بأمر غيبي يعود إلىٰ إثبات قضية دينية والاتصال بالله تعالىٰ، لابد من اقترانها واعتضادها بدليل يثبت صدق تلك الدعوىٰ، ولذا أيَّد الله تعالىٰ رسله وأنبياءه وأوصياءهم بالمعاجز والكرامات؛ وبالتالي لا يمكن تصديق أي دعوىٰ ما لم تستند إلىٰ معجزة بينة لا يختلف علىٰ صدقها اثنان، فالمنامات والاستخارات والسحر والشعبذة قضايا لا يركن إليها في إثبات حكم فقهي جزئي فضلاً عن أمر عقدي مهم.

خامساً: العقائد لا تثبت بالظنون والأوهام:

إن العقائد وتفاصيلها لا تثبت بالظن فضلاً عن الوهم والخيال، إذ ثبت في مباحث علم الكلام عدم صحة الاستناد علىٰ أخبار الآحاد وإن صح سندها، بل يلزم أن يكون الاستدلال بنص قطعي الصدور والدلالة أي لا يحتمل إلّا وجهاً واحداً، فتأمل.

ولذا صرح أئمة أهل البيت عليهم السلام بوضوح أمر المهدي حين ظهوره، فقد روىٰ الطوسي بسنده عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إياكم والتنويه، أما والله ليغيبن إمامكم سنين من دهركم، وليمحصن حتىٰ يقال: مات قتل هلك بأي واد سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين ولتكفأن كما تكفأ السفن بأمواج البحر، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان وأيَّده بروح منه، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدري أي من أي». قال: فبكيت وقلت: فكيف نصنع؟ فقال: «يا أبا عبد الله - ونظر إلىٰ الشمس داخلة إلىٰ الصفة قال: - فترىٰ هذه الشمس»؟ قلت: نعم، قال: «والله لأمرنا أبين من هذه الشمس»[1]، فلابد من التروّي والتأنّي في كل دعوىٰ وعدم الانجرار وراءها من دون دليل وبرهان قطعي.

١. الطوسي، محمد بن الحسن: الغيبة: ٣٣٧ رقم٢٨٥.

نسأل الله سبحانه وتعالىٰ تعجيل فرج صاحب العصر والزمان وأن يجعلنا من أنصاره وأعوانه، إنه نعم المولىٰ ونعم المجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

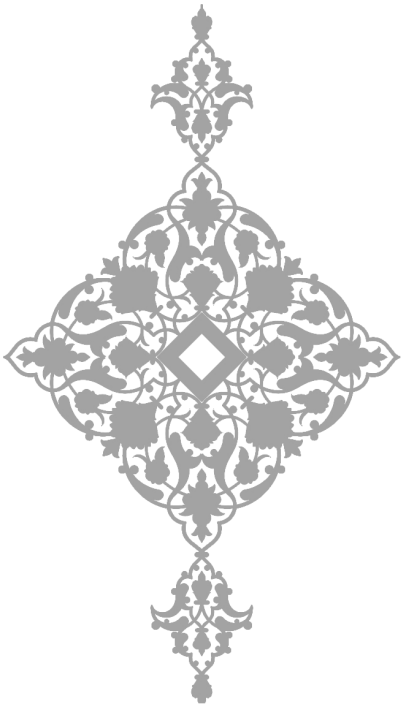

ALMAUOOD

عِلم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره

مرتضىٰ علي الحلي

مدخل تمهيدي:

إنَّ مسألة عِلم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره - إثباتاً أو نفياً - هي واحدة من المسائل الاعتقاديّة التي تترتّب علىٰ بحثها وبيان أدلّتها من الروايات عدّةُ معطياتٍ تربوية وثمارٍ تمسّ حَراكَ الإنسان المؤمن المُنتَظِر، وتسهم في صياغة وعيه وتمهيده وتعاطيه مع ما يجري من الحوادث الموعودة التي لها علاقة ترابطيّة منتظمة وحكيمة، تتبع إرادة الله سبحانه، ومنها ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وكلّ ما له من دخالة تكوينية أو غير تكوينية في تحقّق ذلك وفق السنَن الإلهيّة والمقتضيات الطبيعيّة والبشريّة.

ومن حيث البحث في الإمكان الوقوعي عن أنّه هل يعلم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره أو لا يعلم.

فيمكن القول: إنَّه لا يوجد ثمة محذور لنفي علم الإمام عجل الله فرجه بذلك في حدّ نفسه، إلّا ما ورد في لسان بعض الروايات، والتي حُمِلَت علىٰ نفي ذلك لملاكات تقتضيها بحسب الظاهر، كعدم الإذن بإظهاره، أو ستر العِلم بالوقت، وكراهية التعيين، ولزوم الكتمان، أو أنّ أمر الظهور موكولٌ إلىٰ الله تعالىٰ، ومرتبطٌ بالبداء، وسنعرضها في ما يأتي متناً ودلالةً.

وممّا يقوّي الإمكان الوقوعي[١] لعِلم الإمام المهدي عليه السلام بوقت ظهوره هو إناطة مشروع الظهور الفعلي به، ولوضوح أنَّ العِلم من شرائط التكليف العامة والقيام بالواجب، حاله حال أيّ تكليفٍ شرعي آخر واصلٍ إليه مشروط بإعلامه وتبليغه، يمكن النقاش بأن الشرط هو العلم قبل العمل، فيمكن القول بعدم علمه إلىٰ أن تحين لحظة التكليف فيتم إعلامه من الله تعالىٰ.

وقد نبَّه علماء الكلام والعقيدة علىٰ ذلك، كالشيخ الطوسي رحمه الله حيث قال: (وإعلام المُكَلَّف وجوبَ الفعل أو حُسنه أو دلالته عليه شرطٌ في حُسن التكليف من الله)[٢]، وذكر العلّامة الحلّي رحمه الله أيضاً في تعريف التكليف وبيان حدّه: (إرادة من تجب طاعته علىٰ جهة الابتداء ما فيه المشقّة بشرط الإعلام... وشرَطنا الإعلام لأنَّ المُكَلَّف إذا لم يعلم إرادةَ المُكَلِّف - اللهُ سبحانه - بالفعل لم يكن مُكَلَّفاً)[٣].

وصفة العِلم في علم العقيدة هي من الصفات التي يجب أن يتّصف بها الإمام المعصوم المنصوب بحيث (يجب أن يكون الإمام عالماً بتدبير ما هو إمامٌ فيه من سياسة رعيته والنظر في مصالحهم وغير ذلك بحكم العقل... وإنّما يجب أن يكون الإمام عالماً بما أُسند إليه في حال كونه إماماً)[٤]، وأنَّ القضاء علىٰ الظلم والفساد وبسط القسط والعدل هو من جملة ما أُسنِدَ إلىٰ الإمام المهدي عليه السلام تحقيقه في وقت ظهوره الموعود.

ولا ينحصر طريق الإمام المهدي عليه السلام إلىٰ العلم بوقت ظهوره الشريف بإعلام الله تبارك وتعالىٰ إيّاه، مع غضّ النظر عن نوع هذا الإعلام أو الإذن

١. الإمكان الوقوعي: هو كون الشيء بحيث لا يَلزم من فرض وقوعه محال، ينظر: نهاية الحكمة، السيّد محمد حسين الطباطبائي: ص٦٣، ط١٤، نشر مؤسسة النشر الإسلامي.
٢. الاقتصاد، الطوسي: ص٦٢، ط قم ١٤٠٠هـ.
٣. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلّامة الحلّي: ص٤٣٧-٤٣٨، ط مؤسسة النشر الإسلامي.
٤. الاقتصاد، الطوسي: ص١٩٢-١٩٣، ط قم ١٤٠٠هـ.

الإلهي وحياً أو إلهاماً أو تحديثاً ملائكيّاً أو غير ذلك كما أشارت إلىٰ ذلك بعض الروايات، والتي سنذكرها في ثنايا البحث، بل هناك سُبُلٌ أخرىٰ ومنها زوال الموانع الظرفيّة وتحقّق الشروط الواقعيّة، بما يمكن التعبير عنها في علم الكلام بزوال العلّة المقتضية للغيبة، فضلاً عن عِلمه عجل الله فرجه بالوقت المعلوم للظهور من طريق آبائه المعصومين عليهم السلام (فهو يتّبع في ذلك ما شُرِّعَ له وأُوقف عليه)[١].

وأشار الشيخ الطوسي رحمه الله إلىٰ هذه السُبُل في جانبي النقل والعقل معاً، حيث قال: (فإنَّه ما دامت العلّة الموجبة حاصلة فإنّه مُستترٌ إلىٰ أن يعلم الله تعالىٰ زوال العلّة، فيعلم ذلك بما وقفه عليه آباؤه من الوقت المعلوم، وبالأمارات اللائحة للنصر، وغلبة الظن يقوم مقام العلم في ذلك، وخاصة إذا قيل لكَ: إذا ظهرت لكَ أمارات النصر فاعلم أنّه وقت الخروج، وكلٌّ ذلك جائز)[٢].

والروايات أشارت إلىٰ البسط في العلم وتحقّقه للإمام المعصوم وحصوله بإعلام الله تعالىٰ له، فعن معمّر بن خلاّد قال: سأل أبا الحسن عليه السلام رجل من أهل فارس فقال له: أتعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يبسط لنا العلمَ فنعلم، ويقبض عنّا فلا نعلم»، وقال: «سرّ الله عزّ وجلّ أسرّه إلىٰ جبرئيل عليه السلام وأسرّه جبرئيل إلىٰ محمّد صلى الله عليه وآله، وأسرّه محمّدٌ إلىٰ من شاء الله»[٣].

والحاصل:

إن علم الإمام المهدي عجل الله فرجه وبحسب هذه المرتكزات العقديّة القرآنية والروائية، والتي يستند إليها الإمام نفسه في حراكه التغييري والإصلاحي قابلاً لإدراك وقت الظهور وتعيينه بالإذن به من عند الله سبحانه، ولأنَّ نفس العلم اللدني بالظهور هو من وسائل التمكين والقدرة المحفوفة بالإرادة الإلهيّة

١. ينظر – الغَيبَة، الطوسي: ص٣٣١، ط، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم المقدّسة، ١٤١١هـ.

٢. الاقتصاد، الطوسي: ص٢٣٤، ط قم ١٤٠٠هـ.

٣. الكافي، الكليني: ج١، ص٢٥٦، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

والتسديد، فضلاً عن أنَّ العلم بالوقت وحيثيّاته والظروف المحيطة به هو من جملة ما يحتاجه الإمام المهدي عليه السلام فعلاً للنهوض بالوظيفة الكبيرة والخطيرة لما يتوفّر عليه عليه السلام من الاستعداد الذاتي والإمكان في تلقّي العلم والإلهام الربّاني، وهذا ما نبّهت عليه الآية القرآنية الشريفة في قوله تعالىٰ: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾.

وكذلك بيّنت الروايات هذا المعنىٰ، كما روي عن الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام أنّه قال: «إنّ الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدىٰ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥)، وقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩)، وقوله في طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧) - وإنَّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمور عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلمَ إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد، موفّق مسدّد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجته علىٰ عباده، وشاهده علىٰ خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[1].

وطبقاً لمضمون هذه الرواية فقد يتحقّق علم الإمام المهدي عليه السلام بوقت ظهوره بطريق الإلهام الربّاني[2] (وألهمه العلمَ إلهاماً) أو بما يُسمّىٰ بالعلم اللدني، والذي يتحصّل من الإلهام أيضاً دون واسطة، بحيث يعلم الإمام المهدي عليه السلام عند زوال علّة الغيبة أنَّ وقت الظهور قد حان، ومن المعلوم أنَّ

١. الكافي، الكليني: ج١، ص ٢٠٢ - ٢٠٢، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

٢. الإلهام: هو تنبيه الله سبحانه للإمام المعصوم عليه السلام علىٰ حقيقة غيبية وتمكنيه إيّاه من معرفتها وتلقيّها وترتيب الآثار عليها، هل الإلهام مجرد التنبيه؟

الإلهام هو أحد مصادر العلم والمعرفة، وهو طريق حاصل ومتحقّق في حقّ الإمام المعصوم عليه السلام، فعن علي بن يقطين قال: قلتُ لأبي الحسن عليه السلام: علمُ عالمكم استماعٌ أو إلهامٌ، قال: «يكون سماعاً ويكون إلهاماً ويكونان معاً»[١].

وأيضاً يمكن أن يكون علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره من طريق إمكان العلم بالشيء المُراد والمُنتَظَر والموعود إذا شاء الإمام أن يعلمه بإعلام الله تعالىٰ له فعلاً وإحداثاً، وهذا المعنىٰ وارد في الروايات، عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ الإِمَامِ، يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ فَقَالَ: «لَا، ولَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَه الله ذَلِكَ»[٢].

وثمة أمر مهمّ ينبغي التنبيه عليه، وهو: أنَّ نفس علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره الشريف، وبأيّ صورة ممكنة التحقّق والوقوع، يتداخل ويرتبط مع ما ذكرنا من ضرورة زوال الموانع المقتضية للغيبة علىٰ مستوىٰ شخصه المقدّس، كزوال الخوف من القتل، أو علىٰ مستوىٰ الظروف العامة للوقت والمكان والإنسان والدول والمجتمعات والقدرات والقواعد الموالية والمؤهّلة لنصرته، ومدىٰ مناسبة ذلك كلّه مع ما يجب القيام به من القضاء علىٰ الظلم والفساد وبسط العدل والحقّ والأمان والهدىٰ والإصلاح، وتأسيس الدولة العادلة في الأرض قاطبةً.

فالعلم بالظهور ليس علماً فجائيّاً يحدث دون أن ينظر في ملابسات الواقع وحيثيّاته الإعدادية وقابلياته الفعلية، فقد يكون محفوظاً ومعلوماً من ذي قبل في ذهن الإمام المهدي عجل الله فرجه وحاضراً عنده، بمعنىٰ العلم المبذول[٣] بحسب

١. بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفّار: ص٣٣٧، الناشر: مؤسسة الأعلمي – طهران.

٢. الكافي، الكليني: ج١، ص٢٥٧، ط ٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

٣. العلم المبذول: هو العلم بالشيء الذي قضاه الله سبحانه وأمضاه وأظهره لخواص خلقه، كما ورد في الرواية المأثورة عن ضريس، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ لله عزّ وجلّ علمين: علمٌ مبذول وعلمٌ مكفوف، فأمّا المبذول فإنّه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلّا نحن نعلمه، وأمّا المكفوف فهو الذي عند الله عزّ وجلّ في أُمّ الكتاب إذا خرج نفذ» [ينظر: شرح أصول الكافي – المازندراني: ج٦، ص٢٩، ط١، بيروت ١٤٢١هـ].

تعبير الروايات بوصفه من خواصّ خَلق الله تعالىٰ، ولكنّه عليه السلام ينتظر تحقّق كلّ ما له دخالة في إنجاح مشروعه، من يقينيّة استجابة المخلصين قادةً وأفراداً وتحقّق قدرتهم الفعلية علىٰ الامتثال والطاعة والبذل بين يدي الإمام نفساً ومالاً وغير ذلك، وهذا المعنىٰ ظاهر في مضمون الروايات المأثورة، فعن الإمام محمّد الجواد عليه السلام: «يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٤٨)، فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد، وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزّ وجلّ»[1].

ويُفَهم ممّا تقدّم من تفسيرات مختصرة مأثورة لمفهوم علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره وإمكان ذلك عقلاً ونقلاً ووقوعاً.

١ - إنَّ هناك أبعاداً مختلفةً تكتنف هذا العلم بحسب مقتضيات ظواهر الأشياء والأحداث وبواطنها وتأثيراتها علىٰ الظروف الراهنة قُبيل وقت التحقّق والظهور، ولها علاقتها الواقعية في فعليّة وتنجّز هذا العلم.

وفي أيّ لحظة في عصر الغيبة الكبرىٰ لو فرضنا أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه قد حصل له العلم بوقت الظهور والقيام، فذلك لا ينفك عن النظر إلىٰ طبيعة مجريات الأمور والأحوال ومدىٰ استجابتها وتقبّلها أو النظر إلىٰ زوال الموانع وكلّ ما يحول دون ذلك.

٢ - ويظهر أيضاً أنَّ علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه، ولذا ورد النهي عن التوقيت، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن القائم عليه السلام فقال: «كذب الوقّاتون، إنّا أهل بيت لا نوقّت»،

١. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٣٧٨، ط، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

وفي شرح هذه الرواية ذكر المولىٰ المازندراني: (أنَّ قوله: إنّا أهل البيت لا نوقّت: دلّ ظاهراً علىٰ أنَّ لهم علماً بالوقت إلّا أنَّهم لا يوقّتون لمصالح)[١].

٣ - وأيضاً لما تقدّم بيانه من ترابط وتداخل أكيد لهذا العلم بحيثياته الخارجية والواقعية في ظرفه ووقته، والإنسان المؤمن المُنتَظِر مُكلَّفٌ في قبال ذلك بمعرفة الإمام المهدي عجل الله فرجه والتسليم له، وهذا ما كشفت عنه الروايات تنبيهاً منها علىٰ ترسيخ هذا البعد التربوي العقائدي في نفوس المنتظِرين، فعَنْ زُرَارَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «اعْرِفْ إِمَامَكَ فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ»[٢].

وأمّا ماهيّة علم الإمام المعصوم[٣] وكيفيّته بالمعنىٰ الفلسفي، وهل أنَّ علمه حصولي كسبي[٤] أو حضوري فعلي[٥]، ففي عقيدتنا أنَّ علمه عليه السلام هو علم حضوري فعلي، وللشيخ المظفّر رحمه الله في كتابه (علم الإمام) بيان لطيف لهذا المعنىٰ الاعتقادي في شأن علم الإمام وماهيته، حيث ذكر: (أنَّ المراد من العلم الحضوري أو الإرادي والإشائي هو: ما كان موهوباً من العلّام سبحانه ومستفاضاً منه بطريق الإلهام أو النقر في الأسماع أو التعليم من الرسول أو غير

---

١. شرح أصول الكافي - المازندراني: ج٦، ص٣٣٣، ط١، بيروت ١٤٢١هـ.

٢. الكافي، الكليني: ج١، ص٣٧١، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

٣. إن المراد بالإمام هاهنا: (هو الحجّة علىٰ العباد ومن وجبت معرفته وطاعته وحرم جهله وعصيانه وكانت ميتة الجاهل به ميتة جاهلية، وهم: علي وأولاده الأحد عشر من الحسن إلىٰ ابن الحسن الغائب المنتظر عليهم من الله تعالىٰ أزكىٰ التحية وأفضل السلام).

٤. العلم الحصولي الكسبي: (وهو حضور المعلوم عند العالم به من خلال صورته، فهو لا يدركه من خلال ذاته؛ بل عبر صورته الحاكية والكاشفة عنه، وهذا يعني وجود وسيط بين العالم والمعلوم الخارجي، فهو لا يحضر بنفسه لدىٰ العالم ولا يشهده، بل يشاهد صورته الحاكية عنه)، ويتأتىٰ تحصيل هذا العلم من خلال الحواس الظاهرية الخمس والأمارات.

٥. العلم الحضوري: وهو كعلم النفس بذاتها وبصفاتها القائمة بذاتها وبأفعالها وأحكامها وأحاديثها النفسية، وكعلم الله تعالىٰ بنفسه وبمخلوقاته. ينظر منطق المظفر: ج١، ص١٠، الهامش، مؤسسة النشر الإسلامي.

ذلك من الأسباب، وهذا العلم اختصّ به الإمامَ دون غيره من الأنام، وليس المراد من العلم هاهنا ما حصل بالكسب من الأمارات والحواس الظاهرية والصنائع الاكتسابية، لاشتراك الناس مع الإمام في هذا العلم لأنّه تابع لأسبابه الاعتيادية، وهذا لا يختص بأحدٍ، وهو بخلاف الأول - العلم الحضوري - إذ لا يمنحه علّام الغيوب إلّا لمن أراد واصطفىٰ)[١].

وقد فصّل الشيخ المظفّر رحمه الله أدلّةً وأسباباً قيّمةً جدّاً لكون علم الإمام حضوريّاً من حيث إنّه (أنفع للأُمّة، وأكمل في الرسالة والإمامة، وأسبغ في النعمة، وأتمّ في القدرة، وأكمل في اللطف، وأبلغ في المثالية وفي الدلالة، وأسلم من الانخداع)[٢].

وبهذا يتبيّن أنَّ علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره وعلىٰ سبيل الإمكان الوقوعي هو علم حضوري فعلي حادث ووهبي، اختصّه به الله تبارك وتعالىٰ، وهو يختلف عن علم الله سبحانه الذاتي والقديم، ولا يشاركه فيه، بل هو معلولٌ له ومُستفاض منه عزّ وجلّ.

وفي الروايات المأثورة ما يؤيّد ذلك، فعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الأَوَّلِ مُوسَىٰ عليه السلام قَالَ: «مَبْلَغُ عِلْمِنَا عَلَىٰ ثَلَاثَةِ وُجُوه مَاضٍ وغَابِرٍ وحَادِثٍ، فَأَمَّا المَاضِي فَمُفَسَّرٌ، وأَمَّا الْغَابِرُ فَمَزْبُورٌ، وأَمَّا الْحَادِثُ فَقَذْفٌ فِي الْقُلُوبِ ونَقْرٌ فِي الأَسْمَاعِ، وهُوَ أَفْضَلُ عِلْمِنَا ولَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّنَا»[٣].

ولا يوجد أيّ تنافي بين ما ورد في الروايات من أنَّ علم الأئمة المعصومين عليهم السلام علمٌ موروثٌ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبين أنّهم إذا شاءوا علموا أو أنَّ علمهم حضوريّ فعلي، لأنّ وصف علمهم بالعلم الحضوري الفعلي الحادث إنّما يتأتّىٰ

١. علم الإمام، الشيخ محمد حسين المظفّر: ص١١، ط ٢، بيروت ١٤٠٢هـ.
٢. ينظر التفصيل في كتاب علم الإمام، الشيخ محمد حسين المظفّر: ص٢٣ -٣٣، ط ٢، بيروت ١٤٠٢هـ.
٣. الكافي، الكليني: ج١، ص٢٦٤، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

من وجوب نصبهم وعلوّ مقامهم وعصمتهم وطهارتهم واستعدادهم النفسي والقلبي والعقلي للتوجّه والتلقّي من لدن حكيم عليم.

وطبقاً لذلك المُعطىٰ الاعتقادي الحقّ في الإيمان بأنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه يتميّز بالعلم الحضوري الفعلي مطلقاً، ومن مختلف سُبله، ينبغي أن نضع في منظومتنا في عصر الغيبة الكبرىٰ أُسساً يتقوّم عليها بناء النفس وتزكيتها وتسديد العقل وتصويبه وإصلاح الأفراد والمجتمع، تهدف في مجملها إلىٰ إيجاد الظروف الملائمة، والتي تمثّل في حقيقتها مُعدّاتٍ مُقَرِّبة من تنجيز الظهور وتحقيق القيام بالحقّ والهُدىٰ والعدل.

وإنَّ نفس هذا الاعتقاد لطفٌ يُقرّبنا من طاعة الإمام المهدي عجل الله فرجه في عباديّة الانتظار ووظيفة التمهيد وموجباتها، بما هو مقدور ومستطاع من حيث الإعداد والتمكين، لأنّ الأحداث المُنتَظَرة لا تنفكّ عن نظام الأسباب والمُسَبّبات، وإن كانت إرادة الله تعالىٰ هي الحاكمة في الوجود، ولكن ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ (الفتح: ٢٣).

وتفصيل البحث يقع في محاور ثلاثة، وهي:

المحور الأوّل: بعض الروايات النافية لعلمه عجل الله فرجه بوقت ظهوره وتوجيهها الدلالي بمقتضىٰ البداء الإلهي[١]، منها:

الرواية الأولىٰ: قال أبو حمزة الثمالي: قلتُ لأبي جعفر الإمام محمّد الباقر عليه السلام: إنَّ عليّاً عليه السلام قال: «إلىٰ السبعين بلاءٌ»، وكان يقول: «بعد السبعين رخاءٌ»، وقد مضت السبعون، ولم نرَ رخاءً، فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا ثابت، إنَّ الله قد كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلمّا قُتِلَ الحُسين عليه السلام اشتد غضب الله على أهل

١. البداء: وهو أنَّ الله تبارك وتعالىٰ عليمٌ بكلِّ شيءٍ مطلقاً، ما كان وما هو كائن وما سيكون، وأنَّ علمه قديم، ولكنه جلّ جلاله يعلّق أموراً بعضها على بعض فتتغيّر وفق مقتضيات عالم المحو والإثبات بما يرتبط بعالم الأسباب والمُسبّبات في الحياة الدنيا (والالتزام بجواز البداء في عالم المحو والإثبات لا يستلزم نسبة الجهل إلىٰ الله سبحانه، وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله)، بل هو إظهارٌ بعد إخفاءٍ.

الأرض، فأخّره الله إلىٰ الأربعين ومائة سنة، فحدّثناكم فأذعتم الحديث، وكشفتم القناع، قناع السرّ، فأخّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً - عندنا - ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]»، قال أبو حمزة: قلتُ لأبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام ذلك، فقال: «قد كان ذلك»، وكذلك قال أحدُهم عليهم السلام: «كَذِبَ الوقّاتون»[١].

التوجيه الدلالي: أنَّ هذه الرواية تدلّ في ظاهرها علىٰ وقوع تبدّلٍ في أصل تعيين وقت الظهور بالنظر إلىٰ ما حدث من أحداث فظيعة في الواقع آنذاك من أوّل الأمر، ومنها قتل الإمام الحُسَين عليه السلام، مما أوجب غضب الله سبحانه وتأخيره للوقت، فضلاً عن عدم توفّر الشروط الموضوعية لتحمّل حدوث الظهور وتحقّقه، فأخّره الله تعالىٰ ولم يجعل له وقتاً؛ لاقتضاء البداء فيه، ولذا ورد النهي عن التوقيت والتحديد للظهور.

والذي يمكن التمسّك به كدليل لنفي علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره في هذه الرواية هما الفقرتان: «فأخَّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا» و«كَذِبَ الوقّاتون».

وللمولىٰ المازندراني في شرح أصول الكافي ما يفيد هذا المعنىٰ الظاهر في شرح هذه الرواية، حيث قال: (أي كراهية تعيين الوقت لظهور هذا الأمر وصاحبه وحَمل الكراهة علىٰ الظاهر ظاهرٌ، وعلىٰ التحريم مُحتَملٌ «ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا»، أيّ لم يجعل لنا توقيته بعد ذلك، ولا يجوز لنا إظهار وقته، ويُحتمل أن يكون المراد أنّه لم يجعل لنا علماً بوقته بعد ذلك)[٢].

فإذن هذه الرواية لا تساعد علىٰ النفي القطعي لعلم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره الشريف وإن كان ظاهرها المنع من التوقيت والتحديد أو المنع

١. الكافي، الكليني: ج١، ص٣٦٨، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية؛ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج١، ص١٧٨، طبعة وتحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه قم المقدسة.
٢. شرح أصول الكافي - المازندراني: ج٦، ص٣٣٢، ط١، بيروت ١٤٢١هـ.

من التصريح بوقت الظهور مع كون العلم به محفوظاً عند الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولكن ناله البداء لحكمة يعلمها الله سبحانه.

وإنّما ورد تكذيب الموقّتين، وذلك لعدم علمهم بالوقت المعلوم والمجعول في علم الله تعالىٰ قطعاً، لا أنَّ الله تعالىٰ لم يجعل للظهور وقتاً معلوماً من أوّل الأمر، بل كان له وقت وأخّره بمقتضىٰ البداء.

وقد علّق الشيخ الطوسي رحمه الله أيضاً تعليقاً قيّماً علىٰ هذه الرواية وتوجيهها وفق وقوع البداء في تعيين الوقت، حيث ذكرَ نصّاً:

(فالوجه في هذه الأخبار أن نقول - إنْ صحت -: إنَّه لا يمتنع أن يكون الله تعالىٰ قد وقَّت هذا الأمر في الأوقات التي ذُكرَت، فلمّا تجدّد ما تجدّد تغيَّرت المصلحة واقتضت تأخيره إلىٰ وقت آخر، وكذلك فيما بعد، ويكون الوقت الأول وكُلُّ وقتٍ يجوز أن يؤخّر مشروطاً بأن لا يتجدد ما تقتضي المصلحة تأخيره إلىٰ أن يجيء الوقت الذي لا يغيِّره شيءٌ فيكون محتوماً، وعلىٰ هذا يتأوَّل ما روي في تأخير الأعمار عن أوقاتها، والزيادة فيها عند الدعاء وصلة الأرحام، وما روي في تنقيص الأعمار عن أوقاتها إلىٰ ما قبله عند فعل الظلم وقطع الرحم وغير ذلك، وهو تعالىٰ وإن كان عالماً بالأمرين فلا يمتنع أن يكون أحدهما معلوماً بشرطٍ والآخر بلا شرطٍ، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل، وعلىٰ هذا يتأوَّل أيضاً ما روي من أخبارنا المتضمنة للفظ البداء ويبين أنَّ معناها النسخ علىٰ ما يُريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ، أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات، لأنَّ البداء في اللغة هو الظهور، فلا يمتنع أن يَظهر لنا من أفعال الله تعالىٰ ما كنّا نظن خلافه، أو نعلم ولا نعلم شرطه)[1].

١. الغيبة، الطوسي: ص٤٢٩، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة.

وذكر الميرزا محمّد تقي الأصفهاني رحمه الله توجيهاً دلاليّاً آخر مختلفاً لهذه الرواية، ونصّه:

(إذ لا صراحة ولا ظهور في هذه الأحاديث بكون المراد بهذا الأمر ظهور الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه، بل لا يمكن أن يكون المراد به ظهوره عجل الله فرجه، لأنَّ السبعين وأربعين ومائة كانتا قبل ولادته - فالمراد به استيلاء الأئمة عليهم السلام وظهور دولة الحقّ وغلبة المؤمنين علىٰ المخالفين، وهذا غير مقيَّد بظهوره عجل الله فرجه بحسب هذه الروايات، وليست منافية لترتيب الإمامة وكون عددهم اثني عشر، والظاهر من هذه الأحاديث أنَّ ظهور دولة الحقِّ وغلبة الأئمة وشيعتهم، واستيلائهم علىٰ أهل الباطل وبسطهم العدل في الدنيا، كانت مُقدَّرة في السبعين بشرط اتّفاق الناس علىٰ نصرة الحُسين عليه السلام، فإنَّ ذلك كان تكليفاً علىٰ عامتهم)[1].

الرواية الثانية: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام، إِذْ دَخَلَ عَلَيْه مِهْزَمٌ، فَقَالَ لَه: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الأَمْرِ الَّذِي نَنْتَظِرُ، مَتَىٰ هُوَ؟ فَقَالَ: «يَا مِهْزَمُ، كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، وهَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ، ونَجَا الْمُسَلِّمُونَ»[2].

التوجيه الدلالي: في هذه الرواية يسأل السائل الإمامَ جعفر الصادق عليه السلام عن تحديد وقت الظهور الشريف المُنتَظَر، فيجيبه بتكذيبِ كُلِّ موقِّتٍ، ويرشده إلىٰ عدم الاستعجال المُهلِك، وإنّما المطلوب اعتقاداً هو التسليم بحتميّة وقوع الظهور وتحقّق الفرج، والرضا بالقضاء والتقدير الإلهي الحكيم.

ولا يوجد في منطوق الرواية ما يمنع من علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره، وإنّما المنع ورد في شأن كلِّ موقّتٍ أو مُخبِرٍ بذلك، لأنّه غير عالمٍ قطعاً

١. مكيال المكارم، الميرزا محمّد تقي الأصفهاني: ج٢، ص٣١٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٢. الكافي، الكليني: ج١، ص٣٦٨، ط ٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

ويقيناً بالوقت المخصوص والواقعي في علم الله تبارك وتعالىٰ، أو لأنَّ البداء قد يطال تعيين الوقت المعلوم فيتغيَّر وفق المصالح والظروف والمقتضيات اللازمة لذلك ممّا يستدعي تكذيب الوقّاتين.

وقد بيَّن هذا المعنىٰ المولىٰ المازندراني في شرح أصول الكافي، حيث قال في شرح هذه الرواية:

قوله: (أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظره، متىٰ هو؟)، سأله عن تعيين الوقت لظهور هذا الأمر، فأجاب عليه السلام بأنَّ المُوَقِّت له والمُخبِر بأنَّ وقته كذا كاذبٌ، إما لعدم علمه به أو لأنَّ كُلّ وقتٍ فُرِضَ فهو في مَعرض البداء، وبأنَّ المُستعجل لظهوره هالكٌ لعدم رضائه بالقضاء الإلهي والتقدير الأزلي، وبأنَّ المُسَلِّم لظهوره والقائل به في وقتٍ ما ناجٍ لاعتقاده بالحقّ من وجهين: أحدهما ظهوره، وثانيهما عدم الاستعجال المستلزم لتفويض الأمر إليه تعالىٰ والرضا بقضائه وتقديره)[1].

والإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية أيضاً لم ينفِ العلمَ بالوقت، لا عن نفسه ولا عن أهل البيت عليهم السلام بحسب مناسبات الحكم والموضوع، بل نفىٰ العلم بوقت الظهور عن غيرهم عليهم السلام ممّن يوقِّت أو يُخبِر كذباً دون علم ويقين بذلك.

وفي الرواية تأكيد علىٰ ترك التوقيت وتكذيب الموقِّتين ممّن يوقِّت لظهور صاحب الأمر عجل الله فرجه دون علمٍ بما يُخالف الواقع حتماً وما يوجب الهلاك فعلاً.

الرواية الثالثة: وهي التي رواها النعماني في كتابه الغيبة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: قلتُ له: ما لهذا الأمر أمدٌ ينتهي إليه ويريح أبداننا؟ قال: «بلىٰ، ولكنكم أذعتم فأخَّره الله»[2].

---

١. شرح أصول الكافي – المازندراني: ج٦، ص٣٣٢، ط١، بيروت ١٤٢١هـ.

٢. الغيبة، ابن أبي زينب النعماني: ص٢٩٩، ط١، ١٤٢٢هـ، منشورات أنوار الهدىٰ، قم، إيران.

وفي كتاب الغيبة للطوسي رواها باختلافٍ يسير، عن أبي بصير، قال: قلتُ له - للإمام جعفر الصادق عليه السلام -: ألهذا الأمر أمدٌ نريح أبداننا وننتهي إليه؟ قال: «بلىٰ، ولكنّكم أذعتم فزادَ اللهُ فيه»[1].

التوجيه الدلالي: هذه الرواية بطريقيها - عن الشيخين النعماني والطوسي رحمهما الله - قد وردت أيضاً في أخبار المنع من التوقيت لظهور صاحب الأمر عليه السلام، وهي بحسب ظاهرها تدلّ علىٰ خفاء أصل توقيت الظهور عن المؤمنين وإخفائه بمقتضىٰ البداء الإلهي الحكيم، وذلك لعدم توفّر الظروف الموضوعيّة للتغيير الموعود علىٰ مستوىٰ الأفراد أو الأُمّة، وبدليل التعليل في ذيل الرواية علىٰ اختلاف العبارتين «ولكنّكم أذعتم فأخّره الله»، «ولكنّكم أذعتم فزادَ اللهُ فيه»، وكلتا العبارتين تُشير إلىٰ وقوع البداء في تعيين وقت الظهور وتحديده وفق تغيّر المصالح الخارجية والواقعية آنذاك ومقتضياتها.

ونكتفي هنا بالتوجيه الدلالي الذي ذكره الشيخ الطوسي في ما يخصّ هذه الرواية، حيث قال:

(والوجه في هذه الأخبار ما قدّمنا ذكره من تغيُّر المصلحة فيه، واقتضائها تأخير الأمر إلىٰ وقتٍ آخر علىٰ ما بيّناه، دون ظهور الأمر له تعالىٰ، فإنّا لا نقول به ولا نجوِّزه[2] - تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً -.

فإن قيل: هذا يؤدّي إلىٰ أن لا نثق بشيءٍ من أخبار الله تعالىٰ.

قلنا: الأخبار علىٰ ضربين:

ضربٌ: لا يجوز فيه التغير في مُخبراته، فإنّا نقطع عليها، لِعِلمنا بأنّه لا يجوز

---

١. الغيبة، الطوسي: ص٤٣١، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة.

٢. وهنا يقصد الشيخ الطوسي: أنّه ينفي القول بالبداء علىٰ الله سبحانه والذي يكون بمعنىٰ الظهور بعد الخفاء وما يَلزم منه الجهل علىٰ الله عزّ وجلّ، بل هو يقول بالبداء الذي يعني الإظهار بعد الإخفاء أو التغيير والتبديل للأمور في عالم المحو والإثبات وفق المصالح والمقتضيات، ولا يلزم من ذلك نسبة الجهل إلىٰ الله سبحانه.

أن يتغيَّر المُخبَر في نفسه، كالإخبار عن صفات الله تعالىٰ وعن الكائنات فيما مضىٰ، وكالإخبار بأنّه يثيب المؤمنين.

والضرب الآخر: هو ما يجوز تغيُّره في نفسه لتغيُّر المصلحة عند تغيُّر شروطه، فإنّا نُجَوّز جميع ذلك، كالإخبار عن الحوادث في المستقبل، إلّا أن يرد الخبر علىٰ وجه يُعلَم أنَّ مُخبَره لا يتغيّر، فحينئذٍ نقطع بكونه، ولأجل ذلك قُرِن الحتمُ بكثير من المُخبَرات، فأعلمنا أنّه مما لا يتغيَّر أصلاً، فعند ذلك نقطع به)[1].

إذن هذه الرواية لا تنفي إمكان علم الإمام عجل الله فرجه بوقت ظهوره الشريف، وإنّما تحكي وقوع البداء والتأخير والتأجيل في الوقت بالنظر إلىٰ عدم تحقّق الشروط الإيمانية والاجتماعية والتدبيرية لتقبّل الحدث الموعود العظيم وتحمّله.

الرواية الرابعة: وهي ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «فقد حدثني أبي، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متىٰ يخرجُ القائمُ من ذريّتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: مَثَله مَثَل الساعة التي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً»[2].

التوجيه الدلالي: أنَّ هذه الرواية وبحسب الظاهر تدل علىٰ أنَّ العلم بوقت ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه كالعلم بقيام الساعة، والتي لا يعلمها إلّا الله سبحانه وتعالىٰ وحده، ممّا تعطي احتمالاً بعدم علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره، ولكن الراجح دلالةً خلاف ذلك، لأنَّ قيد (بغتَة) الذي قيّد به العلم بوقوع الساعة «لا تأتيكم إلّا بَغتَةً» يكشف عن أنَّ ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه أيضاً سيقع بغتةً وفجأةً بدليل التمثيل بين الأمرين «مَثَله مَثَل الساعة» في الوقوع

١. الغيبة، الطوسي: ص٤٣٢، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة.
٢. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٣٧٣، ح٦، نشر مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرّسين بقم المشرفة - إيران.

والقيام فجأةً، ولا يوجد نفي لعلم الإمام بوقت ظهوره في هذه الرواية بعد رسوخ الاعتقاد بأنَّ علم الإمام المهدي عليه السلام علمٌ حضوري فعلي حادثٌ موهوبٌ ومُستفاضٌ من الله تعالىٰ.

وقد ورد ما هو قريب من مضمون هذه الرواية روايةٌ طويلةٌ نذكر قسماً منها:

عن المفضّل بن عمر، قال: سألتُ سيّدي الصادق عليه السلام، هل للمأمول المنتظر المهدي عليه السلام مِن وقتٍ موقَّت يعلمه الناسُ؟ فقال: «حاشا لله أن يوقِّت ظهورَه بوقتٍ يعلمه شيعتنا»، قلتُ: يا سيّدي ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّه هو الساعة التي قال الله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]...»[١].

ورواية المفضّل بن عمر هذه فيها مدلولان:

أحدهما: نفي علم الناس والشيعة بوقت ظهوره الإمام المهدي عجل الله فرجه، وهي بهذا المعنىٰ تكون من أخبار المنع عن التوقيت والنهي عنه.

والمدلول الآخر: هو تشبيه وقت ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه أو تأويله بوقت قيام الساعة وهي من مختصّات علم الله سبحانه وحده، والتي تقع بغتةً وفجأةً.

وعلىٰ تقدير كِلا المدلولين لا ينال النفي علمَ الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره، بل الظاهر والراجح هنا أنَّ التشبيه أو التأويل يعطي معنىٰ أنَّ ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه يحدث فجأةً وبغتةً كالساعةِ، وهذا المعنىٰ ورد في كثير من الروايات المأثورة، عن زرارة، قال: سألتُ أبا جعفر الإمام الباقر عليه السلام، عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الزخرف: ٦٦]، قال: «هي ساعة القائم عليه السلام تأتيهم بَغتَةً»[٢].

١. مختصر بصائر الدرجات، الشيخ حسن بن سليمان الحلّي: ص١٧٩، الطبعة الأولىٰ - منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.

٢. بحار الأنوار، المجلسي: ج٢٤، ص١٦٤، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

المحور الثاني: بعض الأدلّة المُثبتَة لعلمه ﷺ بوقت الظهور قبل وقوعه:

أوّلاً: ما ورد من التوجيه الدلالي للنهي عن التوقيت وكراهيته، عن أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُه عَنِ الْقَائِمِ، فَقَالَ: «كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نُوَقِّتُ»[١].

حيث ذكر المولىٰ المازندراني رحمه الله في شرح أصول الكافي في شرح هذه الرواية ما نصّه:

(قوله: «إنّا أهل بيتٍ لا نوقّت» دلّ ظاهراً علىٰ أنَّ لهم علماً بالوقت إلّا أنَّهم لا يوقّتون لمصالح، منها ما سيذكره علي بن يقطين، عَنْ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ، قَالَ، قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: «الشِّيعَةُ تُرَبَّىٰ بِالأَمَانِيِّ مُنْذُ مِائَتَيْ سَنَةٍ»، قَالَ: وقَالَ يَقْطِينٌ لِابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ: مَا بَالُنَا قِيلَ لَنَا فَكَانَ، وقِيلَ لَكُمْ فَلَمْ يَكُنْ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: «إِنَّ الَّذِي قِيلَ لَنَا ولَكُمْ كَانَ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، غَيْرَ أَنَّ أَمْرَكُمْ حَضَرَ فَأُعْطِيتُمْ مَحْضَهُ، فَكَانَ كَمَا قِيلَ لَكُمْ وإِنَّ أَمْرَنَا لَمْ يَحْضُرْ فَعُلِّلْنَا بِالأَمَانِيِّ، فَلَوْ قِيلَ لَنَا إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَىٰ مِائَتَيْ سَنَةٍ أَوْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، لَقَسَتِ الْقُلُوبُ ولَرَجَعَ عَامَّةُ النَّاسِ عَنِ الإِسْلَامِ، ولَكِنْ قَالُوا مَا أَسْرَعَهُ ومَا أَقْرَبَهُ تَأَلُّفاً لِقُلُوبِ النَّاسِ وتَقْرِيباً لِلْفَرَجِ» - وبيَّن وجه التعليل بقوله: «الشيعة تُرَبَّىٰ بالأماني» أراد بتربيتهم إصلاح حالهم وتثبيت قلوبهم بالوعد القريب لظهور صاحب الأمر ﷺ واستيلائه علىٰ العباد والبلاد، ولو تحقق الوعد البعيد حصل لهم اليأس من لقائه واضطربت نفوسهم وفسدت عقائدهم)[٢].

ثانياً: ما ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله بقوله:

(فإن قيل: بأي شيءٍ يَعلم زوالَ الخوف وقتَ ظهوره، أبوحي مِن الله؟

١. الكافي، الكليني: ج١، ص٣٦٨، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

٢. شرح أصول الكافي - المازندراني: ج٦، ص٣٣٢-٣٣٥، ط١، بيروت ١٤٢١هـ.

فالإمام لا يُوحىٰ إليه، وبعلم ضروري؟ فذلك ينافي التكليف، أو بأمارة توجب عليه الظن؟ ففي ذلك تغرير بالنفس؟

قلنا: عن ذلك جوابان:

أحدهما: أنَّ الله تعالىٰ أعلمه علىٰ لسان نبيه صلى الله عليه وآله، وأوقفه عليه من جهة آبائه عليهم السلام زمانَ غيبته المخوفة، وزمان زوال الخوف عنه، فهو يتبع في ذلك ما شُرّع له وأُوقف عليه، وإنّما أُخفي ذلك عنا لما فيه من المصلحة، فأمّا هو، فهو عالم به لا يرجع فيه إلىٰ الظن.

والثاني: أنَّه لا يمتنع أن يغلب علىٰ ظنّه بقوّة الأمارات بحسب العادة قوّة سلطانه، فيظهر عند ذلك ويكون قد أعلم أنّه متىٰ غلب في ظنه كذلك وجب عليه، ويكون الظن شرطاً والعمل عنده معلوماً، كما نقوله في تنفيذ الحكم عند شهادة الشهود، والعمل علىٰ جهات القبلة بحسب الأمارات والظنون، وإن كان وجوب التنفيذ للحكم والتوجه إلىٰ القبلة معلومين، وهذا واضح بحمد الله)[1].

وفي هذا النص يثبت الشيخ الطوسي رحمه الله بدليل النقل والعقل أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه يعلم بوقت ظهوره من خلال إعلام الله تعالىٰ له علىٰ لسان نبيه الأكرّم صلى الله عليه وآله، وهو ما أسمته الروايات المأثورة (بالعلم المبذول) والذي يختصّ به الله سبحانه خواصّ خلقه، وقد تقدّم بيان ذلك في بداية البحث، وكذلك يمكن أن يعلم عجل الله فرجه بوقت ظهوره بحسب تحقّق العلامات والأمارات والشروط الموضوعية والنفسية والاجتماعية والتدبيرية والواقعية في حينها، والتي يتوقّف عليها تنجيز وتمكين الظهور والقيام فعلاً وإحداثاً.

ثالثاً: منها ما ورد في الكافي بسند معتبَر، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ:

١. الغيبة، الطوسي: ص٣٣١، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة.

سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: «الأَئِمَّةُ عُلَمَاءُ صَادِقُونَ مُفَهَّمُونَ مُحَدَّثُونَ»[١].

وفي هذه الرواية المعتبَرة إطلاق يشمل الإمام المهدي عجل الله فرجه في ثبوت العلم له في أن يعلم إذا شاء وأراد، كما مرّ في تفسير أحد معاني العلم لهم عليهم السلام، وكذلك ثبوت الفهم له، وهو مرتبة عالية من مراتب المعرفة، وثبوت التحديث الملائكي له أيضاً، وهو أمرٌ ممكن، وقد وقع مع غيره من المعصومين وغيرهم، كما حكىٰ ذلك القرآن الكريم في قصة زوجة النبي إبراهيم عليه السلام.

وفي المجموع الدلالي لهذه الرواية المعتبرة يمكن أن يعلم الإمام المهدي عجل الله فرجه وقتَ ظهوره بتفهيم الله تعالىٰ له وتعليمه إيّاه إلهاماً وإفاضةً منه سبحانه أو بتحديث الملائكة له.

ويعضد هذه الرواية المعتبرة رواية معتبرة ثانية وردت بعدها في كتاب الكافي للكليني رحمه الله تُبيّن مصداق هذه المعاني الاعتقادية ثبوتاً في شخص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بوصفه أوّل الأئمة المعصومين المنصوبين إذ روىٰ الشيخ الكليني بسند معتبر، عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ مُحَدَّثاً»، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: جِئْتُكُمْ بِعَجِيبَةٍ، فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟ فَقُلْتُ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام مُحَدَّثاً»، فَقَالُوا: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً إِلَّا سَأَلْتَه مَنْ كَانَ يُحَدِّثُه، فَرَجَعْتُ إِلَيْه، فَقُلْتُ: إِنِّي حَدَّثْتُ أَصْحَابِي بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالُوا: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً إِلَّا سَأَلْتَه مَنْ كَانَ يُحَدِّثُه، فَقَالَ لِي: «يُحَدِّثُه مَلَكٌ»، قُلْتُ: تَقُولُ إِنَّه نَبِيٌّ؟ قَالَ: فَحَرَّكَ يَدَه هَكَذَا أَوْ كَصَاحِبِ سُلَيْمَانَ أَوْ كَصَاحِبِ مُوسَىٰ أَوْ كَذِي الْقَرْنَيْنِ، أومَا بَلَغَكُمْ أَنَّه قَالَ وفِيكُمْ مِثْلُه»[٢].

---

١. الكافي، الكليني: ج١، ص٢٧١، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

٢. الكافي، الكليني: ج١، ص٢٧١، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

رابعاً: وهو ما ذهب إليه الميرزا محمّد تقي الأصفهاني في كتابه القيّم: (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام)، في إثبات علم الإمام المهدي عليه السلام بوقت ظهوره الشريف.

حيث قال: (إنَّ الإمام عليه السلام يَعلم وقتَ ظهوره، لكنّه لم يؤذَن بإظهاره، كما أنَّ الأئمة الماضين لم يؤذنوا بإظهاره لأنَّ الأئمة عليهم السلام وإن كانوا عالمين بكل شيءٍ، عدا ما استثنىٰ مثل الاسم الأعظم، الذي ادّخره الله عزّ وجلّ لنفسه، لم يطلع عليه أحداً من خلقه، لكنّهم ﴿عِبادٌ مُكْرَمُونَ ۝ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، ولا يخبرون العبادَ إلّا بما أمرهم الله تعالىٰ بإظهاره لهم، كما ورد ذلك في روايات عديدة مذكورة في البصائر وغيره)[1].

المعطيات المترتبة علىٰ الاعتقاد بعلم الإمام المهدي عليه السلام بوقت ظهوره الشريف:

أوّلاً: يظهر ممّا تقدّم من بعض الأدلّة المُثبتة لعلم الإمام المهدي عليه السلام بوقت ظهوره وستره لمصالح واقعية معلومة عند الله تعالىٰ أنَّ هناك معطياتٍ تربويةً مختلفةً تترتّب علىٰ ذلك المعنىٰ الاعتقادي تدخل في صميم البناء الذاتي المستقيم لشخصيّة الإنسان المؤمن المُعتقد بإمام الزمان والعارف بوجوده وحتميّة ظهوره وقيامه بالحقّ والهدىٰ والصلاح والقضاء علىٰ الظلم والفساد في الأرض، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، وفي الرواية ما يفيد هذه المعطيات، فعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، فَقَالَ: «يَا فُضَيْلُ، اعْرِفْ إِمَامَكَ فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ إِمَامَكَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ، ومَنْ عَرَفَ إِمَامَه ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ صَاحِبُ هَذَا الأَمْرِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِداً فِي عَسْكَرِه، لَا بَلْ

١. مكيال المكارم، الميرزا محمّد تقي الأصفهاني: ج٢، ص٣٢٤، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَعَدَ تَحْتَ لِوَائِهِ»، قَالَ: وقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله[١].

وهذه الرواية القيّمة تعطي للإنسان المؤمن - ممّن لم يدرك إمام الزمان في ظهوره وقيامه - طمأنينةً في أهمّية المعرفة العقائدية الراسخة والصحيحة والتي تُنزل منزلَةَ المُدرِكِ فعلاً، بحيث تجعل المعرفة الواجبة المطلوبة وافيةً في إطار الممكن والمقدور والواقع المتاح في حرَاكِ المُكلَّف علماً وقدرةً.

ثانياً: أنَّ لهذا الاعتقاد دخالةً أساسيّةً في تربية الأُمة والمجتمع علىٰ معاني التسليم والتضحية والأمل والانتظار الفاعل وتزكية النفس وتطهير القلب وإعداد القدرات والخبرات التي تستوعب حدث التغيير الكبير وتناصره، وهذا ما أشار إليه أيضاً التوجيه الدلالي الأوّل المتقدّم في المحور الثاني والتعليل بـ(تُربّىٰ الشيعة بالأماني).

ثالثاً: أنَّ الاعتقاد الحقّ عندما يرسخ في عقل وقلب ونفس الإنسان سيجعله علىٰ ثباتٍ في مبادئه ومواقفه وعلىٰ طاعةٍ موافقةٍ لتكاليفه الشرعية والاجتماعية والثقافية فرداً ومجتمعاً في مُعترك التمييز والتمحيص قُبيل الظهور الشريف وتحقّقه، فعَنْ مَنْصُورٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله - الإمام الصادق عليه السلام -: «يَا مَنْصُورُ، إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْدَ إِيَاسٍ، ولَا والله حَتَّىٰ تُمَيَّزُوا، ولَا والله حَتَّىٰ تُمَحَّصُوا، ولَا والله حَتَّىٰ يَشْقَىٰ مَنْ يَشْقَىٰ ويَسْعَدَ مَنْ يَسْعَدُ»[٢].

رابعاً: يتجلىٰ أيضاً دور هذا الاعتقاد بكون الإمام المهدي عجل الله فرجه يعلم بوقت ظهوره المبارك في تعزيز معرفة وفهم ترابطية العلامات والأحداث والمتغيّرات وموانع الغيبة ومقتضيات زوالها ووظيفة المُنتَظِر تجاهها وكيفية التعاطي معها وبثّ الثقة والطمأنينة في النفس من حيث وضوح يقينية الظهور بشرطه

١. الكافي، الكليني: ج١، ص٣٧١، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

٢. الكافي، الكليني: ج١، ص٣٧٠، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

وشروطه، ومنها إصلاح الفرد نفسه، فضلاً عن مجتمعه، وصيرورة انتظار الفرج في خضمّ هذا الترابط الموضوعي والسببي بين الإمام والأحداث بمثابة الأمان من الضلالة والزيغ والتكفّل الحقيقي للثبات على الهُدىٰ والاستقامة والفوز والنجاة من الهلكة في الدنيا والآخرة، فعَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَتَىٰ الْفَرَجُ؟ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَصِيرٍ، وأَنْتَ مِمَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا؟ مَنْ عَرَفَ هَذَا الأَمْرَ فَقَدْ فُرِّجَ عَنْه لِانْتِظَارِه».

وقد شرح المولىٰ المازندراني هذه الرواية بوجه لطيف حيث ذكر:

(قوله (متىٰ الفرج) سأَلَ أبو بصير عن زمان حصول الفرج بظهور الصاحب عجل الله فرجه، أجاب عليه السلام بأنّك ممّن يُريد الدنيا وزينتها حيث تطلب الفرج الدنيوي، وهو أمرٌ سهلٌ هيّن، وإنّما الفرج هو الفرج الأخروي بالخلاص من العذاب الأبدي، وهذا الفرج قد حصل لك بالفعل، لأنّكَ عرفتَ هذا الأمر، ومن عرف هذا الأمر فقد فرّج الله عنه ورفع عنه ضيق الصدر ووسوسة القلب وعذاب الآخرة، كُلُّ ذلك لانتظاره ظهور هذا الأمر، وانتظاره لكونه من أفضل الطاعات سببٌ للفرج الحقيقي وهو الفرج الأخروي)[1].

خامساً: يُقدِّم هذا الاعتقاد رؤية عقائدية سليمة وقويمة عن حكمة ستر العلم بوقت الظهور وتعيينه، ووظيفة الإمام المهدي عجل الله فرجه في نفس عالمه الخاص شأناً وفي حدّ حراكه الممكن فعلاً ووقوعاً في عصر الغيبة الكبرىٰ من حيث كونه لطفاً وجوديّاً في حدّ نفسه ولغيره، تقدّم ظهوره أو تأخّر، وتظهر أيضاً في فهم ارتباط تنجّز وتحقّق ظهوره الفعلي بحكم التقديرات الإلهيّة ومصالح المتغيّرات الواقعية ووجوه البداء الذي يحدث في عالم المحو والإثبات، ممّا تجعل – هذه الرؤية – المؤمن يمرّ في مراحل التمحيص والامتحان والصبر والثبات لبيان مدىٰ صدق اعتقاده وقدرته علىٰ التحمّل والفوز في ذلك كلّه.

١. شرح أصول الكافي – المازندراني: ج٦، ص٣٤٣، ط١، بيروت ١٤٢١هـ.

وللميرزا محمّد تقي الأصفهاني بيانٌ قيّم لهذه الرؤية العقائدية السليمة، حيث قال في سياق إثبات علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره وارتباطه بعالم المحو والإثبات: (وهذا التمحيص والامتحان قد يقع في أصل الإذعان للمحو والإثبات فيؤمن به قومٌ مؤمنون وينكره قومٌ آخرون، كما زعمه قوم من الفلاسفة الزنادقة، وقد يقع في تصديق الأئمة الطاهرين، وحجج الله على العالمين، فيما أخبروا بوقوع البداء فيه، لكونه من الأمور الموقوفة، التي يجري فيها المحو والإثبات، فصدّقهم المؤمنون لاعتقادهم به، وبصدق أئمتهم وكذّبهم المعاندون ونسبوهم إلى الافتراء على الله جل شأنه في ذلك، وزعموا أن ذلك مما وضعه الأئمة عليهم السلام، ليكون مندوحة لهم فيما يخبرون به شيعتهم، ثم يقع على خلاف ما حدّثوهم به، فقد دلّ (جلّ وعزّ) في كتابه الكريم على وقوع المحو والإثبات تصديقاً لما يُحدّث به ويبيّنه حججه وبيناته، وينكره الجاهلون به وعصاته، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وقد يقع التمحيص والامتحان في الآثار المترتبة على الاعتقاد بوقوع المحو والإثبات، في مرحلة التوكل والتعبد، والتصدق، والتضرع، والدعاء، والاهتمام، في الأمور الباعثة للتبديل والتغيير في التقديرات الموقوفة، القابلة للمحو والإثبات)[1].

المحور الثالث: الترابط بين علمه عجل الله فرجه بوقت الظهور والبداء الإلهي والعلامات الحتميّة وآثاره:

من المعلوم في المنظومة الاعتقادية لمذهب أهل البيت المعصومين عليهم السلام أنَّ ظهور الإمام المَهدي عجل الله فرجه وخروجه من المحتوم والميعاد الذي لا يتغيَّر ولا يتبدّل، فلا يطاله البداء قطعاً.

١. مكيال المكارم، الميرزا محمّد تقي الأصفهاني: ج٢، ص٣٢٥، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

وإنّما الكلام في أنه: هل من الممكن أن يقع البداء في وقت الظهور والعلامات الحتمية قُبيله؟

ولا شكّ في أنَّ الاعتقاد بالبداء هو المَخرَج العلمي والمعرفي لتفسير المتغيّرات وتأخّر تحقّق بعض العلامات ممّا يقدّم فهماً راشداً وواعياً لعملية الترابط الاعتقادي بين مجموع الاعتقادات الحتميّة الموعودة ولزوم تحقّقها ووقوعها لزاماً، وفي الرواية عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله - الإمام الصادق عليه السلام - يَقُول: «اخْتِلَافُ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنَ الْمَحْتُومِ، والنِّدَاءُ مِنَ الْمَحْتُومِ، وخُرُوجُ الْقَائِمِ مِنَ الْمَحْتُومِ»، قُلْتُ: وكَيْفَ النِّدَاءُ؟ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَوَّلَ النَّهَارِ أَلَا إِنَّ عَلِيّاً وشِيعَتَه هُمُ الْفَائِزُونَ»، قَالَ: «ويُنَادِي مُنَادٍ فِي آخِرِ النَّهَارِ أَلَا إِنَّ عُثْمَانَ وشِيعَتَه هُمُ الْفَائِزُونَ»[1].

وفي رواية أخرىٰ عبّرت عن خروج القائم عجل الله فرجه وظهوره بالميعاد الذي لا يبدو لله فيه، حدثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنّا عند أبي جعفر محمّد بن علي الرضا عليه السلام فجرىٰ ذكر السفياني، وما جاء في الرواية من أنَّ أمره من المحتوم، فقلتُ لأبي جعفر عليه السلام: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم»، قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم، فقال: «إنَّ القائم من الميعاد، والله لا يُخلف الميعاد»[2].

وللعلّامة المجلسي رحمه الله بيان في توضيح مفهوم المحتوم وكيفية إمكان وقوع البداء فيه، فقال:

(لعلَّ للمحتوم معاني يمكن البداءُ في بعضها وقوله: «من الميعاد» - إشارة إلىٰ أنّه لا يمكن البداء فيه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾ [آل عمران: ٩- الرعد: ٣١]، والحاصل أنَّ هذا شيء وعدَ الله رسوله وأهل بيته، لصبرهم علىٰ المكاره التي وصلت

١. الكافي، الكليني: ج٨، ص٣١٠، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية.

٢. الغيبة، ابن أبي زينب النعماني: ص٣١٥، ط١، ١٤٢٢هـ، منشورات أنوار الهدىٰ، قم، إيران.

إليهم من المخالفين، والله لا يُخلف وعده، ثم أنّه يحتمل أن يكون المراد بالبداء في المحتوم البداء في خصوصياته لا في أصل وقوعه كخروج السفياني قبل ذهاب بني العباس ونحو ذلك)[١].

ووفقاً لذلك المبنىٰ الاعتقادي في فهم البداء وكيفية وقوعه في بعض المحتوم، يمكن أن يحصل البداء في نفس وقت ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، من حيث التقديم والتأخير وفق التقديرات الإلهية المطابقة للواقع والحكيمة في أغراضها عند التحقق والوقوع، لا أن يقع البداء في أصل وقوع ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه لأنّه من الميعاد القطعي الثبوت والتحقّق، فضلاً عن إمكان وقوع البداء في خصوصيات بعض العلامات المحتومة.

وأمّا الميرزا محمّد تقي الأصفهاني فلم يستبعد إمكان وقوع البداء في تعيين وقت الظهور الشريف، وأورد توجيهاً اعتقادياً لهذا المعنىٰ بما نصّه قائلاً:

(إذ لا بُعد في أن يكون لظهوره وقتان في علم الله سبحانه أحدهما أقرب، والآخر أبعد، ويكون ظهوره في الزمان الأقرب مشروطاً باهتمام المؤمنين وإكثارهم من الدعاء بتعجيل فرجه وتقريب ظهوره، وهذا معنىٰ كون ظهوره من الأمور البدائية التي تقبل التقديم والتأخير، ودلالة الروايات المروية عن الأئمة عليهم السلام علىٰ هذا المرام غير خفية علىٰ من كان له تتبع تام، وهذا الوقت الأقرب لما يجيء إلىٰ الآن، فإنكار تأثير الدعاء مما يذوده البرهان، لأنّه قد دلّ علىٰ تأثيره صريح القرآن، في كلّ ما يكون تحققه في بقعة الإمكان، وإمكان تقدّم ظهور صاحب الزمان، وقُربه بدعاء أهل الإيمان، ممّا دلّت عليه الأحاديث المروية، عن أهل الذكر والتبيان)[٢].

١. بحار الأنوار، المجلسي: ج٥٢، ص٢٥١، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

٢. مكيال المكارم، الميرزا محمّد تقي الأصفهاني: ج١، ص٣٦١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

وهناك رأي آخر جدير بالذكر يخالف القول بإمكان وقوع البداء في المحتوم وعلاماته، بناءً علىٰ تضعيف الرواية آنفة الذكر التي ذكرت أنَّ القائم من الميعاد ذكره المحقّق السيّد جعفر مرتضىٰ العاملي رحمه الله حيث قال:

(وهذه الرواية ضعيفة السند فلا يُعوّل عليها، ولا يوجد نص معتبر يُؤيد مضمونها، ونحن نعتقد أنَّ المحتوم لا يقع فيه لله بداء، وقد استخدم القرآن معنىٰ المحتوم بمعنىٰ الموعود في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، وذهب جمع من الفقهاء إلىٰ أنَّ المحتوم ليس لله تعالىٰ فيه بداء - وقد لاحظنا بالاستقراء التام لجميع العلامات الحتميّة أنَّ كلَّ واحدة منها وردت بشأنها نصوص قرآنية واضحة صريحة مُفسَّرَة من أهل البيت بها - ولا تقبل الانطباق علىٰ حوادث غيرها، فإذا قلنا بوقوع البداء فيها أجزنا القول بوقوع النسخ في القرآن بعد عصر النبوة، وهو غير مُتصَوّر.

ومن الجدير بالانتباه أنَّ العلامات الحتميّة تعتبر من أهم علامات الظهور علىٰ الإطلاق لاعتبارات عديدة، منها: أنّها كلُّها تقع في عصر الظهور، أي تحدث قريبة جداً من تاريخ الظهور المقدس، وأكثرها تتحقق في سنة الظهور كالسفياني، والصيحة، والخسف، واليماني، وقتل النفس الزكية، وظهور العباسي.

ومنها: أنَّ نجاح المخطط الإلهي لليوم الموعود يتوقف علىٰ وقوع العلامات الحتمية في الأُمة، وعند عدم تحققها ينسف مفهوم الانتظار المتقوِّم بها، كما ينسف مفهوم الغربلة وفرز الجماعات الخبيثة من الطيبة تمهيداً للظهور، لأنَّ أحداث هذه العلامات هي التي تصنع الأجواء السياسية والاجتماعية التي تجسّد مفهوم الغربلة إلىٰ واقع فعلي في حياة الأُمة.

ومنها: أنَّ هناك ترابط موضوعي بينها بحيث تكون العلامة الأولىٰ منها

علّةً لوقوع الثانية التي بعدها، والثانية أيضاً تكون علّةً لتحقق الثالثة، وهكذا البقية...)[١].

وبهذه التوجيهات المختلفة لإمكان وقوع البداء في المحتوم في خصوصياته أو في بعض علاماته أو عدم وقوعه يمكن القول: إنَّ البداء هو مانع واقعي من تعيين وقت الظهور وإخبار الناس به، تفويتاً لنقض الأغراض الإلهيّة الحكيمة العائدة والتي تصبّ في مصلحة الإمام المهدي عجل الله فرجه وإنجاح مشروعه الإصلاحي والتغييري الكبير، وكذلك لأنَّ البداء يمثّل لطفاً إلهيّاً بالعباد أنفسهم، من حيث ترسيخ إيمانهم بقدرة الله تعالىٰ وإطلاقها علىٰ كلِّ شيءٍ، وتحقيقه متىٰ شاء وأراد حتماً مقضيّاً.

ولا ينافي كون وقت الظهور ممّا سُتِرَ علمه وإمكان وقوع البداء في المحتوم وبعض خصوصياته وعلاماته حِفْظ علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت ظهوره الشريف وحتميّة تحقّقه بحسب مقتضيات الوقائع والظروف والشروط، والتي لا يعلمها إلّا الله وحده سبحانه فيطلعه عليه إلهاماً أو إفاضةً كما تقدّم توضيح ذلك فيأذن له ويسدّده.

وثمة سؤال قد يرد في المقام، وهو: هل يرتبط علم الإمام المهدي عجل الله فرجه بوقت الظهور بضرورة تحقّق العلامات الحتميّة من جهة اقتضاء الظهور لوجود العلامة قُبيله، كالسفياني مثلاً؟

والجواب: أنَّ الاعتقاد السائد والوارد في المأثور الروائي وبغض النظر عن مسألة البداء ووقوعه أو عدم وقوعه في المحتوم أو في خصوصياته - هو الترابط السببي والوجودي بين مجموع أحداث وعلامات سنة الظهور، بحيث لا ينفك بعضها عن بعض في التحقّق والفعليّة وبنسق ونظام واحد متتابع يكشف عن

١. توضيح الواضحات من أشكال المشكلات، السيّد جعفر مرتضىٰ العاملي: ص٣٨، ط١، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان.

موضوعية العلامة الحتمية وطريقيَّتها في تنجّز فعليّة العلم بوقت الظهور وتحقّقه في ظرفه المُخطّط له في علم الله تعالىٰ والمعلوم عند الإمام المهدي عجل الله فرجه نفسه.

ففي الرواية عن أبي بصير عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كلّ وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدىٰ من راية اليماني، هي راية هُدىٰ، لأنّه يدعو إلىٰ صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرَمَ بيع السلاح علىٰ الناس وكلّ مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإنَّ رايته راية هدىٰ، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمَن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنَّه يدعو إلىٰ الحقّ وإلىٰ طريق مستقيم»[1].

وهذا الترابط الحدثي يحكي عن أنَّ هذه العلامات المحتومة والمتسارعة أشبه بالمقدّمات الوجودية والتي يتوقّف عليها تحقّق الواجب العقائدي المطلوب عقلاً، لأنّها في الواقع تمثّل مخاض عملية التغيير المرتقَب والمأمول حدوثاً ووقوعاً، والتي لابُدّ للإمام المهدي عجل الله فرجه من أن يمسك بزمام الأمر بها في وقتها لحسم هذه الأحداث وحلحلتها بالظهور والقيام بالحقّ.

وقد قدّم المحقّق السيّد جعفر مرتضىٰ العاملي رحمه الله تفسيراً فكريّاً وعقائديّاً وثقافيّاً قيّماً لفلسفة الترابط الموضوعي والحدثي في مجموع أحداث وعلامات الظهور الشريف، ما وقع منها وما سيقع، وموقف أهل البيت المعصومين عليهم السلام من ذلك، ووظيفتنا تجاهه، فذكر في كتابه دراسة في علامات الظهور تحت عنوان (الفرق بين ما وقع وبين ما سيقع) ما نصّه:

(وهذه الحقيقة هي: أنَّ المعصومين عليهم الصلاة والسلام، ما كانوا بإخباراتهم تلك يُريدون ربط الناس بما سيقع، من أجل أن يستغرقوا فيه أو

١. الغيبة، ابن أبي زينب النعماني: ص٢٦٤، ط١، ١٤٢٢هـ، منشورات أنوار الهدىٰ، قم، إيران.

ليكون ذلك عذراً أو مبرّراً للوقوف على هامش الساحة في موقع المتفرج، إن لم يصبح عبئاً يثقل كاهل العمل المخلص والجاد، ويثقل خطب العاملين كذلك، هذا كله.. عدا عما يمارسه الكثيرون ممّن لديهم هذا الفَهم من دور سلبي في مجال التثبيط، وإيجاد حالة من الفشل والإحباط، وقد يتعدىٰ ذلك إلىٰ إيجاد الانقسامات والاختلافات التي تستهلك الطاقات، وتستنفد الهمم والعزائم، ليصبح العدو - من ثَمَّ - أقدر علىٰ توجيه الضربات الساحقة، والماحقة، لكل جهد مخلص، أساسي وبنّاء.

نعم.. إنهم عليهم السلام ما كانوا يريدون ربط الناس بما سيقع، وإنّما بما وقع، أي أنَّهم يريدون للناس أن يستفيدوا ممّا وقع ومضىٰ لينعش بهم الأمل، ويشحذ الهمم والعزائم ليمنحهم اليقين، ويهب لهم حالة السكون والركون إلىٰ الحقّ، والارتباط العاطفي والشعوري بقائد المسيرة ورائدها، بعد الانتهاء من مرحلة الارتكاز العقائدي المستند إلىٰ القناعات الناشئة عن وسائل الإثبات للأصول والمنطلقات الأوليّة في مسائل الإمامة علىٰ صعيد مفاهيمها الأساسية من جهة، وعلىٰ صعيد التجسيد الحي في المثل الحي للإمامة الحاضرة، من جهة أخرىٰ، ولا شك في أن وجود هذا الارتباط العاطفي والشعوري، وذلك السكون والركون يصبح ضرورةً ملحةً، حينما يبدو أنَّ الناس قد بدأوا يتعاملون مع قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه كمرتكز عقائدي، لا يملك من الروافد الشعورية والعاطفيّة إلّا القليل القليل، الذي لا أثر له في موقع الحركة، وتسجيل الموقف، فالمطلوب إذن هو أن يسهم ما وقع في بعث الأمل ورفع درجة الإحساس، والشعور والارتباط بالقائد وبالقيادة إلىٰ مستوىٰ أعلىٰ وأكثر حيوية وفاعلية فيه الكثير من الجدّية، والمزيد من العطاء، ويعمّق في الإنسان المسلم المزيد من الشعور

بالمسؤولية، والإحساس بالرقابة، ليعيش في رحاب الإمامة بكلّ ما فيها من معانٍ، وكلّ ما تمثّله من عطاء، في مجال الحركة والعمل والسلوك والموقف، وفي جميع مفردات حياته التي يعيشها)[1].

خلاصة البحث:

لقد تبيَّن أنَّ علم الإمام المهدي عليه السلام بوقت ظهوره الشريف ممّا لا مانع نقلي أو عقلي من إمكانه ووقوعه، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعالم المحو والإثبات والتقديرات الإلهية والمصالح والمتغيِّرات الزمانية والمكانية والاجتماعية وبكلِّ ما يتعلّق بالإنسان المؤمن والمجتمع المعني بهذا الأمر، وكذا القدرات والخبرات والاستعدادات لتقبّل عملية التغيير المهدوي المُرتَقَب الإصلاحي العادل الكبير.

وإنَّ ما ورد من منع وكراهة لتوقيت زمن الظهور وتعيينه إنّما هو لتكذيب دعوىٰ المُخبِر به، كونه يخبر بما يخالف الواقع والاعتقاد، وتجنّباً لاستغلال العقيدة المهدوية من قبل المتقمصين والدجّالين والمُدَّعين وتوظيفها لمآربهم الفاسدة والباطلة في إضلال الناس.

وأمّا كيفيّة علم الإمام المهدي عليه السلام بوقت ظهوره فقد بيّنتها الروايات المأثورة والمعتبَرة، وذلك من طريق تلقيّه للعلم المبذول من النبي الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فضلاً عن إمكان التلقي الإلهي بواسطة الفيض الربّاني أو الإلهام أو التحديث الملائكي.

وفي هذا البحث ظهرت لنا معطيات تربوية وعقائدية وفكرية ومنهجية تقدّم وعياً راشداً وفهماً قويماً عن ضرورة إدراك الترابط بين مجموع الأحداث المهدوية من نفس علم الإمام المهدي عليه السلام بوقت الظهور وعلاقته بالبداء وضرورة تحقّق العلامات قُبيل ذلك، وهذه المعطيات تصبّ جميعها في مصلحة

١. دراسة في علامات الظهور، السيد جعفر مرتضىٰ العاملي: ص٤٠، ط٤، ١٤٢٤هـ، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان.

الفـرد والأُمّـة والمجتمـع في مجـالات بنـاء النفـس والقـدرات والكفـاءات أفـراداً ومؤسسـاتٍ ولـزوم الاعتبـار بـما وقـع وتحصيـل المعرفـة اللازمـة والكافيـة في وقـت المكلَّـف وعـصره وإن لم يـدرك عـصر الظهـور والقيـام بالحـقّ.

ففهـم الأحـداث في تشـابكها وتغيراتهـا وكونهـا مناطـةً بعـالم البـداء الإلهـي مـن أهـمِّ الـرؤىٰ السـديدة التـي يقدّمهـا الاعتقـاد الحـقّ بقـدرة الله تعـالىٰ عـلىٰ التغيـير والتقديـم والتأخـير بـما يتّفـق وعلمـه الفعـلي المحيـط وحكمتـه ومصلحـة العبـاد ولطفـه بهـم، فضـلاً عـن كـون ارتبـاط وقـت الظهـور المبـارك وتأخّـر تحقّقـه فعـلاً لـه علاقـة بعمليـة اختبـار المؤمنـين وتمحيصهـم وتمييزهـم وغربلتهـم في خضـمّ مـا يجـري عليهـم، وذلـك مـن أجـل تكميـل درجاتهـم الإيمانيـة وضـمان ثباتهـم في موقفهـم وتضحياتهـم في سـبيل هـذه العقيـدة الحتميـة الوعـد والتنجيـز.

هـذا وأنَّـه ينبغـي بالإنسـان المؤمـن المُنتَظِـر الراشـد في اعتقـاده وسـلوكه أن يفهَـم تفسـير وقـت الظهـور الشريـف وتأخّـر تحقّقـه وفـق رؤيـة البـداء الإلهـي أو لعـدم تحقّـق الـشروط والظـروف الموضوعيـة والنفسـية والتدبيريـة بـما يجعـل مـشروع الظهـور متمكنـاً مـن التنجيـز والوقـوع حتـماً وضرورةً، ومـن جملـة ذلـك قيمـة وأثـر حـرَاك الإنسـان المؤمـن نفسـه إصلاحـاً وبنـاءً وتقويـماً وتبليغـاً وتمهيـداً في مزدحـم ومنتظـم وتسـارع أحـداث عـصر مـا قُبيـل الظهـور، إذ لـكلٍّ منّـا دخالـةٌ في مـا يجـري ومـا سـيقع ومـا سـيكون مـن قريـب أو مـن بعيـد.

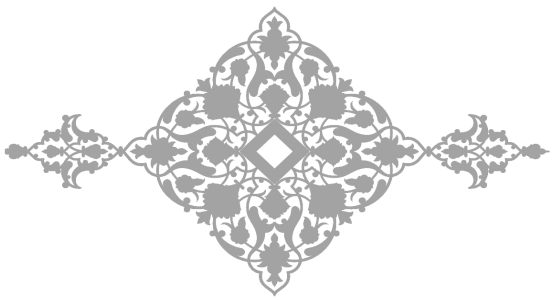

ALMAUOOD

مراجعة مصادر
كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي رحمه الله

محمد المسعودي(*)
ترجمة: السيد جلال الموسوي

المقدمة:

كانت الأطروحة المهدوية، من أبرز الأفكار الإسلامية التي احتلّت مساحة واسعة في أذهان مفكري كلِّ الفرق الإسلامية، سلباً أو إيجاباً، لذا فإنَّها كانت علىٰ مرِّ تأريخ الإسلام محلّ تحقيق وبحث جدّي، إلىٰ جنب الاهتمام الخاصّ بالبحوث الكلامية الأخرىٰ، فكانت البحوث المهدوية متجذِّرة في الفكر الإسلامي.

فجذور هذا المبحث تمتدُّ إلىٰ الأحاديث النبوية الشريفة، والتي تبشّر عالم الوجود بظهور المنجي الحقيقي، وتشكيله للمجتمع المثالي السعيد.

ومن جهة أُخرىٰ، فلقد حاول بعض، وعلىٰ مرِّ القرون الماضية، البحث عن المدينة الفاضلة، فأخطأوا الطريق، وانحرفوا عن الحقّ ومالوا إلىٰ النِحَل والفرق الفاسدة، ووقعوا في شباك المنحرفين فكرياً، والمتصيدين في المياه العكرة، كما هو حال الكيسانية والناووسية والواقفية وغيرهم.

ولذا، فإنَّ أوائل العلماء والمتكلّمين من الإمامية، استلهموا من الأدلَّة العقلية والنقلية، ما هو الحقُّ والصحيح من المفاهيم والمصاديق في حقيقة

(*) باحث ومحقّق.

المهدوية لبيانها وتبيينها للناس على مرِّ التأريخ، ورسموا الطريق الواضح والسالك للسالكين في طريقها، فكان كتاب (الغيبة) للشيخ محمد بن إبراهيم النعماني، وكتاب (الغيبة) لعبد الله بن جعفر الحميري، وكتاب (الغيبة) للشيخ المفيد، وكتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي، وغيرهم من علماء الشيعة، حيث أجابوا فيها عن كلّ الشبهات والإثارات المغرضة التي يثيرها المشكِّكون والمغرضون حول المهدوية.

وكتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي رحمه الله، هو من أقدم وأفضل كتب الحديث في هذا المضمار، وقد كتبه الشيخ الطوسيّ رحمه الله سنة (٤٤٧هـ)، أي قبل وفاته بثلاثة عشر عاماً، وقد أشار رحمه الله إلى هذا التأريخ في موضعين من كتابه:

الأول: حينما يبحث في مدّة عمر بقية الله الأعظم عجل الله فرجه، حيث قال:

(لأنَّه على قولكم له في هذا الوقت الذي هو سنة سبع وأربعين وأربعمائة...)[١].

الثاني: عند إشارته إلى مدفن النائب الأوَّل، عثمان بن سعيد العمري رحمه الله، حيث يقول:

(وهو إلى يومنا هذا وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة...)[٢].

وكتاب (الغيبة) للطوسي من أهمّ مصادر المعرفة المهدوية. وبلحاظ اقتناء الشيخ الطوسي رحمه الله لأهم المآخذ والمصادر المتعدّدة وأوثقها، وبلحاظ إحاطته رحمه الله بالأحاديث، استطاع أن يدوِّن مجموعة قيمة في أهمّ المسائل المرتبطة بإمامة بقية الله الأعظم عجل الله فرجه، وأن يشيد صرحاً قوياً في قبال الأفكار اللقيطة والشبهات.

وهذا المقال، في صدد التحقيق في كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي رحمه الله، بنظرة معرفية دقيقة، ودراسة مصادره دراسة جديدة فاحصة.

١. الشيخ الطوسي، الغيبة، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٢٣ق، ص٨٨.

٢. نفس المصدر، ص٢٤١.

والحقيقة، أنّنا لا نستطيع في هذا الوجيز دراسة كلِّ المصادر التي اعتمدها الشيخ الطوسي ﵀ في كتابه، لأنَّ الكثير منها قد فُقدت من أيدينا بفعل حوادث الأيام، كما في حادثة إحراق بيت الشيخ الطوسي ﵀، حيث احترقت كلُّ الكتب الخطية النفيسة جدّاً، فلم تصل إلىٰ أيدينا.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ الشيخ ﵀ لم يبين في ابتداء الروايات، المصادر التي استند فيها عليها، ولذا، علينا أولاً إيجاد القرائن، ثم نأخذ بالمحتملات القوية علىٰ أساس تلك القرائن المتوفرة.

وقضية استكشاف المصادر تحظىٰ بعناية فائقة عند المحقّقين، وتعتبر من الفروع المهمّة في معرفة الكتب. وليس عندنا تأريخ دقيق لبداية هذا الحسِّ المعرفي، ولكنّنا اليوم نستمد من هذا الحقل في تحكيم بنيان الكتب، فنصل إلىٰ معلومات هامّة من خلال المقارنة بين الكتب ومصادرها.

والمصدر في هذا المقال، يعني الكتب التي استند عليها الشيخ الطوسي ﵀ في تأليف كتابه (الغيبة)، وأخذ الرواية عنها، وإن كان هذا المصطلح مصطلحاً جديداً في معرفة المآخذ.

ويمكننا، للوهلة الأولىٰ، تقسيم المصادر التي استعان بها الشيخ الطوسي ﵀ في (الغيبة) إلىٰ طائفتين: المصادر التي هي في متناول أيدينا اليوم، والمصادر التي لم تصل إلىٰ أيدينا.

المصادر الموجودة:

أ - كتاب الكافي:

كتاب الكافي، دوّنه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ﵀ في عشرين عاماً، يقول النجاشي في رجاله:

(وكان خاله علان الكليني الرازي شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم. صنف الكتاب الكبير المعروف بالكليني

يسمىٰ الكافي، في عشرين سنة...)[١].

لقد اتَّبع الكليني إبداعات جديدة في تبيين أبواب كتابه الكافي، فمزجه بسبك جديد، أخرج أبوابه بحُلَّة جديدة ومنقّحة، نالت الإعجاب والتحسين. والحقّ، إنَّ كتاب (الكافي) من أبرز وأروع الكتب الحديثية، وأكثرها انسجاماً، ويعدُّ من أوّل كتب الحديث الشيعية الأربعة.

ولقد استفاد الشيخ الطوسي رحمه الله في ترتيب وجمع كتابه (الغيبة) من (الكافي) الشريف. فقد اعتمد في أبواب متعدّدة ومختلفة علىٰ (الكافي)، وأخذ منه الروايات التي يحتاجها في مقامها. وقد نقل أكثر من خمسين حديثاً في كتابه عن الكافي، وهي متفرقة في ثمانية فصول من (الغيبة)، نشير إليها:

١ - في فصل (الكلام في الواقفة):

في هذا الفصل نقل المرحوم الشيخ الطوسي رحمه الله عن المرحوم الكليني (١٤) حديثاً. في الأوَّل والثاني منها، كان السند يبدأ باسم الكليني، أي محمد بن يعقوب. وأمّا في بقية الروايات فإنَّ السند لم يبدأ باسم الكليني، وإنّما نقله بلفظ: (عنه)، والذي يفهم من المقام والعنوان الواقع بعد الضمير، أنَّ المراد بـ(عنه) محمد بن يعقوب الكليني أيضاً.

وأشار في مورد واحد فقط، في بداية السند باسم الإشارة: (وبهذا السند)، والذي وقع بعده عنوان (ابن مهران)، و(أحمد بن مهران) هو من مشايخ المرحوم الكليني، وعليه، يكون المشار إليه في النتيجة هو الكليني أيضاً.

وفي عمدة روايات الكافي، التي أخذها الشيخ في هذا الفصل من (الغيبة)، يرويها الكليني بواسطة (أحمد بن مهران). وأوّل رواية للكليني ينقلها الشيخ الطوسي رحمه الله هي من باب (أنَّ الأئمَّة عليهم السلام يعلمون متىٰ يموتون وأنَّهم لا يموتون إلّا باختيارٍ منهم)، وهي في الجزء الأوّل من (الكافي). وأمّا بقية روايات

١. النجاشي، رجال، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ص٣٧٧، رقم ١٠٢٦.

هـذا الفصـل، فهـي مـن بـاب (الإشـارة والنـصّ عـلىٰ ابـن الحسـن الرضـا عليه السلام) في نفس ذلـك الجـزء مـن الـكافي.

والشـيخ الطـوسي رحمه الله، لم يتَّبـع في كتابـه (الغيبـة) نفـس ترتيـب الروايـات الموجود في (الـكافي)، وإنَّـما ذكرهـا في المواضـع التـي يقتضيهـا جـريُ البحـث، وبأسـلوب جديـد.

ونبين هنا جدولاً مرتباً للروايات في كلا الكتابين.

كتاب الغيبة		كتاب الكافي			
الصفحة	رقم الرواية	رقم الرواية	الصفحة	المجلد	الملاحظات
٣٣	أوَّل رواية مأخوذة من الكافي	٢	٢٥٩	١	
٣٤	ثاني رواية مأخوذة من الكافي	١٦	٣١٩	١	
٣٥	ثالث رواية مأخوذة من الكافي	٣	٣١٢	١	
٣٥	رابع رواية مأخوذة من الكافي	٤	٣١٢	١	
٣٥	خامس رواية مأخوذة من الكافي	١	٣١١	١	
٣٦	سادس رواية مأخوذة من الكافي	٢	٣١٢	١	
٣٦	سابع رواية مأخوذة من الكافي	٨	٣١٢	١	
٣٦	ثامن رواية مأخوذة من الكافي	٦	٣١٢	١	
٣٧	تاسع رواية مأخوذة من الكافي	٧	٣١٢	١	
٣٧	عاشر رواية مأخوذة من الكافي	١١	٣١٣	١	
٣٨	حادي عشر رواية مأخوذة من الكافي	١٢	٣١٣	١	
٣٨	ثاني عشر رواية مأخوذة من الكافي	١٣	٣١٣	١	
٣٨	ثالث عشر رواية مأخوذة من الكافي	١٤	٣١١	١	
٥٥	رابع عشر رواية مأخوذة من الكافي	–	–	–	لم نجدها في الكافي

ثم ينقل الشيخ الطوسي رحمه الله في آخر هذا الفصل رواية عن الكليني، وهي:

(فَرَوَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ الْعَطَّارِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفَضَّلِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ مَاتَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ عليه السلام...). وبعد الفحص عن هذه الرواية لم نجدها في كتاب الكافي.

ولابدَّ من الالتفات إلىٰ نكتة مهمَّة، وهي أنَّ الكليني لا يعتبر من المشايخ المباشرين وبلا واسطة للشيخ الطوسي، وإنّما ينقل الشيخ عنه بواسطة، ولذا كان عليه أن يعتمد في أخذ الحديث علىٰ الطرق المعروفة. وفي هذه الرواية، فإنَّ الشيخ الطوسي لم يذكر طريقه إلىٰ الشيخ الكليني، ولكنّه في ترجمة الكليني في الفهرست[1] بيَّن طرقاً متعدّدة إلىٰ كتب وروايات الكليني، نذكر بعضاً منها:

(أخبرنا بجميع كتبه ورواياته الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عنه. وأخبرنا الحسين بن عبيد الله قراءة عليه أكثر كتبه من الكافي عن جماعة منهم أبو غالب أحمد بن محمد الزراري وأبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه وأبو عبد الله أحمد بن إبراهيم الصيمري المعروف بابن أبي رافع وأبو محمد هارون ابن موسىٰ التلعكبري وأبو المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني كلهم عن محمد بن يعقوب).

٢ - في ذيل الروايات الدالَّة علىٰ إمامة الحجّة بن الحسن عجل الله فرجه (صفحة ٩٧ فما بعدها) حيث ينقل الشيخ الطوسي في هذا الفصل خمس روايات عن الكليني. والشيخ هنا، خلافاً للفصل السابق، يذكر طريقه إلىٰ الكليني في أوّل السند، ويشير إليها إشارة في موردين فقط، بقوله: (وبهذا الإسناد)، والمشار إليه

١. الشيخ الطوسي، الفهرست، النجف، المكتبة المرتضوية، ص ١٣٥، رقم ٥٩١.

معلـوم في الأسـناد السـابقة عـلىٰ هذيـن السـندين.

وقـد أخـذ الشـيخ الطـوسي روايـات الكلينـي مـن بـاب (مـا جـاء في الاثنـي عـشر والنـصّ عليهـم)، مـن الجـزء الأوّل مـن الـكافي:

كتاب الغيبة		كتاب الكافي			
الصفحة	رقم الرواية	رقم الرواية	الصفحة	المجلد	الملاحظات
١٠١	أوَّل رواية مأخوذة من الكافي	٤	٥٢٩	١	
١٠٢	ثاني رواية مأخوذة من الكافي	١٥	٥٣٣	١	
١٠٨	ثالث رواية مأخوذة من الكافي	١٤	٥٣٣	١	
١٠٨	رابع رواية مأخوذة من الكافي	٨	٥٣١	١	
١٠٩	خامس رواية مأخوذة من الكافي	١	٥٢٥	١	

٣ – وينقـل الشـيخ الطـوسي رحمه الله في (الغيبـة)، في ذيـل (وأمّـا القائلـون بإمامـة جعفـر بـن عـلي بعـد أخيـه عليه السلام) (صفحـة ١٤٩) روايـة واحـدة عـن الكلينـي، يبدؤهـا بقولـه:

(وروىٰ محمـد بـن يعقـوب الكلينـي – رفعـه – قـال: قـال أبـو محمـد عليه السلام حـين ولـد الحجَّـة...).

وقد بحثنا عن هذه الرواية فلم نجدها في الكافي.

٤ – في فصل (فأمّا الكلام في ولادة صاحب الزمان عجل الله فرجه...).

وينقـل الشـيخ الطـوسي رحمه الله في هـذا الفصـل سـبع روايـات عـن الشـيخ الكلينـي، ولم يذكـر الشـيخ في هـذه الروايـات طريقـه إلىٰ الشـيخ الكلينـي، بـل عنـون الروايـة بعنـوان (محمـد بـن يعقـوب). ولم نجـد روايتـين مـن هـذه الروايـات السـبع، في الـكافي.

وقد أخذ الشيخ الطوسي هذه الروايات من باب (الإشارة والنص على صاحب الدار عليه السلام)، وباب: (في تسمية من رآه عجل الله فرجه) من الجزء الأوّل من الكافي الشريف.

كتاب الغيبة		كتاب الكافي			
الصفحة	رقم الرواية	رقم الرواية	الصفحة	المجلد	الملاحظات
١٥٤	أوَّل رواية مأخوذة من الكافي	–	–	–	لم توجد في الكافي
١٥٤	ثاني رواية مأخوذة من الكافي	٥	٣٢٩	١	
١٥٥	ثالث رواية مأخوذة من الكافي	–	–	–	لم توجد في الكافي
١٥٥	رابع رواية مأخوذة من الكافي	٦	٣٢٩	١	
١٥٦	خامس رواية مأخوذة من الكافي	٣	٣٢٨	١	
١٦٢	سادس رواية مأخوذة من الكافي	١	٣٢٩	١	
١٦٥	سابع رواية مأخوذة من الكافي	٩	٣٣١	١	

٥ – في فصل (وأمّا ما روي من الأخبار المتضمّنة لمن رآه عجل الله فرجه...).

ففي هذا الفصل، ينقل الشيخ الطوسي رحمه الله ستّة أحاديث عن الكليني، حيث ينقل الحديث الأوّل بسند كامل، ولكنه في الأحاديث الأربعة اللاحقة، يذكر السند باسم الإشارة (وبهذا الإسناد)، وكان ذلك منه مدعاةً لإثارة الجدل والحوار لمعرفة المشار إليه وتمييزه، والتحقيق في ذلك لا يسعه مجال هذا المقال.

والحديث السادس الذي ينقله عن الكليني، لم نجده في كتاب (الكافي)، بعد الفحص عنه.

وقد نقل الشيخ الطوسي هذه الرواية عن باب (باب في تسمية من رآه عجل الله فرجه) من الجزء الأوّل من كتاب الكافي.

كتاب الغيبة		كتاب الكافي			
الصفحة	رقم الرواية	رقم الرواية	الصفحة	المجلد	الملاحظات
١٧٨	أوَّل رواية مأخوذة من الكافي	١١	٣٣١	١	
١٧٩	ثاني رواية مأخوذة من الكافي	٢	٣٣٠	١	
١٧٩	ثالث رواية مأخوذة من الكافي	٦	٣٣١	١	
١٧٩	رابع رواية مأخوذة من الكافي	٨	٣٣١	١	
١٧٩	خامس رواية مأخوذة من الكافي	٥	٣٣١	١	
١٨١	سادس رواية مأخوذة من الكافي	–	–	–	لم توجد في الكافي

٦ – في فصل (وأمّا المعجزات الدالَّة علىٰ صحّة إمامته في زمان الغيبة...)

ففي هذا الفصل ينقل الشيخ الطوسي سبع روايات عن الكليني رحمه الله، يذكر في أولاها طريقه إلىٰ روايات الكليني ابتداءً، وفي أربع روايات منها يبدأ السند بقوله: (بهذا الإسناد)، وفي مورد واحد يذكر السند باسم الكليني، (محمد بن يعقوب)، وأمّا الرواية السابعة فلم نجدها في (الكافي)، بعد الفحص. وهذه الروايات ينقلها الشيخ الطوسي عن باب (مولد صاحب الزمان عجل الله فرجه) في الجزء الأوّل من كتاب الكافي.

كتاب الغيبة		كتاب الكافي			
الصفحة	رقم الرواية	رقم الرواية	الصفحة	المجلد	الملاحظات
١٨٩	أوَّل رواية مأخوذة من الكافي	٥	٥١٨	١	
١٩٠	ثاني رواية مأخوذة من الكافي	٣	٥٢٠	١	
١٩٠	ثالث رواية مأخوذة من الكافي	١٦	٥٢٢	١	
١٩١	رابع رواية مأخوذة من الكافي	١٧	٥٢٢	١	
١٩١	خامس رواية مأخوذة من الكافي	٢٧	٥٢٤	١	
١٩١	سادس رواية مأخوذة من الكافي	٣١	٥٢٥	١	
١٩٦	سابع رواية مأخوذة من الكافي	–	–	–	لم توجد في الكافي

٧ – وفي فصل (في ذكر طرف من أخبار السفراء الذين كانوا في حال الغيبة) وفي هذا الفصل ينقل الشيخ الطوسي رحمه الله رواية واحدة، لم نعثر عليها بعد فحصنا في كتاب الكافي.

وفي باب (فأمّا المذمومون منهم جماعة...) ينقل الشيخ الطوسي رحمه الله، أوّل رواية بهذا النحو: (الفروي عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، قال...)، ونظراً إلىٰ إنَّ (عليّ بن إبراهيم) هو من مشايخ الكليني الكثيري الرواية، وقد نقل عنه الكثير في الكافي، ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ هذه الرواية قد وردت في الكافي نفسه، ج١، ص٥٤٨، ح٢٧، فإنَّ الشيخ الطوسي قد أخذها من الكافي، بحسب الظاهر، إلّا أنّه رحمه الله لم يذكر الكليني في أوّل سندها، ولعلَّ ذلك كان نسياناً منه رحمه الله، أو إنّه اكتفىٰ بذكر علي بن إبراهيم.

وفي نهاية هذا القسم من الكتاب، ينقل رواية أُخرىٰ عن الكليني، ولكنّنا بعد الفحص لم نعثر عليها.

٨ – وفي فصل (فأمّا السفراء الممدوحون في زمان الغيبة) وفي فصل (ذكر أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري والقول فيه)، ينقل الشيخ روايتين عن الكليني، يذكر طريقه إلىٰ الكليني في الأولىٰ، وينقلها عن باب (تسمية من رآه عليه السلام) في الجزء الأوّل من الكافي، ولم نعثر علىٰ الرواية الثانية في الكافي، بعد الفحص.

كتاب الغيبة		كتاب الكافي			
الصفحة	رقم الرواية	رقم الرواية	الصفحة	المجلد	الملاحظات
٢٤١	أوَّل رواية مأخوذة من الكافي	١	٣٢٩	١	
٢٤٤	ثاني رواية مأخوذة من الكافي	–	–	–	لم توجد في الكافي

٩ – في ذيل (وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوامٌ ثقات...):

وفي هذا القسم من كتاب (الغيبة)، ينقل الشيخ الطوسي ثلاث روايات

عـن الكلينـي، لم نجـد الأولىٰ في الـكافي، بعـد فحصنـا عنهـا، وأمّـا الثانيـة والثالثـة فهـو ينقلهـا باسـم الكلينـي، أي: (محمـد بـن يعقـوب)، وكلا الروايتـين عـن بـاب (بـاب مولـد الصاحـب عليه السلام)، في الجـزء الأوّل مـن كتـاب الـكافي.

كتاب الغيبة		كتاب الكافي			
الصفحة	رقم الرواية	رقم الرواية	الصفحة	المجلد	الملاحظات
٢٨١	أوّل رواية مأخوذة من الكافي	–	–	–	لم توجد في الكافي
٢٨٢	ثاني رواية مأخوذة من الكافي	١٧	٥٢٢	١	
٢٨٢	ثالث رواية مأخوذة من الكافي	٢٣	٥٢٣	١	

تنبيـه: نقـل الشـيخ الطـوسي في كتابـه (الغيبـة)، عـشر روايـات عـن الكلينـي لم نعثـر عليهـا في الـكافي، وقـد يكـون الشـيخ قـد أخذها عـن كتـاب (رسـائل الأئمّة عليهم السلام) وهـو مـن تأليفـات الشـيخ الكلينـي أيضـاً، وقـد عـدَّه النجـاشي[1] مـن كتـب الكلينـي.

ب – كتاب (الغيبة) للنعماني:

ومـن جملـة مصـادر الشـيخ الطـوسي رحمه الله، كتـاب (الغيبـة)[2] للنعـماني، وهـو محمد بـن إبراهيـم بـن جعفـر الكاتـب النعـماني البغـدادي، المعـروف بـ(ابـن أبي زينـب). يقـول النجـاشي: «شـيخ مـن أصحابنـا عظيـم القـدر، شريـف المنزلـة، صحيـح العقيـدة، كثـير الحديـث... لـه كتـب منهـا: كتـاب الغيبـة...»[3].

وليـس بـين أيدينـا مـا يـدلُّ عـلىٰ التأريـخ الدقيـق لـولادة الشـيخ النعـماني، ولكنّـه تـوفي في الشـام، قريبـاً مـن سـنة (٣٦٠هـ).

وكتـاب (الغيبـة) للنعـماني، كتـاب قيـم في موضوعـه، وكان قـد انتهـىٰ مـن تأليفـه سـنة (٣٤٢هـ) وقـد نقـل الشـيخ الطـوسي في تدويـن كتابـه، ثـماني روايـات عـن كتـاب (الغيبـة) للنعـماني، نبينهـا هنـا بالتفصيـل:

---

١. النجاشي، ص ٣٧٧، رقم ١٠٢٦.

٢. محمد النعماني، الغيبة، بلا مكان، مدين، ١٤٢٦هـ.

٣. النجاشي، رجال، ص ٣٨٣، رقم ١٠٤٣.

١ - في فصل (ما يدلُّ علىٰ إمامة صاحب الزمان عجل الله فرجه...):

ونقل الشيخ الطوسي في هذا الفصل سبع روايات عن النعماني، ذكر في أوّل سند الرواية الأولىٰ منها، طريقه إلىٰ كتاب النعماني، ولكنّه في بقية الروايات لم يذكر طريقه إلىٰ الكتاب، إلّا إنَّه بدأ السند بعبارة: (بهذا الإسناد)، وبتأمّل بسيط يعلم المراد من المشار إليه.

هذا وقد أخذ الشيخ تلك الروايات من فصل (فيما روي أنَّ الأئمَّة اثنا عشر من طريق العامَّة وما يدلُّ عليه من القرآن والتوراة)، من كتاب (الغيبة) للنعماني.

٢ - في (ذكر بعض من رأىٰ الحجَّة عجل الله فرجه):

وفي هذا القسم من الكتاب، ينقل الشيخ الطوسي رواية واحدة عن النعماني، وبعد الفحص، لم نجد تلك الرواية في كتاب (الغيبة) للنعماني.

وطريق الشيخ الطوسي إلىٰ النعماني في الرواية هو: (ما أخبرني به أبو عبد الله أحمد بن عبدون المعروف بابن الحاشر قال حدثني أبو الحسين محمد بن علي الشجاعي الكاتب قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بابن أبي زينب النعماني الكاتب)[1].

ج - كتاب (كمال الدين وتمام النعمة):

ومن مصادر الشيخ الطوسي في تأليف كتابه (الغيبة)، يمكننا عدّ كتاب (كمال الدين وتمام النعمة)[2] للشيخ الصدوق رحمه الله من جملة المصادر، وهو محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ، من أعلام الإمامية في القرن السابع الهجري، والذي وُلد ببركة دعاء مولانا الحجَّة عجل الله فرجه.

وهو من أبرز الفقهاء والمحدّثين، وله تصانيف كثيرة في فنون متعدّدة.

---

١. الشيخ الطوسي، كتاب الغيبة، ص٩٧.

٢. الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، قم - المؤسسة الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

توفي الشيخ الصدوق سنة (٣٨١ هـ)، ومدفنه في مدينة ريّ بطهران.

وينقل الشيخ الطوسي عن الصدوق بواسطة واحدة، وهو أحد هؤلاء الأعلام:

١ – الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد).

٢ – الحسين بن عبيد الله الغضائري.

٣ – جعفر بن الحسن بن حسكة القمّي.

٤ – محمد بن سليمان الحمراني.

وفي هذا الكتاب، عادةً ما يروي عن الصدوق بوساطة (جماعة)، ومراده من الجماعة هم هؤلاء الأعلام الأربعة أعلاه. وقد نقل ثمانية عشر حديثاً عن (كمال الدين وتمام النعمة)، نبينها بالتفصيل:

١ – في فصل (فأمّا الكلام في ولادة صاحب الزمان عجل الله فرجه...):

وفي هذا الفصل، ينقل الشيخ حديثين عن (كمال الدين) من باب (ذكر من شاهد القائم عجل الله فرجه ورآه وكلّمه).

٢ – في فصل (وأمّا ظهور المعجزات الدالّة علىٰ صحّة إمامته عجل الله فرجه في زمان الغيبة...):

حيث ينقل الشيخ الطوسي سبعة أحاديث عن كمال الدين، باب (ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عجل الله فرجه)، وذلك في ذيل بيان توقيعات الإمام الحجَّة عجل الله فرجه من كتابه.

٣ – في فصل (فأمّا السفراء الممدوحون في زمان الغيبة...):

وفي هذا الفصل، وعندما يترجم الشيخ الطوسي محمد بن عثمان بن سعيد، يذكر ثلاثة أحاديث عن كتاب (كمال الدين)، من باب (ذكر من شاهد القائم عجل الله فرجه)، ومن باب (ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عجل الله فرجه). ثم ينقل رواية عن الشيخ الصدوق بهذا السند: «وبهذا الإسناد عن محمد بن علي عن أبيه...». ومراده

من محمد بن علي، الشيخ الصدوق رحمه الله، والمشار إليه في (بهذا الإسناد) هم مشايخه رحمهم الله، ولكنَّنا لم نجد هذا الحديث في (كمال الدين وتمام النعمة).

٤ - في ذيل (بيان أنَّ محمد بن عثمان بن سعيد، قد عين الحسين بن روح من بعده، بأمرٍ من الإمام الحجَّة عجل الله فرجه):

وينقل الشيخ الطوسي هنا حديثين عن كمال الدين، من باب: (ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عجل الله فرجه). ويبدأ سند الحديث الثاني بعبارة: (بهذا الإسناد).

٥ - وفي ذيل (ذكر أمر أبي الحسن علي بن محمد السمري)، ينقل الشيخ الطوسي ثلاثة أحاديث عن (كمال الدين)، من باب (ما روي في ميلاد القائم عجل الله فرجه...)، ومن باب (ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عجل الله فرجه).

د - أربع رسالات في الغيبة[1]:

الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان) من الوجوه اللامعة في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري القمري، وكان من أعلم أهل زمانه في الكلام والفقه والحديث، وقد ألَّف هذه الرسائل الأربعة في الردِّ على الشبهات المثارة حول غيبة حضرة بقية الله الأعظم عجل الله فرجه.

والشيخ الطوسي رحمه الله، وفي بدايات كتابه (الغيبة)، وفي فصل (في الكلام في الغيبة)، حيث يشير إلى أمور معرفية مهمَّة، يجيب فيها عن أسئلة مطروحة حول الموضوع، بإجابات موثقة رصينة وجامعة، فيلجم أفواه المنتقدين.

وهذه الطريقة التي اتّبعها الشيخ، وهي السؤال والجواب، قد أخذها عن أُستاذه الشيخ المفيد في تلك الرسائل الأربعة، حيث إنّنا إذا قارنّا بين الكتابين، لظهر لنا ذلك التأثّر جلياً.

---

١. أربع رسالات في الغيبة، الشيخ المفيد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.

وبنظر كاتب هذه السطور، فإنَّ الشيخ الطوسي في هذه المباحث، قد استلهم من أسلوب أستاذه، فاستفاد منه في تدوين كتابه.

هـ - كتاب الذخيرة[١]:

خامس المصادر التي استعان بها الشيخ الطوسي في تدوين كتابه (الغيبة)، كتاب (الذخيرة) للسيد المرتضىٰ رحمه الله. وهو أبو القاسم عليّ بن الحسين الموسوي المعروف بالسيد المرتضىٰ عَلَم الهُدىٰ، المتوفى سنة (٤٣٦ هـ) والسيد المرتضىٰ من تلاميذ الشيخ المفيد، وهو الذي صلّىٰ علىٰ جنازة أستاذه، ثم تصدّر كرسي الزعامة لعالم التشيع.

كتب السيد المرتضىٰ كتاب (الذخيرة) في علم الكلام، وقد استعان به الشيخ الطوسي في أربعة مواضع، حيث نقل عنه موردين في ذيل: (الدليل علىٰ وجوب الرئاسة)، وفي صفحة ١٣ و١٩، والمورد الأوَّل يبدأ بعبارة (ووجدت لبعض المتأخّرين كلاماً اعترض به كلام المرتضىٰ رحمه الله في الغيبة...)، والمورد الثاني يبدأ بعبارة: (قلنا، الذي نقوله في هذا الباب ما ذكره المرتضىٰ رحمه الله في الذخيرة).

والمورد الثالث والرابع، هما في ذيل (علَّة غيبته عليه السلام عن أوليائه) في صفحة ٧٩ و٨٣، وقد بدأ المورد الثالث بعبارة: (وكان المرتضىٰ رحمه الله يقول أخيراً...) وبدأ المورد الرابع بقوله: (وكان المرتضىٰ رحمه الله يقول...).

و) كتاب مسائل علي بن جعفر:

ومن جملة المصادر التي يمكننا عدّها من مصادر الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة)، كتاب (مسائل علي بن جعفر)[٢]. وهو علي بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام،

١. نقلاً عن آقا بزرك الطهراني في الذريعة، ج١٠، ص١٢، فإنَّ إحدىٰ نسخ هذا الكتاب موجودة في مكتبة المحدِّث النوري، ونسخة أخرىٰ منه موجودة في المكتبة الرضوية.

٢. مسائل علي بن جعفر، علي بن جعفر، قم - مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٩هـ.

وأخو الإمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام، وكان قد سأل أخاه الكاظم عليه السلام عن مسائل فأجاب عليها، وقد جُمِعَت تلك المسائل وأجوبتها في كتاب سُمّي بمسائل علي بن جعفر. توفي علي بن جعفر في أواسط القرن الثالث الهجري، وكان قد أدرك أربعة من الأئمَّة المعصومين من أئمَّة أهل البيت عليهم السلام وهم: الإمام الصادق، الإمام الكاظم، الإمام الرضا والإمام الجواد عليهم السلام. لم يبتلَ علي بن جعفر بمذهب الوقف، بل بقي محافظاً علىٰ اعتقاده الصحيح رغم تقلب الأحوال والأوضاع الاجتماعية.

ومسائل علي بن جعفر، تعد موضوعات متنوّعة، وقد نقل الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) عنه رواية في فصل (الكلام في الواقفة) صفحة (٤٠).

وتشير القرائن إلىٰ أنَّه أخذها عن ذلك الكتاب، صفحة (٣٤٧)، رقم (٨٥٦)، والعبارة في كلا الكتابين هي: (وروىٰ أيوب بن نوح عن الحسن بن فضال[١] قال سمعت علي بن جعفر يقول: كنت عند أخي موسىٰ بن جعفر عليهما السلام وكان والله حجَّة في الأرض بعد أبي).

كما أنَّ الشيخ الطوسي رحمه الله يروي عن علي بن جعفر في موارد أخرىٰ، ولكنَّ أخذه من كتاب مسائل علي بن جعفر لم يحرز في تلك الموارد، فقد يكون قد أخذ تلك الروايات من كتاب آخر.

هذا وقد ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله في الفهرست[٢]، طريقه إلىٰ كتاب (مسائل علي بن جعفر)، وهو: (أخبرنا بذلك جماعة عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن محمد بن يحيىٰ عن العمركي الخراساني البوفكي عن علي بن جعفر).

---

١. المراد منه، الحسن بن فضال، وهو الحسن بن علي بن فضال، وإن لم يكن التعبير عنه بالحسن بن فضال موجوداً، ولكنّ الشيخ أدرجه بنفس العبارة التي جاءت في كتاب مسائل علي بن جعفر.

٢. الشيخ الطوسي، الفهرست، ص ٨٧، رقم ٣٦٧.

ز – كتاب أسرار آل محمد ﷺ:

ومؤلّف هذا الكتاب هو سُليم بن قيس[١] الهلالي، وهو من خواصّ أصحاب أئمَّة الشيعة الأوائل. جاء إلىٰ المدينة المنوّرة وهو في عمر السادسة عشرة، وعاش محنة أمير المؤمنين عليه السلام وانزوائه في الدار.

أخذ العلم من منبع زلال علم أمير المؤمنين عليه السلام، وسمع أخبار الأحداث من لسان سلمان وأبي ذرّ والمقداد (رضوان الله عليهم)، وكتبها.

وكتاب سليم بن قيس أوّل كتابةٍ للتأريخ الإسلامي، ويعدُّ من أرصن ما كتب في الأحداث التي واجهها أهل البيت عليهم السلام.

وينقل الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة)، في ذيل البحث عن بطلان الكيسانية، (صفحة ١٣١)، روايتين، وفي ذيل البحث عن علّة عدم ظهور الإمام الحجَّة عجّل الله فرجه، (صفحة ٢٢٦) رواية ثالثة عن كتاب سليم بن قيس. ويبدو لنا أنّه أخذ الرواية مباشرة من الكتاب، وإن كانت القرائن الدالَّة علىٰ ذلك غير كافية، ولكنّها أيضاً غير بعيدة.

وطريق الشيخ الطوسي رحمه الله إلىٰ كتاب سليم بن القيس، كما جاء في الفهرست[٢]، هو:

(أخبرنا به ابن أبي جيد عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن القاسم الملقب ماجيلويه عن محمد بن علي الصيرفي عن حماد بن عيسىٰ وعثمان بن عيسىٰ عن أبان بن أبي عياش عنه).

المصادر غير الموجودة:

أ – الضياء في الردِّ علىٰ المحمّدية والجعفرية:

كتاب الضياء، مجموعة أحاديث جمعها سعد بن عبد الله بن أبي خلف

١. كتاب سليم بن القيس، قم، الهادي، ١٤١٥هـ.
٢. الفهرست للشيخ الطوسي، ص ٨١، رقم ٣٣٦.

الأشعري القُمّي، في الردِّ علىٰ القائلين بإمامة محمّد بن علي بن محمّد بن علي الرضا عليهم السلام. وسعد بن عبد الله - كما ترجمه النّجاشي[1] - من فقهاء الإمامية الاثني عشرية، وقيل إنَّه التقىٰ بالإمام الحادي عشر عليه السلام وسمع عنه الحديث.

وقد تحمَّل سعد بن عبد الله الأشعري عناء السفر من أجل جمع أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وكانت ثمرة هذه الأسفار كُتباً كثيرة وآثاراً باقية بعد موته، منها كتاب (الضياء) في الردَّ علىٰ المحمَّدية والجعفرية، والذي أخذ عنه الشيخ الطوسي بعض الأحاديث في كتابه (الغيبة)، ولذا فإنَّه يسندها إلىٰ سعد بن عبد الله.

والشيخ الطوسي رحمه الله نقل كثيراً عن سعد بن عبد الله في كتابه (الغيبة)، ولكنْ لا يمكننا الجزم، أو معرفة أنَّه هل أخذ ذلك مباشرة من كتاب (الضياء)، أم أنَّه أخذه عن كتب أُخرىٰ، فلا يمكننا الحكم بأنَّه قد أخذه من كتاب الضياء، ولذا فإنّنا هنا نبين بعض الموارد التي يمكننا الجزم بأنَّها مأخوذة من (الضياء) فقط.

الأول: في ذيل قوله (وأمّا من خالف من الفرق الباقية الذين قالوا بإمامة غيره كالمحمّدية...) في (صفحة ٦٨)، الحديث الأوّل، فهذا الحديث مأخوذ من كتاب الضياء.

ويبدأ سند هذا الحديث بقوله: (فروىٰ سعد بن عبد الله قال حدثني أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري...).

الثاني: في ذيل قوله: (وأمّا المحمّدية الذين قالوا...) في (صفحة ١٣٣)، حيث نقل عنه بقوله: (ويزيد ذلك بياناً ما رواه سعد بن عبد الله عن جعفر بن محمد بن مالك...).

١. قال ما نصه: شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها... ولقىٰ مولانا أبا محمد عليه السلام. [النجاشي، رجال، ص ١٧٧، رقم ٤٦٧].

ففي هذا القسم من الكتاب، نقل الشيخ ثلاث روايات عن سعد بن عبد الله الأشعري، كما في (صفحة ١٣٣ و١٣٤). وفي ذيل: (وأمّا موت محمد في حياة أبيه...) (صفحة ١٣٤ و١٣٥ و١٣٦)، فقد نقل ثلاثة أحاديث عن سعد، والحديث الرابع مشكوك في أنَّه هل هو مأخوذ من كتاب الضياء أم من غيره.

وكذلك في ذيل (وأمّا معجزاته [الحسن العسكري عليه السلام] الدالَّة على إمامته...) وفي (صفحة ١٣٦، ١٣٧ و١٣٨)، نقل خمسة أحاديث عن كتاب سعد. وفي ذيل (فأمّا القائلون بأنَّ الحسن بن علي عليهما السلام لم يمت) في (صفحة ١٤٧)، نقل حديثاً واحداً، وفي ذيل (وأمّا من قال: إنَّ الحسن بن علي عليهما السلام يعيش بعد موته...) في (صفحة ١٤٨)، نقل حديثاً واحداً عن سعد.

وكذلك في ذيل قوله: (وأمّا القائلون بإمامة جعفر بن علي بعد أخيه عليه السلام) في (صفحة ١٥٠)، فقد نقل حديثاً واحداً عن كتاب الضياء.

ونقل الشيخ الطوسي ثلاثة أحاديث أخرىٰ عن سعد، في ذيل قوله: (وقد بينا فساد قول الذاهبين إلىٰ إمامة جعفر بن عليّ...) وذلك في (صفحة ١٥١ و١٥٢).

إذن، فمجموع الروايات التي نقلها الشيخ الطوسي عن كتاب (الضياء) لسعد بن عبد الله، هو تسع عشرة رواية. والتي يبدو لنا أنَّه أخذها مباشرة من نفس الكتاب.

وكان علىٰ الشيخ الطوسي رحمه الله أن يذكر طريقه إلىٰ سعد بن عبد الله، لأنَّه لا يروي عنه مباشرة. ولكنَّه قال في (الفهرست)[1]، في ترجمة سعد: (أخبرنا بجميع كتبه ورواياته عدَّة من أصحابنا عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه عن أبيه ومحمد بن الحسن عن سعد بن عبد الله).

وبذكر هذا الطريق في صدر إسناد سعد، يكون طريق الشيخ إلىٰ سعد متّصلاً وتكون رواياته مسندة.

---

١. الشيخ الطوسي، الفهرست، ص ٧٥، رقم ٣١٦.

ب - كتاب الرجعة وكتاب القائم عجل الله فرجه:

ومؤلّف هذين الكتابين هو الشيخ الفضل بن شاذان النيشابوري، وهو من مشايخ الحديث ومن ثقات محدِّثي الإمامية في أواسط القرن الثالث الهجري القمري، ومن الفقهاء والمتكلّمين وأجلّاء أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري عليهم السلام.

ويصل عدد كتبه إلىٰ (١٨٠) مجلّداً، صرَّح النجاشي[1] بعددٍ منها. توفي الفضل بن شاذان سنة (٢٦٠هـ).

ويبدو لراقم هذه الأوراق، أنَّ ما نقله الشيخ الطوسي في الفصول الختامية من كتابه، عن الشيخ الفضل بن شاذان، إنَّما أخذه من هذين الكتابين مباشرةً. ففي (فصل فيما ذكر في بيان مقدار عمره عجل الله فرجه) وفي (ذكر طرف من العلامات الكائنة قبل خروجه عجل الله فرجه) روايات كثيرة يصل عددها إلىٰ السبعين، كلّها عن هذين الكتابين.

ويبدأ الشيخ بنقل أوّل رواية منها بقوله: (وروىٰ الفضل بن شاذان عن ابن أبي نجران عن...).

وأمّا في بقية الموارد، فإنَّ الشيخ إمّا أن يذكر الفضل بن شاذان في أوّل السند، وإمّا أن يشير بالضمير الذي يعود إليه.

والشيخ، وفي فصول متعدّدة، ينقل الرواية عن الفضل، ولكنَّ احتمال أخذه هذه الروايات من كتاب الفضل مباشرة، احتمال ضعيف، ولا توجد قرائن تدلُّ علىٰ ذلك.

فالفضل بن شاذان، ليس شيخاً بلا واسطة للشيخ الطوسي، ولذا، فإنَّ الشيخ يعتمد طريقاً حينما ينقل عن الفضل بن شاذان.

وهنا نكتفي بذكر طريق واحدٍ للشيخ الطوسي إلىٰ الفضل بن شاذان، ذكره

١. النجاشي، الرجال، ص ٣٠٦، رقم ٨٤٠.

الشيخ في الفهرست[١]، وهو: (أخبرنا برواياته وكتبه هذه أبو عبد الله المفيد ﵀ عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه عن محمد بن الحسن عن أحمد بن إدريس عن علي بن محمد بن قتيبة عنه).

ج - كتاب (أخبار الوكلاء الأربعة):

كتاب (أخبار الوكلاء الأربعة) تأليف أحمد بن علي بن عباس بن نوح، أبو العباس السيرافي، هو مصدر آخر من مصادر الشيخ الطوسي ﵀ في تأليف كتاب (الغيبة). والسيرافي، وكما جاء في ترجمته[٢] من مشايخ النجاشي، وله مؤلّفات كثيرة، أحدها هذا الكتاب.

لقد أخذ السيرافي إطار كتابه الأصلي من هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب.

وقد صرَّح النّجاشي، في ترجمة هبة الله[٣]، بهذا الأمر وقال: (...وكتاب في أخبار أبي عمرو وأبي جعفر العمريين، ورأيت أبا العباس بن نوح قد عوَّل عليه في الحكاية في كتابه أخبار الوكلاء).

هذا، وقد نقل الشيخ الطوسي في فصول متعدّدة في غيبته الحديث والكلام في أحوال النواب الأربعة عن السيرافي.

وللأسف، فإنَّ كتاب السيرافي لم يصل إلىٰ أيدينا، وما وصلنا منه فقط هو ما ذُكر في متون الكتب الروائية، وخاصّة كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي، مع أنَّ الشيخ نفسه، وفي ترجمته[٤] للسيرافي، يصرِّح بعدم وجود كتاب أخبار الوكلاء بين أيدينا، ويقول: (...وله كتاب أخبار الأبواب غير أنَّ هذه الكتب كانت في المسودّة ولم يوجد منها شيءٌ... ومات عن قرب، إلّا أنَّه كان بالبصرة ولم يتّفق لقائي إياه).

١. الشيخ الطوسي، الفهرست، ص ١٢٤، رقم ٥٦٣.
٢. النجاشي، الرجال، ص ٨٦، رقم ٢٠٩.
٣. نفس المصدر، ص٤٤، رقم ١١٨٥.
٤. الشيخ الطوسي، الفهرست، ص ٣٧، رقم ١١٧.

ويبدو أنَّ نسخة من كتاب (أخبار الأبواب) كانت عند الشيخ حين كتابته لكتاب (الغيبة)، وقد نقل عنه في عدَّة مواضع من كتابه، منها:

١ - في فصل (وأمّا ظهور المعجزات الدالَّة على صحّة إمامته في زمان الغيبة...):

فقد نقل الشيخ في هذا الفصل خمس روايات عن (الوكلاء الأربعة)، في وقائع متعدّدة، أوّل تلك الروايات، في (صفحة ١٩٩)، حيث يبدأ بقوله: (وأخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب، قال:...)، والمورد الثاني في (صفحة ١٩٩) أيضاً، حيث قال: (وبهذا الإسناد)، والثالثة في (صفحة ٢٠٨)، والرابعة في (صفحة ٢٠٩)، والخامسة في (صفحة ٢٢٠).

٢ - في فصل (فأمّا السفراء الممدوحون في زمان الغيبة (السفراء الأربعة)):

وقد نقل الشيخ الطوسي رحمه الله، في هذا الفصل سبع عشرة رواية عن كتاب السيرافي، وفي موضوعات مختلفة، كأحوال السفراء والتوقيعات وغيرها.

وطريق الشيخ الطوسي رحمه الله إلى كتاب الوكلاء، بواسطة (جماعة من أصحابنا)[1]، وهو هنا بواسطة (الحسين بن إبراهيم القمّي)، الذي ينقل عنه عن الكتاب.

د - كتاب الأوصياء وكتاب الغيبة:

وهما كتابان للشلمغاني، وقد أخذ عنهما الشيخ في كتابه الغيبة، وإن كان ما أخذه قليلاً، كما في فصل (فصل في ذكر العلَّة المانعة لصاحب الأمر عجل الله فرجه من الظهور)، في (صفحة ٢٣١)، وفي بحث (نيابة أبي القاسم الحسين بن روح) في (صفحة ٢٦٤). والشلمغاني، محمد بن علي بن أبي العزاقر، وكان من فقهاء الإمامية، وكتب كتباً عدَّة، منها هاذين الكتابين. وكان في بداية حياته مستقيماً، صحيح العقيدة، ولكنّه انحرف عن الحقّ، وقال بأقاويل عجيبة، فأُلقي القبض عليه وقتل سنة (٣٢٣هـ).

---

١. الفهرست، ص ٣٧، رقم ١١٧.

هـ - كتاب: في نصرة الواقفة:

وقد نقل عنه الشيخ الطوسي في غيبته، ذيل (الكلام في الواقفة)، حيث نقل عدَّة روايات استدلّوا بها علىٰ الوقف، وبعد نقله لكلِّ رواية أجاب عنها وردَّ الاستدلال بها، من جهة عدم دلالتها علىٰ هذا المسلك المعروف، أو من جهة عدم صحّة صدورها. وقد أخذ الشيخ الطوسي تلك الروايات من كتاب كتبه علي بن أحمد العلوي، في نصرة الواقفة، كما ترىٰ ذلك في (صفحة ٤١)، حيث يقول: (فمن ذلك أخبار ذكرها أبو محمد علي بن أحمد العلوي الموسوي في كتابه في نصرة الواقفة).

نتيجة البحث:

بعد التنقيب والبحث في القرائن، تبين لنا أنَّ الشيخ الطوسي ﵀ قد أخذ من هذه الكتب واستعان بها في تدوين كتابه (الغيبة)، ولكنّه نقل أحاديث أخرىٰ كثيرة، لم نعثر علىٰ مصادرها، ولم يكشف لنا الشيخ عن مصادرها. فالشيخ، وفي كثير من الموارد، يبدأ السند بذكر شيخه، ولكنّنا لا ندري هل أنَّه سمع ذلك عن شيخه، أو أخذه من كتابه مثلاً، أم أنَّه أخذه من كتب سائر رواة الحديث، وأنَّه ذكر في البداية طريقه إلىٰ ذلك الكتاب.

المحتويات

تمهيدنا: مقولة (عجَّل الله فرجه الشريف) والشعور بالانتماء ٥

نظرات في دعاء العهد – السيِّد علاء الدِّين السيِّد عبد الصاحب الموسوي ١١

دخالة البشر في تعجيل فرج الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف – الشيخ كاظم القره غولي ٤٣

المختصر من إقامة الحُجّة علىٰ من أنكر ولادة الحُجّة عجل الله فرجه الشريف ٧٥

الشيخ جاسم الوائلي

آيات في القائم عجل الله فرجه الشريف – السيد باسم الصافي ١٠٣

الأبواب والسفراء – موقعهم من العقيدة ودورهم في دولة أهل البيت عليهم السلام ١٣٥

الشيخ حسن الكاشاني

السيدة نرجس عليها السلام – شبهات وردود – الشيخ علي الفياض ١٨٥

أخبار المهديين بين النفي والإثبات – السيد زين العابدين المقدس الغريفي ٢١٣

عِلم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بوقت ظهوره – مرتضىٰ علي الحلي ٢٤٣

مراجعة مصادر كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي رحمه الله ٢٧٥

محمد المسعودي – ترجمة: السيد جلال الموسوي

الموعود

ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood
almauood@m-mahdi.com

رقم الإصدار: ٢٥٤
www.m-mahdi.com
بيت الثقافة المهدوية
٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤
0001153

AL-MUHSEN.COM